



رواية التي تتصدر لائحة نيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعاً والتي تحولت إلى
فيلم سينمائي مثير من إخراج مارتن سكورسيزي وبطولة ليوناردو دي كابريو

الجزيرة المعلقة

SHUTTER ISLAND



دينيس ليهان
DENNIS LEHANE

١ ٥ ٢ ٢ ٥ ٤

الجزيرة المفلقة

Shutter Island

الجزيرة المعلقة

Shutter Island

رواية

تأليف

دينيس ليهان

Dennis Lehane

ترجمة

تيا معوض

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Shutter Island

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Harper Perennial

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2003 by Dennis Lehane

All rights reserved

Arabic Copyright © 2009 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-9953-87-949-9

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (961-1) (+)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (961-1) (+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611) (+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611) (+)

من يوميات الدكتور ليستر شيهان.

3 مايو، 1993.

لم أرَ الجزيرة منذ أعوام عدة. آخر مرة رأيته فيها كانت من على متن مركب صديق دخل المرفأ الخارجي، واستطعت رؤيتها من بعيد - وراء الحلقة الداخلية - مغطاة بالضباب الصيفي، أشبه ببقعة ملونة قبالة السماء الزرقاء.

لم تطأها قدمي منذ أكثر من عقدين، لكن إميلي تقول (أحياناً عن طريق المزاح، وأحياناً أخرى لا) إنها ليست أكيدة من أنني غادرتها أصلاً. قالت ذات مرة إن الوقت بالنسبة إليّ ليس سوى سلسلة من المؤشرات التي أستخدمها للتنقل جيئة وذهاباً في نص حياتي، والعودة مراراً وتكراراً إلى الأحداث التي تميّزني، في عيون زملائي الأكثر دهاء، مع كل خصائص المكتب التقليدي.

قد تكون إميلي محقة. إنها محقة في أغلب الأحيان.

سأخسرهما قريباً هي الأخرى. إنها مسألة أشهر، حسبما أخبرنا الدكتور أكسلرود يوم الخميس. نصحني بالقيام بتلك الرحلة. تلك التي نتحدث عنها دوماً. إلى فلورنسا، وروما، والبندقية في الربيع. لأنك يا ليستر، أضاف الدكتور، لا تهتم بنفسك جيداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Shutter Island

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Harper Perennial

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2003 by Dennis Lehane

All rights reserved

Arabic Copyright © 2009 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-9953-87-949-9

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (11-961+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (11-961+)

على أعلى الجدار في أواخر الخريف، أو تناثرت على العشب. في وسط
المجمّع، هناك مبنيان توأمان مغطيان بالقرميد الأحمر على جانبي
المستشفى، ومجموعة من الصخور الكبيرة والغرانيت الجميل. في الخلف،
هناك أجراف عالية، ومستنقع كبير، ووادٍ طويل أنشئت فيه مزرعة
جماعية، لكنها أقفلت في السنوات التي تلت الثورة الأميركية. إلا أن
الأشجار التي تمت زراعتها بقيت على حية. وهي أشجار دراق،
وإجاص، وتوت، لكنها لم تعد تثمر. تعصف رياح الليل غالباً في ذلك
الوادي، وتطلق صرخات عالية مثل القطط.

الحصن، طبعاً، الذي شُيّد قبل وصول أول موظفي المستشفى، لا
يزال شامخاً هناك في وجه المنحدر الجنوبي. والمنارة في الخلف، التي
أصبحت عتيقة الطراز، وخارج الخدمة قبل الحرب الأهلية بفعل شعاع
ضوء بوسطن (بوسطن لايت).

من البحر، لا تبدو المستشفى على حقيقتها. عليك تصوّره
بالطريقة التي رآه فيها تيدي دانيالز في ذلك الصباح الهادئ في سبتمبر
1954. سهل مع أشجار خفيفة في وسط المرفأ الخارجي. قد تقول إنها
بالكاد جزيرة، إذ لا تشبه مفهوم الجزيرة. ما هو غرضها؟ ربما قال ذلك
في نفسه.

كانت الجرذان الأكثر وفرة بين الحيوانات. تخربش في الشجيرات،
وتشكل خطوطاً بمحاذاة الشاطئ ليلاً، وتتسلق بجهد فوق الصخور
الرطبة. بعضها كان بحجم الأسماك المفلطحة. في السنوات التي تلت
تلك الأيام الأربعة الغريبة، في أواخر صيف العام 1954، دأبت على
دراسة الجرذان الموجودة في الهضبة المطلة على الشاطئ الشمالي.
تفاجأت حين اكتشفت أن بعض الجرذان حاولت السباحة إلى جزيرة
بادوك، التي هي أكبر قليلاً من صخرة في كومة الرمل تبقى مغمورة

بالماء اثنتين وعشرين ساعة كل يوم. وحين تظهر الصخرة للعيان خلال تلك الساعة أو الساعتين فيما ينزل البحر إلى أدنى مستوياته، تسبح الجرذان أحياناً إليها، بمعدل اثني عشر جرذاً تقريباً، وتعود دائماً إلى الخلف بفعل المدّ البحري.

أقول دائماً، ولكن لا. رأيت واحداً نجح في الوصول إليها. مرة واحدة، ليلة قمر الحصاد في أكتوبر 56، رأيت جسمه الأسود يندفع بسرعة عبر الرمل.

أو هكذا أظن. تقول إميلي، التي التقيتها في الجزيرة، "ليستر، هذا ليس ممكناً. كنت بعيداً جداً".

إنها محقة.

لكنني أعرف ماذا رأيت، جرذاً بديناً يندفع بسرعة عبر الرمل، رمل رمادي لؤلؤي بدأ يغرق مجدداً في الماء، فيما عاد البحر لابتلاع جزيرة بادوك، وابتلاع ذلك الجرذ، حسبما افترض، لأنني لم أراه أبداً يسبح في طريق العودة.

لكن في تلك اللحظة، فيما راقبته يندفع بسرعة نحو الشاطئ، رأيته - واللعة على المسافات - فكّرت في تيدي. فكّرت في تيدي والمرحومة زوجته المسكينة، دولوريس شانال، والتوأم المرعب راشايل سولاندو وآندرو لايديز، والفوضى التي سببها لنا جميعاً. فكّرت في أنه لو كان تيدي جالساً معي، لرأى ذلك الجرذ أيضاً. لا بد من ذلك. سأقول لك شيئاً آخر:

تيدي...

لكان صفق بيديه.

اليوم الأول

راشاييل

كان والد تيدي دانيالز صياداً. خسر مركبه لصالح المصرف عام 1931، حين كان عمر تيدي أحد عشر عاماً، وأمضى بقية حياته في العمل على مراكب أخرى حين يوجد فيها عمل، وفي إفراغ الحمولة على الأرصفة حين لا يوجد عمل في المراكب، والقيام بنزهات طويلة في طريق عودته إلى المنزل عند العاشرة ظهراً، والجلوس على كرسي بذراعين، والتحديث إلى يديه، والهمس لنفسه بين الحين والآخر، فيما تصبح عيناه كبيرتين ومعتمتين.

اصطحب معه تيدي إلى الجزر حين كان تيدي لا يزال صبيّاً فتياً، صغيراً جداً لمساعدته في المركب. كل ما استطاع فعله حينها هو فك العقد من الشباك؛ وربط صنارات الصيد. جرح نفسه بضع مرات، ولطخ الدم أطراف أصابعه وراحتي يديه.

كانا يغادران في الظلام، وحين تشرق الشمس مجدداً، كان الهواء البارد يهب من شاطئ البحر، وتظهر الجزر للعيان من الغسق المختفي، مجمعة قرب بعضها، كما لو أنها وقعت في شرك.

رأى تيدي أكواخاً صغيرة باهتة اللون على طول شاطئ إحدى الجزر، ومبنى كلسياً مفتتاً في جزيرة أخرى. أظهر له والده السجن في جزيرة الأيائل، والحصن الكبير في جزيرة جورج. في جزيرة تومبسون، كانت الأشجار العملاقة مليئة بالعصافير، التي صدحت قزقزقتها مثل صوت البرد على الزجاج. وراء كل هذه الجزر، ثمة

جزيرة يسمونها شاتر تشبه شيئاً مراقاً من سفينة شرابية إسبانية. بالعودة إلى تلك الأيام، في ربيع العام 1928، تُركت هذه الجزيرة وحدها وسط شغب نباتاتها، والحصن الذي كان ممتداً فوق أعلى نقطة فيها بدا ننوفاً بالعرائش ومغطى بسحابات كبيرة من الطحالب.

سأل تيدي: "لماذا شاتر؟".

هزّ والده بكتفه. "أنت والأسئلة. دوماً هناك أسئلة".

"نعم، لكن لماذا؟".

"بعض الأماكن تتخذ أسماء تلتصق بها. ربما بسبب القراصنة".

"قراصنة؟". أحب تيدي ذلك. استطاع تخيلهم، رجالاً كباراً مع

رقع على العيون، وحزمات عالية، وسيوف لامعة.

قال والده: "كانوا يختبئون هنا في الأيام الغابرة". مسحت ذراعه

الأفق. "في هذه الجزر. كانوا يختبئون. ويختبئون ذهبهم".

تخيل تيدي أكواماً منه، والنقود الذهبية متناثرة على الجانبيين.

شعر لاحقاً بالغنيان، وتقياً تكراراً وبقوة سيولاً سوداء فوق حافة

مركب والده، وفي البحر.

تفاجأ والده، لأن تيدي لم يبدأ بالتقيؤ إلا بعد ساعات من

الرحلة، فيما كان المحيط هادئاً ومسطحاً. قال والده: "لا بأس. إنها المرة

الأولى. لا داعي للتحجل من أي شيء".

أوماً تيدي برأسه، ومسح فمه بمنديل أعطاه إياه والده.

قال والده: "هناك أحياناً حركة في البحر، ولا يمكنك أن تشعر بها

إلا حين تتراكم داخلك".

لمساءة أخرى، إذ كان تيدي عاجزاً عن إخبار والده أن حركة

البحر ليست هي المسؤولة عن اضطراب معدته.

المسألة تكمن في الماء. لقد كان الماء ممتداً حولهما، وبدا كأنه كل ما بقي من العالم. كيف صدّق تيدي أن البحر قادر على ابتلاع السماء؟!

نظر إلى والده، فيما كانت عينه حمراء وترشح دمعاً، فقال والده: "ستكون بخير". وحاول تيدي الابتسام.

سافر والده على متن مركب لصيد الحيتان في صيف العام 1938 ولم يعد أبداً. في الربيع التالي، تم العثور على بعض من حطام المركب على شاطئ ناتاسكت في هال، حيث ترعرع تيدي. تم العثور على جزء من العارضة الرئيسة للمركب، وصحن كبير حُفِرَ عليه اسم القبطان، وعلب من حساء البندورة والبطاطا، وبعض شباك الكركند الممزقة.

أقاموا جنازة للصيادين الأربعة في دار عبادة القديسة تيريزا، التي تدير ظهرها للبحر نفسه الذي ابتلع العديد من أبنائها. وقف تيدي مع أمه، وسمع شهادات عن القبطان، ومساعدته الأول، والصياد الثالث، رجل عجوز اسمه جيل ريستاك أثار الرعب في مشارب هال منذ عودته من الحرب العظيمة مع قدم مصابة، والعديد من الصور البشعة في رأسه. لكن عند موته، قال أحد رواد المشرب الذي كان يخافه: "إن الله عفا عما مضى".

صاحب المركب، نيكوس كوستا، اعترف أنه بالكاد عرف والد تيدي، وأنه وظّفه في الدقيقة الأخيرة بعدما كسر أحد عمال الطاقم ساقه نتيجة سقوطه من شاحنة. بالرغم من ذلك، أشاد القبطان به، وقال إن جميع أهل البلدة يعرفون أنه كان عاملاً نشيطاً جداً. أليس هذا أفضل مديح يمكن أن يتلقاه إنسان؟

واقفاً في دار العبادة تلك، تذكر تيدي ذلك اليوم على متن مركب والده، لأنه لم يكرره أبداً. استمر والده في قول إنهما سيعيدان

الكرّة، لكن تيدي فهم أن والده قال ذلك فقط كي يحافظ ابنه على بعض الكبرياء. لم يعترف والده أبداً بما حصل في ذلك اليوم، لكنهما تبادلا نظرة في طريق عودتهما إلى المنزل، مروراً بسلسلة الجزر، وجزيرة شاتر خلفهما، فيما جزيرة تومبسون لا تزال أمامهما، وكانت سماء المدينة صافية جداً وقرية جداً، بحيث يخال المرء إنه يستطيع رفع مبنى بقمته المستدقة.

قال والده وهو يفرك بيده ظهر تيدي: "إنه البحر". فيما كانا منحنين فوق الجزء الخلفي من السفينة. "يتغلب عليه بعض الرجال. ويتغلب هو على بعض الرجال".

ثم نظر إلى تيدي بطريقة عرف تيدي أي نوع من الرجال سيكون هو على الأرجح.

للولصول إلى هناك عام 1954، أخذوا المركب من المدينة، وعبروا مجموعة من الجزر الأخرى الصغيرة المنسية؛ تومبسون وسبكتاكل، غرايب وبامبكين، راينفورد ولونغ، تلك الجزر الممتدة في البحر على شكل مجموعات من الرمل والأشجار والأشكال الصخرية البيضاء مثل العظام. باستثناء الرحلات الثابتة يومي الثلاثاء والسبت، كان المركب يقوم برحلات غير منتظمة، وكان داخله فارغاً من كل شيء باستثناء رقاقة معدنية تغطي أرضه، ومقعدين فولاذيين ممتدين تحت النوافذ. كان المقعدان مثبتين بالأرض ومثبتين بعمودين أسودين غليظين عند الطرفين، مع أغلال وسلاسل معلقة في كومات ملتوية فوق العمودين.

إلا أن المركب لم يكن ينقل مرضى إلى المصحّ اليوم، وإنما فقط تيدي وشريكه الجديد، تشاك أول، وبضعة أكياس من البريد، وبعض علب الموارد الطبية.

بدأ تيدي الرحلة جاثياً على ركبتيه أمام المرحاض، يتقيأ بشدة، فيما محرك المركب يقطع ويصدر أصواتاً، وامتلاً أنف تيدي بالروائح الزيتية للغازولين وللبحر في نهاية فصل الصيف. لم يستطع تقيؤ أي شيء باستثناء دفق صغير من الماء، إلا أن حنجرته بقيت تنكمش ومعدته تنقبض على قاعدة المريء، والهواء أمام وجهه مليء بذرات الغبار التي ومضت مثل العيون.

تلا التقيؤ الأخير دفق من الأوكسيجين الذي بدا وكأنه يحمل معه جزءاً من صدره، فيما انفجر خارج فمه، جلس تيدي على الأرض المعدنية، ومسح وجهه بمنديله، وفكر في أنها ليست الطريقة التي أراد بدء فيها شراكة جديدة مع زميله.

تخيل تشاك وهو يخبر زوجته عند عودته إلى المنزل - إذا كان لديه زوجة؛ لا يعرف تيدي الكثير عنه بعد - عن لقائه الأول مع الأسطوري تيدي دانيالز. "استلطفني الرجل كثيراً، يا عزيزتي، لدرجة أنه تقيأ".

منذ تلك الرحلة، حين كان ولداً صغيراً، لم يستمتع تيدي أبداً بوجوده في الماء، ولم يستمتع أبداً بمناظر اليابسة من البحر، والأشياء التي يمكن التمدد إليها ولمسها من دون أن تحتك بها يداك. تقول لنفسك إنه لا مشكلة في ذلك، لأن هذا ما يجدر بك فعله لعبور الماء. لكن في الحقيقة توجد مشكلة. حتى في الحرب، لم يخف من الهجمات العنيفة على الشواطئ، بقدر ما كان يخاف من تلك اليارات القليلة، الفاصلة بين المراكب والشاطئ، فيما الأرجل تغرز في أعماق المياه، وتدخل كائنات غريبة إلى جزمك.

لا يزال يفضل أن يكون خارجاً على المنصة، في وجه الهواء النقي، بدلاً من العودة إلى هنا، مترنحاً ومريضاً.

حين تأكد من أنه انتهى من التقيؤ، وتوقفت معدته عن البقبة، ورأسه عن الدوران، غسل يديه ووجهه، وتحقق من مظهره في مرآة صغيرة معلقة فوق المغسلة، علماً أن معظم الطلاب تأكل بفعل ملح البحر، وبقيت فقط سحابة صغيرة في الوسط، استطاع تيدي خلالها أن يرى صورته، صورة رجل شاب، نسبياً، مع قصة شعر عسكرية قصيرة. إلا أن وجهه كان محفوراً بأدلة الحرب والسنوات التي مرّت منذ ذلك الحين، وميله إلى سحر المطاردة والعنف الكامن في عينيه والذي أسمته دولوريس ذات يوم الجندي الكتيب.

قال تيدي لنفسه: "لا أزال شاباً جداً، حتى أبدو بهذه القساوة". عدّل حزامه حول خصره بحيث اتكأ المسدس وقرابه فوق وركه. أخذ قبعته من على رف المغسلة، ووضعها على رأسه، وعدّل حافتها بحيث باتت مائلة قليلاً إلى اليمين. شدّ ربطة عنقه. إنها واحدة من ربطات العنق المزينة بالأزهار التي باتت خارج الموضة، منذ أكثر من عام، لكنه لا يزال يضعها لأنها أهدته إياها، ومررها أمام عينيه يوم ذكرى ميلاده، فيما كان جالساً في غرفة الجلوس. ضغطت بشفتيها على تفاحة آدم. وضعت يدها الدافئة على جانب وجنته. فاحت رائحة البرتقال من لسانها. جلست في حضنه، وفكت ربطة عنقه، وأبقى تيدي عينيه مغمضتين. فقط لشمها، لتخليها، لتصورها في عقله والإمساك بها هناك.

لا يزال في وسعه فعل ذلك، إغماض عينيه ورؤيتها. لكن، في الآونة الأخيرة، بدأت لطخات بيضاء تشوش أجزاء منها؛ شحمة أذنها، أهدابها، محيط شعرها. لم يحصل أن اختفى شكلها كله بعد، لكن تيدي خاف من الوقت الذي بدأ يسرقها منه، ويسحق أطر الصورة في رأسه. قال: "اشتقت إليك". وخرج إلى منصة المركب.

كان الطقس دافئاً وصافياً في الخارج، لكن مياه البحر مليئةً بخيوط
صدأ داكنة وشحوب رمادي إجمالي، ما يوحي أن شيئاً ما يتراكم في
الأعماق.

ارتشف تشاك القليل من قنينته، وأمال عنقه باتجاه يدي، وقطّب
أحد حاجبيه. هزّ يدي رأسه، وأعاد تشاك القنينة إلى جيب بذلته،
وشدّ معطفه حول وركيه، ونظر إلى البحر.

سأل تشاك: "هل أنت بخير؟ تبدو شاحباً".

هزّ يدي كتفيه. "أنا بخير".

"هل أنت متأكد؟".

أوماً يدي برأسه. "أصبت فقط بدوار البحر".

وقف صامتين لبعض الوقت، فيما البحر يتموج حولهما، مع
تيارات داكنة وحريرية مثل المخمل.

قال يدي: "هل تعرف أنها كانت معتقلاً لأسرى الحرب؟".

قال تشاك: "الجزيرة؟".

أوماً يدي برأسه. "أيام الحرب الأهلية. شيدوا حصناً هناك، ثكنة
عسكرية".

"وماذا يفعلون الآن بالحصن؟".

هزّ يدي كتفه. "لا أعرف. هناك بعض الحصون في عدد من الجزر.

كانت معظمها أهدافاً لقنابل المدفعية خلال الحرب. لم يبقَ منها الكثير".

"لكن... المؤسسة؟".

"حسبما أعرف، إنهم يستخدمون مقرّ الجيش القديم".

قال تشاك: "يدو وكأننا نعود إلى الأساس، أليس كذلك؟".

استدار يدي على الدرابزين: "لا تتمنّ ذلك لنا، ما هي قصتك

هناك، تشاك؟".

ابتسم تشاك. كان أكثر بدانة من تيدي وأقصر منه، فيما رأسه مغطى بشعر أسود مجعد، مع بشرة زيتونية، ويدين نحيلتين ودقيقتين بدتا غير متناسقتين مع شكله، كما لو أنه استعارهما إلى أن تعود يداه الأصليتان من المحل. كشفت وجنته اليسرى عن ندبة صغيرة، ربّت عليها بسبابته.

"أبدأ دوماً من الندبة. يسألني عنها الأشخاص عاجلاً أم آجلاً".
"حسناً".

قال تشاك: "ليست من الحرب. تقول صديقتي إنه يجدر بي القول إنها من الحرب، وأنتهي من الشرح، لكن...". هزّ كتفه. "إنها من لعبة الحرب. حين كنت ولداً. كنت وذلك الولد الصغير نرمي الحجارة على بعضنا بعضاً في الغابة. لم يصبي حجر صديقي، فبقيت على ما يرام، أليس كذلك؟". هزّ رأسه. "ارتطم الحجر بشجرة، وأرسل قطعة من اللحاء إلى وجنتي. هكذا ولدت الندبة".
"من لعبة الحرب".

"نعم، من لعبة الحرب".

"انتقلت من أوريغون".

"سياتل. جئت الأسبوع الماضي".

انتظر تيدي قليلاً، لكن تشاك لم يقدم أي شرح إضافي.

قال تيدي: "كم مضى من الوقت على وجودك مع فرقة المارشالات؟".

"أربعة أعوام".

"تعرف إذاً، كم هي صغيرة".

"طبعاً. تريد أن تعرف لماذا تم نقلتي". أوماً تشاك برأسه، كما لو

أنه يقرر شيئاً في نفسه. "إذا قلت إنني سممت من المطر؟".

برم تيدي راحتي يديه فوق الدرايزين. "إذا قلت ذلك...".
"لكن الفرقة صغيرة، مثلما قلت. يعرف الجميع بعضهم بعضاً.
لذا، سيكون هناك في النهاية - ماذا يقولون - إشاعة؟!"
"هذا وصف صحيح".

"ألقيت القبض على بريك، صحيح؟".
أوماً تيدي برأسه.

"كيف عرفت إلى أين ذهب؟ طارده خمسون رجلاً، وذهبوا جميعاً
إلى كليفلاند. أما أنت فذهبت إلى ماين".

"أمضى فصل الصيف هناك ذات مرة مع عائلته حين كان صغيراً.
ذلك الشيء الذي فعله مع ضحاياه. إنه ما تفعله مع الأحصنة. تحدثت
إلى عمّة أخبرتني أن المرة الوحيدة التي كان فيها سعيداً كانت عند
وجوده في مزرعة أحصنة، قرب منزله المستأجر في ماين. لذا، ذهبت
إلى هناك".

قال تشاك: "أطلقت النار عليه خمس مرات". ونظر إلى زبد
الأمواج في البحر.

قال تيدي: "كنت مستعداً لإطلاق خمس طلقات إضافية، لكنه
احتاج إلى خمس طلقات فقط".

أوماً تشاك برأسه، وبصق فوق الدرايزين. "صديقتي يابانية.
حسناً، ولدت هنا، لكنك تعرف... ترعرعت في مخيم. لا يزال يوجد
الكثير من التوتر هناك؛ بورتلاند، سياتل، تاكوما. لا يحب أحد
وجودي معها".

"لذا، تم نقلك".

أوماً تشاك برأسه، وبصق مجدداً، وشاهد البصقة تسقط في
الرغوة الزبدية.

قال: "يقولون إنها ستكون كبيرة".

رفع تيدي مرفقيه عن الدرايزين ومددهما. كان وجهه رطباً، وشفته مالحتين. غريب كيف استطاع البحر الوصول إليه، فيما لا يذكر ارتطام الرذاذ بوجهه.

رَبَّتْ على جيبي معطفه، بحثاً عن علبة سجائر تشسترفيلد. "من هم الذين سيقولون، ومن هي الكبيرة؟".

قال تشاك: "هم. أصحاب الجرائد، العاصفة. عاصفة كبيرة حسبما قالوا. عملاقة". لَوَّحَ بذراعه إلى السماء الشاحبة، الشاحبة مثل الرغوة المرتطمة بالسفينة. لكن هناك، بمحاذاة الحافة الجنوبية، ثمة خط رفيع من كرات القطن الأرجوانية بدأ يكبر مثل بقع الحبر.

شمَّ تيدي الهواء. "لا تزال تتذكر الحرب، أليس كذلك تشاك؟". ابتسم تشاك بطريقة جعلت تيدي يشك في أنهما بدأ يفهمان بعضهما بعضاً، ويتعلمان كيف يستفزان بعضهما بعضاً.

قال تشاك: "قليلاً، أذكر الركام، الكثير من الركام. ينبش الأشخاص في الركام؛ لكنني أقول إنه مهم. أقول إنه يملك جماله الخاص. المسألة تعود إلى وجهة نظر الشخص".

"تتحدث مثل رواية رخيصة. هل أخبرك بذلك أحد آخر؟". "الأمر قيد البحث". وجه تشاك إلى البحر ابتسامة أخرى من ابتساماته الصغيرة، وتمطط فوق الجزء الخلفي من السفينة، ممدداً ظهره.

رَبَّتْ تيدي على جيبي سرواله، وفتّش في الجيوب الداخلية لسترة بذلته. "تذكر كيف كانت عمليات نشر الجنود ترتبط، غالباً، بتقارير الأحوال الجوية".

فرك تشاك ذقنه بكعب يده. "أوه، نعم، أذكر".

"وهل تذكر كم مرة كانت تقارير الأحوال الجوية تلك صحيحة؟".

قطّب تشاك حاجبيه، وهو يرغب في إعلام تيدي أنه يولي أهمية كبيرة لذلك. ثم زمّ شفثيه وقال: "في ثلاثين بالمئة من الأوقات، حسبما أظن".

"في أفضل الأحوال".

أوما تشاك برأسه. "في أفضل الأحوال".

"وهكذا الآن، بالعودة إلى العالم كما نحن...".

قال تشاك: "أوه لقد عدنا، ويمكن القول، بطريقة خفية".

قمع تيدي ضحكته، وأصبح يستلطف هذا الرجل كثيراً الآن. بطريقة خفية. يا الله!

قال تيدي: "بطريقة خفية، لماذا تصدق الآن التقارير الجوية أكثر مما كنت تفعل حينها؟".

"حسناً"، قال تشاك، فيما ظهر رأس مثلث صغير فوق خط الأفق: "لست واثقاً من أنه يمكن قياس درجة تصديقي بطريقة كمية. هل تريد سيجارة؟".

توقف تيدي وسط جولة ثانية من البحث في الجيوب، ووجد أن تشاك يراقبه، فيما ابتسامته الساخرة ممتدة إلى وجنتيه، مباشرة تحت الندبة. قال تيدي: "كانت معي حين أبجرتنا".

نظر تشاك إلى ما فوق كتفه. "موظفو الحكومة. يسرقونك على غفلة". رجّ تشاك سيجارة من علبة سجائر لاكي خاصته، وأعطاهها إلى تيدي، وأشعلها له بقداحة زيبو النحاسية، فيما ارتفع لهب الكيروزين فوق الهواء المالح، وعثر على الجهة الخلفية لحنجرة تيدي. أغلق تشاك القداحة، ثم فتحها مجدداً، بفتلة معصم، وأشعل سيجارة لنفسه.

زفر تيدي سحابة دخان، واحتفى رأس مثلث الجزيرة للحظة،
وسط سحابة الدخان.

قال تشاك: "وراء البحار، حين يأمرك تقرير الأحوال الجوية
بالذهاب إلى مكان الإنزال، مع عدّة المظلة، أو التوجه إلى رأس
الشاطي، حسناً، يكون الأمر أكثر خطورة، أليس كذلك؟".
"صحيح".

"لكن، بالعودة إلى المنزل، أين هي المشكلة في القليل من
الاعتقاد العشوائي. هذا كل ما أريد قوله، سيدي".

بدأ رأس المثلث يكشف عن نفسه أكثر أمامهما، وامتألت الأقسام
السفلية تدريجياً إلى أن تسطح البحر مجدداً على الجهة الأخرى منه، بحيث
استطاعا رؤية الألوان تتبلور، كما لو أنها مرسومة بريشة فنان. أخضر
متنوع حيث كبرت النباتات على هواها، وخط أسمر على طول الشاطي،
ووجه محمرّ لجرف صخري في الطرف الشمالي. وفي الأعلى، فيما اقتربا
أكثر، بدأ يلاحظان الحواف المسطحة، المستطيلة للمباني نفسها.
قال تشاك: "هذا مثير للشفقة".

"ما هو؟".

"ثمّن التقدم". وضع قدماً واحدة على حبل القطر، وانحنى على
الدرابزين قرب تيدي. "مع التطورات - ولا تزال هناك تطورات، لا
تخدع نفسك، تطورات كل يوم - في مجال الصحة العقلية، سيؤول هذا
المكان عن الوجود. سيقولون عنه بعد عشرين سنة إنه مكان بربري.
حصيلة تعيسة للتأثير الفيكتوري القديم. وسيقولون إنه يجب التخلص
منه بالدمج. سيقولون الدمج سيد الموقف. أهلاً بكم جميعاً في عملية
الدمج. سنهتّم بكم. نعيد تنظيمكم. جميعنا مارشلات. نحن مجتمع
جديد، ولا مكان للاستثناء. لا استثناءات".

اختفت المباني مجدداً وراء الأشجار، لكن تيدي استطاع رؤية الشكل المشوش لبرج مخروطي، ومن ثم زوايا حادة افترض أنها الحصن القديم.

"لكن، هل نخسر ماضينا لضمان مستقبلنا؟". رمى تشاك سيجارته في الرغوة الزبدية. "هذا هو السؤال. ماذا نخسر حين تمسح الأرض، تيدي؟ الغبار. الأوساخ التي كانت ستجلب النمل. لكن ماذا عن قرط الأذن الذي وضعته في غير مكانه؟ هل أصبح الآن في القمامة هو الآخر؟".

قال تيدي: "من هي؟ من أين أنت تشاك؟".
"هناك دوماً هي. أليس كذلك؟".

سمع تيدي هدير المحرك يتبدّل خلفهما، وأحس بالمركب يتمايل قليلاً، واستطاع رؤية الحصن بشكل أوضح الآن فوق الجرف الجنوبي، فيما اقتربا من القسم الغربي للجزيرة. لقد اختفت المدافع، لكن تيدي استطاع تمييز أبراج الهجوم بسهولة. تحولت الأرض إلى هضاب وراء الحصن، وتصورّ تيدي أن الأسوار موجودة هناك، مشوشة وسط المشهد الطبيعي من زوايته الحالية، ثم رأى مستشفى أشكليف في مكان ما وراء الأجراف العالية، يطلّ على الشاطئ الغربي.

قال تشاك: "هل لديك فتاة في حياتك تيدي؟ هل أنت متزوج؟".
"كنت". قال تيدي وهو يتصورّ دولوريس، والنظرة التي وجهتها إليه ذات مرة خلال شهر العسل، وهي تدير رأسها، ويكاد ذقنها يلامس كتفها العارية، والعضلات تتحرك تحت اللحم قرب عمودها الفقري. "لقد ماتت".

ابتعد تشاك عن الدرايزين، وأصبح عنقه وردي اللون. "أوه، يا الله!".

قال تيدي: "لا بأس".

"لا، لا". وضع تشاك راحة يده على صدر تيدي. "إنه... سمعت ذلك. لا أعرف كيف نسيت. قبل عامين، أليس كذلك؟".
أوماً تيدي برأسه.

"يا الله! تيدي، أشعر أنني غبي. فعلاً. أنا آسف جداً".

رآها تيدي مجدداً، وهي تدير له ظهرها، فيما تمشي في ممر الشقة، وترتدي واحدة من قمصان بذلاته القديمة، وتدندن، فيما هي داخله المطبخ، وشعر بالحزن الاعتيادي يسري في عظامه. يفضل فعل أي شيء - حتى السباحة في هذا الماء - بدلاً من الحديث عن دولوريس، عن حقائق وجودها على هذه الأرض لواحد وثلاثين عاماً، ومن ثم موتها. هكذا. كانت لا تزال هناك حين غادر إلى العمل ذلك الصباح. لكنها ماتت بعد الظهر.

لكنه افترض أن الأمر مماثل لندبة تشاك، القصة التي يجب إخبارها قبل المضي قدماً، وإلا ستكون المسألة عالقة دوماً بينهما. كيف؟ أين؟ ولماذا؟

ماتت دولوريس قبل عامين، لكنها تعود إلى الحياة ليلاً في أحلامه، ويمضي أحياناً دقائق كاملة في صباح جديد، وهو يفكر في كيف كانت تخرج من المطبخ، أو تشرب قهوتها على المصطبة الأمامية لشقتهم في باتونوود. صحيح أنها خدعة عقلية قاسية، لكن تيدي تقبل منطقها منذ زمن بعيد؛ فالاستيقاظ، في النهاية، هو حالة فطرية. تستيقظ من دون تاريخ، ثم تبدأ بطرف عينيك والتأؤب بطريقة تشبه ماضيك، وتخلط الأشياء المبعثرة بتسلسل زمني قبل تعزيز نفسك للحاضر.

الأكثر قساوة هي الطرائق التي يمكن للائحة غير منطقية من الأشياء أن تحفز ذكريات زوجته القابعة في دماغه مثل عود ثقاب

مشتعل. لا يستطيع أبداً أن يتوقع ما هو الشيء الذي قد يحفز الذكريات؛ مرشة ملح، مشية امرأة غريبة في شارع مزدحم، قنينة كوكا كولا، لطخة أحمر شفاه على زجاج، وسادة ناعمة...

لكن، بين كل هذه الأشياء، ما من شيء غير منطقي لناحية النسيج الضام، أو أكثر إيلاًماً لناحية التأثير، من الماء؛ الجاري من الصنبور، أو المنهمر من السماء، النازل على الرصيف، أو كما هي الحال الآن، المنتشر حوله لأميال عدة في كل اتجاه.

قال لتشاك: "اندلع حريق في مبنى شقتنا. كنت في العمل. مات أربعة أشخاص. كانت واحدة منهم. الدخان هو الذي قتلها، تشاك، وليس النار. لذا، لم تمت متألمة. ربما ماتت خائفة. ولكن ليس متألمة. هذا هو المهم".

ارتشف تشاك القليل من قنينته، وعرضها على تيدي مجدداً. هزّ تيدي رأسه. "توقفت عن الشرب. بعد الحريق. كانت تقلق بشأن ذلك، هل تعرف؟ كانت تقول إننا نحن الجنود ورجال الشرطة نشرب الكثير من الشراب. لذا...". أحسّ بتشاك قرب، يغرق في الإحراج، وقال: "تعرف كيف تتقبل شيئاً كهذا، تشاك. لا تملك خياراً. مثل كل اللعنات التي رأيناها في الحرب. هل تذكر؟".

أوما تشاك برأسه، وصغرت عيناه مع الذكريات للحظة. قال تيدي بهدوء: "هذا ما تفعله".

قال تشاك في النهاية: "طبعاً". فيما لا يزال وجهه متورداً. ظهر الرصيف، كما لو أنه ظهر بفعل حيلة ضوئية، متمدداً على الرمل، مثل قطعة علكة من هذه المسافة، وهمية ورمادية.

شعر تيدي أنه مصاب بالجفاف منذ خروجه من الحمام، وربما بالقليل من الإرهاق في الدقيقتين الأخيرتين، مهما تعلم تقبل المسألة،

تقبل غيابها، لا يزال ثقل المصيبة ينهكه بين الحين والآخر. ثمة ألم كليلاً استقر في الجهة اليسرى من رأسه، مباشرة خلف عينه، كما لو أنه يتم الضغط بالجهة الخلفية للمعدة قديمة. لا يزال الوقت باكراً جداً لمعرفة إذا كان هذا مجرد تأثير جانبي بسيط للنشفاً، أو بداية صداع عادي، أو تلميحاً أولياً لشيء أسوأ؛ صداع الشقيقة الذي طارده منذ أيام المراهقة، والذي يعود في أوقات مختلفة بقوة كبيرة، بحيث يسلبه النظر مؤقتاً في عين واحدة، ويحوّل الضوء إلى عاصفة هوجاء من المسامير الساخنة، وجعله مرة - مرة واحدة فقط لحسن الحظ - مشلولاً جزئياً ليوم ونصف اليوم. صداع الشقيقة، أو صداعه هو على الأقل، لا يزوره أبداً خلال أوقات الضغط أو العمل، وإنما بعد ذلك، حين يهدأ كل شيء، بعدما تتوقف كل القذائف عن السقوط، بعدما تنتهي المطاردة. بعد ذلك، في المخيم أو الثكنة، أو منذ الحرب، في غرف الفنادق أو في أثناء العودة إلى المنزل، على الطرقات السريعة، يأتي صداع الشقيقة ليفعل أسوأ أفعاله. الحيلة التي تعلمها تيدي منذ زمن بعيد، تقضي بإبقاء نفسه مشغولاً ومركزاً. لا يستطيع صداع الشقيقة اللحاق بك إذا لم تتوقف عن الركض.

قال لتشاك: "هل سمعت الكثير عن هذا المكان؟".

"إنه مستشفى للأمراض العقلية، هذا كل ما أعرفه".

قال تيدي: "للمجانين المحرّمين".

أجاب تشاك: "حسناً، ما كنا سنأتي إلى هنا لو لم يكن كذلك".

راه تيدي وهو يتنسم تلك الابتسامة الخجولة مجدداً. "لا تعرف

أبداً تشاك. لا تبدو لي عاقلاً مئة في المئة".

"قد أحجز ربما سريراً لي في أثناء وجودنا هنا، للمستقبل، بحيث

تأكد من أنهم حجزوا مكاناً لي".

قال تيدي، فيما توقفت المحركات عن العمل للحظات: "ليست فكرة سيئة". وتمايل المركب مع حركة التيار، ثم عادت المحركات للعمل مجدداً، وأصبح تيدي وتشاك أمام البحر المفتوح، فيما تراجع المركب إلى الخلف، في اتجاه الرصيف.

قال تيدي: "حسبما أعلم، إنهم متخصصون في المقاربات الجذرية".

قال تشاك: "الحمراء؟".

أجاب تيدي: "ليس الحمراء. الجذرية فقط. ثمة فرق بين الاثنين".

"لا يمكنك معرفة ذلك مؤخراً".

وافقه تيدي الرأي: "صحيح، لا يمكنك ذلك أحياناً".

"وهذه المرأة هربت، ممن؟".

قال تيدي: "لا أعرف الكثير عن ذلك. هربت الليلة الماضية. دوّنت اسمها في دفترتي. أتصور أنهم سيخبرونا بكل شيء آخر".

نظر تشاك إلى الماء حوله قائلاً: "إلى أين ستذهب؟ هل ستسبح للعودة إلى ديارها؟".

هزّ تيدي كتفه قائلاً: "المرضى هنا يعانون - على ما يبدو - من مجموعة متنوعة من الأوهام".

"انفصام في الشخصية؟".

"نعم، حسبما أظن. لن تعثر هنا على المعاقين الاعتياديين على كل حال. أو على رجل يخاف من تشققات الرصيف، أو ينام كثيراً. حسبما أعرف من الملف، الجميع هنا مجانين فعلاً".

قال تشاك: "لكن ما عدد الأشخاص الذين يتظاهرون بذلك؟ لطالما فكرت في ذلك. هل تذكر فرقة الثمانية التي التقيتها في الحرب؟ كم كان فعلاً عدد المجانين برأيك؟".

"خدمتُ مع رجل في أردن...".
"كنتَ هناك؟".

أولماً تيدي برأسه. "ذاك الرجل، استيقظ ذات يوم وهو يتكلم بالقلوب".

"الكلمات أو العبارات؟".

قال تيدي: "العبارات. كان يقول: الرقيب حضرة اليوم هنا الدم من الكثير يوجد. لكن في أواخر بعد الظهر، عثرنا عليه في حفرة، يضرب رأسه بصخرة. يضربه فقط. مراراً وتكراراً. كنا مذهولين جداً، لدرجة أننا احتجنا إلى دقيقة لإدراك أنه جرح عينيه".
"أنت تكذب عليّ".

هزّ تيدي رأسه. "سمعت من رجل، بعد سنوات، أنه صادف الرجل الأعمى في مستشفى بيطري في سان دييغو. لا يزال يتكلم بالقلوب، وأصيب بنوع من الشلل، لم يستطع أحد من الأطباء تشخيص سببه، وكان يجلس على كرسي نقال قرب النافذة طوال اليوم، يتحدث باستمرار عن محاصيله، وأنه عليه العودة إلى محاصيله. تبين أن الرجل ترعرع في بروكلين".

"حسناً، رجل من بروكلين يظن أنه مزارع، أعتقد أنه من قسم الجانين".

"هذا أمر مؤكد".

التقاهما نائب أمر السجن واردن ماكفرسون عند رصيف المرفأ. كان شاباً بالنسبة إلى رجل في منصبه، وكان شعره الأشقر أطول قليلاً من المألوف، وكشف عن لباقة طفيفة في حركاته، بحيث ربطها تيدي بأهل تكساس، أو بالرجال الذين ترعرعوا حول الأحصنة.

كان محاطاً بالجنود، معظمهم من العبيد مع بعض الرجال البيض ذوي الوجوه المفتقدة إلى الحيوية، كما لو أنه لم يتم إطعامهم كفاية، حين كانوا أطفالاً، وبقوا مذهولين ومنزعجين منذ ذلك الحين.

ارتدى الجنود قمصاناً بيضاء وسراويل بيضاء وتحركوا في مجموعة واحدة. بالكاد ألقوا نظرة على تيدي وتشاك. بالكاد ألقوا نظرة على أي شيء، وإنما تحركوا فقط على الرصيف نحو المركب، وانتظروا حتى يفرغ حمولته.

أخرج تيدي وتشاك بطاقتيهما بناء على الطلب، وأخذ ماكفرسون وقته في تفحصهما، وراح ينقل نظره من بطاقتي التعريف إلى وجهيهما.

قال لهما: "لست واثقاً من أنني رأيت بطاقة مارشال⁽¹⁾ أميركي من قبل".

(1) المارشال هو موظف إداري يقوم بمثل المهام الموكولة إلى الشريف أو عمدة البلدة. أو موظف قضائي مكلف بالقيام بمهام معينة. (المصحح)

أجابه تشاك: "والآن رأيت اثنتين. يوم عظيم".

وجه إلى تشاك ابتسامة كسولة، وأعاد إليه البطاقة.

بدا الشاطئ وكأنه تعرض لهجوم البحر خلال الليالي الفائتة؛ فقد كان مليئاً بالأصداف والأخشاب الطافية، والهاكل العظمية للأسماك الميتة التي أكلتها الحيوانات المفترسة التي تعيش هنا. لاحظ تيدي قمامة لا بد من أنها وصلت إلى هنا من المرفأ الداخلي، علماً معدنية ولفافات ورق مشبعة بالماء، ولوحة سيارة مشطورة وباهتة وخالية من الأرقام، بفعل تأثير الشمس. كانت الأشجار بمعظمها من الصنوبر والقيقب، نخيلة وهزيلة، واستطاع تيدي رؤية بعض المباني عبر الفجوات، مشيدة أعلى الهضبة.

ثمّة احتمال أن دولوريس كانت لتحب هذا المكان، إذ كانت تستمتع بالاستلقاء تحت أشعة الشمس، لكن تيدي أحسّ فقط بالاندفاع المستمر لهواء المحيط، وهو تحذير من البحر أنه يستطيع الثوران حين يشاء، وجرك إلى قعره.

عاد الجنود إلى الرصيف، وهم يحملون البريد والعلب الطبية، ووضعوها في العربات الصغيرة، فيما وقّع ماكفرسون على مستند صغير لتأكيد استلام الأغراض، ثم أعاد المستند إلى أحد حراس المركب وقال الحارس: "سنبحر مجدداً".

طرفت عينا ماكفرسون تحت الشمس.

قال الحارس: "العاصفة. يبدو أن أحداً لا يعرف كيف ستكون".

أوماً ماكفرسون برأسه.

قال تيدي: "سنتصل بالمحطة حين نرغب في العودة".

أوماً الحارس برأسه. قال مجدداً: "العاصفة".

أجابه تشاك: "طبعاً، طبعاً. سنتذكر ذلك".

أخذهما ماكفرسون في طريق ممتد بين الأشجار. وبعد انتهاء الأشجار، بلغوا طريقاً معبداً عبر مسارهم مثل ابتسامة عريضة، ورأى تيدي منـزلين على يمينه ويساره. المنزل إلى اليسار كان الأكثر بساطة بين الاثنين، وهو عبارة عن منزل فيكتوري مسقوف بالقرميد الأحمر الداكن، مع حواف سوداء، ونوافذ صغيرة بدت على شكل أكشاك للحرس. أما المنزل إلى اليمين فكان ثيودوري الطراز ومرتفعاً مثل قصر.

تابعوا طريقهم، وتسلقوا منحدرًا شاهقاً ومكسواً بطحالب البحر قبل أن تصبح الأرض خضراء وملساء حولهم، ومستوية، فيما أصبح العشب أقصر، وأفسح المجال أمام مرج تقليدي ممتد على مسافة مئات السيارات قبل أن يتوقف أمام جدار من الآجر البرتقالي، الذي بدا أنه امتد على طول الجزيرة. بلغ ارتفاع الجدار عشر أقدام، وكان أعلاه مكسواً بشريط من الأسلاك، ولفت انتباه تيدي شيء ما في مظهر الأسلاك. شعر بشفقة مفاجئة على أولئك الأشخاص الموجودين في الجهة الأخرى من الجدار، الذين يعرفون تماماً سبب تركيب الأسلاك، ويدركون جيداً رغبة العالم في إبقائهم محبوسين في الداخل. رأى تيدي عدة رجال يبرزات كحلية مباشرة خارج الجدار، ورؤوسهم إلى الأسفل، فيما يحدقون إلى الأرض.

قال تشاك: "حراس تأديب في مصح عقلي. مشهد غريب، إذا كنت لا تخالفني الرأي سيد ماكفرسون".

قال ماكفرسون: "إنها مؤسسة ذات نظام أمني مشدد، تعمل وفق امتيازين مزدوجين، واحد من مديرية الصحة العقلية في ماساتشوستس، وآخر من القسم الفدرالي للسجون".

قال تشاك: "أفهم ذلك. لطالما تساءلت عن مقدار الأحاديث التي لديكم حول مائدة العشاء".

ابتسم ماكفرسون وهزّ رأسه قليلاً.

رأى تيدي رجلاً أسود الشعر يرتدي البزة نفسها، مثل بقية الحراس، لكن بزته مزينة بالأصفر عند الكتفين مع ياقة بارزة، فيما شارته ذهبية. كان الوحيد الذي مشى ورأسه مرفوع إلى الأعلى، ووضع يده خلف ظهره، فيما مشى بسرعة بين الرجال، ذكّرت مشيته تيدي بكولونيالات التقاهم في الحرب، رجال كانت السيطرة بالنسبة إليهم عبئاً ضرورياً ليس فقط من الحرب، وإنما أيضاً من... حمل كتاباً أسود صغيراً قرب قفصه الصدري، وأوماً في اتجاههم ثم نزل المنحدر الذي جاؤوا هم منه، وتطاير شعره الأسود في الهواء.

قال ماكفرسون: "إنه أمر السجن، ستتعرفان إليه لاحقاً".

أوماً تيدي برأسه، متسائلاً عن سبب عدم لقائهما به الآن، واختفى أمر السجن في الجهة الأخرى من المنحدر.

استخدم أحد الجنود مفتاحاً لفتح البوابة في وسط الجدار، وانفتحت البوابة على مصراعيها ودخل عبرها الجنود مع العربات الصغيرة، فيما اقترب حارسان من ماكفرسون ووقفوا إلى جانبيه.

انصب ماكفرسون في وقفته، بطريقة مهنية الآن، وقال: "سأعطيكما أيها الرجلان المخطط الأساسي للأرض".
"طبعاً".

"ستحصلان أيها الرجلان على كل الامتيازات التي نقدمها، وعلى كل المساعدة التي نستطيع توفيرها. لكن خلال إقامتكما، مهما كانت قصيرة، عليكم الانصياع للبروتوكول. هل هذا مفهوم؟".

أوماً تيدي برأسه، وقال تشاك: "طبعاً".

تُبت ماكفرسون عينيه على نقطة مباشرة فوق رأسيهما. "أنا واثق من أن الدكتور كاولي سيشرح لكما تفاصيل البروتوكول، لكن عليّ التشديد على الآتي: ممنوع الاتصال غير المراقب بالمرضى الموجودين في هذه المؤسسة. هل هذا مفهوم؟".

كاد تيدي يقول: نعم سيدي كما لو أنه عاد إلى المدرسة العسكرية، لكنه توقف، واكتفى بقول: "نعم". ببساطة.

"الجناح أ في هذه المؤسسة هو المبنى الموجود إلى يميني، جناح الرجال. الجناح ب، جناح النساء، موجود إلى يساري. أما الجناح ج فهو تلك الأجراف العالية الموجودة مباشرة خلف هذا المجمع ومقرّ الموظفين، موجود في، ما كان سابقاً، فورت والتون. ممنوع دخول الجناح ج من دون موافقة خطية والحضور الفعلي لأمر السجن والدكتور كاولي على حدّ سواء. هل هذا مفهوم؟".

أوماً الرجلان مجدداً برأسيهما.

مد ماكفرسون راحة إحدى يديه، كما لو أنه يتوسل الشمس. "والآن أطلب منكما تسليم سلاحكما".

نظر تشاك إلى تيدي. هزّ تيدي رأسه.

قال تيدي: "سيد ماكفرسون، نحن مارشلان فدراليان معينان بمهمة رسمية. ويطلب منا القانون حمل سلاحنا على الدوام".

صاح صوت ماكفرسون في الهواء مثل الكابل الفولاذي. "الأمر التنفيذي 391 من القانون الفدرالي للسجون والمؤسسات الخاصة بالجائنين المجرمين ينص على أن تبطل رخصة حمل الأسلحة بناءً على الأمر المباشر للمسؤولين المباشرين، أو الأشخاص المسؤولين عن رعاية وحماية السجن، أو مرافق الصحة العقلية. لا يمكنكما أيها الرجلان أن

تكونا استثناءً على القانون. لن يسمح لكما بعبور هذه البوابة مع سلاحكما".

نظر تيدي إلى تشاك. حتى تشاك رأسه صوب راحة يد ماكفرسون الممددة وهز كتفه.

قال تيدي: "نودّ تسجيل استثناءنا في السجل".

قال ماكفرسون: "أيها الحارس، دوّن من فضلك استثناء المارشلين دانيالز وأول".

"حاضر سيدي".

قال ماكفرسون: "أيها السادة".

قام الحارس إلى يمين ماكفرسون بفتح كيس جلدي صغير. فتح تيدي معطفه، وأخرج مسدس الخدمة من قرابه. فتح أسطوانة المسدس بنقرة من معصمه ثم وضع المسدس في يد ماكفرسون. سلّمه ماكفرسون إلى الحارس، ووضعه الحارس في الكيس الجلدي، ومدّ ماكفرسون يده مجدداً.

كان تشاك أبطأ قليلاً مع سلاحه، فتحسس بارتباك قراب المسدس، لكن ماكفرسون لم يتململ وإنما انتظر حتى وضع تشاك المسدس بطريقة غريبة في يده.

سلّم ماكفرسون المسدس إلى الحارس، ووضعه الحارس في الكيس الجلدي وخرج عبر البوابة.

قال ماكفرسون بهدوء، وتناثرت كلماته مثل الأوراق: "سيتم الاحتفاظ بسلاحكما في غرفة الممتلكات مباشرة، خارج مكتب آمر السجن، الموجود في مبنى المستشفى الرئيس في وسط المجمّع. يمكنكما الحصول عليهما مجدداً يوم رحيلكما". عادت فجأة ابتسامة ماكفرسون العريضة والعفوية. "حسناً، انتهينا الآن من الأمور الرسمية. لا أعرف

الكثير عنكما، لكنني مسرور بلقائكما. ما رأيكما في الذهاب لرؤية الدكتور كاولي؟".

استدار، وتوجه نحو البوابة، ثم أغلق البوابة بعدما خرجوا جميعاً.

داخل الجدار، كان العشب الأخضر ممتداً على جانبي طريق رئيس مصنوع من الآجر نفسه الذي يغطي الجدار. كان بستانيون بكواحل مكبلة بالأغلال يهتمون بالعشب والأشجار والأزهار، وحتى مجموعة من أشجار الورد المزروعة حول المستشفى. كان البستانيون محاطين بالجنود، ورأى تيدي مرضى آخرين مكبلين بأغلال يمشون على الأرض بخطى غريبة مثل البط. معظمهم كانوا من الرجال، مع عدد قليل من النساء.

قال ماكفرسون: "حين جاء أول الأطباء إلى هنا، كانت كل المساحة عبارة عن طحالب بحرية، وأشجار خفيضة. يجدر بكما رؤية الصور. أما الآن...".

إلى يمين ويسار المستشفى، انتصب مبانٍ متشابهة من الآجر الأحمر مع حواف مطلية بالأبيض، ونوافذ مغطاة بقضبان حديدية، فيما الألواح الزجاجية أصبحت صفراء نتيجة الملح ورذاذ البحر. أما المستشفى نفسه فكان فاحم اللون، فيما أصبح آجره ناعماً بفعل تأثير البحر، وارتفع ستة طوابق إلى أن أصبحت النوافذ الناتئة من السقف المائل مطلة عليها.

قال ماكفرسون: "تم تشييده على أنه المقرّ الرئيس لكتيبة الجنود مباشرة قبل الحرب الأهلية. ويبدو أنه كانت هناك بعض التصاميم لجعل هذا المكان مرفقاً للتدريب. والملفت أنهم ركّزوا على الحصن، ومن ثم على تحويل ذلك إلى معتقل لأسرى الحرب".

لاحظ تيدي البرج الذي رآه من المركب. كان رأسه أعلى قليلاً من مستوى الأشجار في الطرف البعيد من الجزيرة.
"ما هو هذا البرج؟".

قال ماكفرسون: "إنه منارة قديمة. لم يتم استعمالها منذ بداية القرن التاسع عشر. كان جيش الاتحاد يضع حراس المراقبة هناك، أو هكذا سمعت، لكنها تحولت الآن إلى مرفق للمعالجة".
"للمرضى؟".

هزّ رأسه. "المياه الجارية. لن تصدق ما الذي يوجد في هذه المياه! قد يبدو المنظر جميلاً من المركب، لكن كل قطعة نفايات، من كل نهر في هذه الولاية تصل إلى المرفأ الداخلي، ثم تنتقل إلى المرفأ الوسطي، وتصل في النهاية إلينا".

"مذهل!". قال تشاك وهو يشعل سيجارة، ثم أخرجها من فمه وتناوب قليلاً، فيما طرفت عيناه تحت الشمس.

"وراء الجدار، في هذه الناحية" - أشار إلى وراء الجناح ب -
"يوجد المقرّ الرئيس للقيادة. ربما رأيتماه في طريقكما إلى هنا. كلّف تشييده ثروة في ذلك الحين، وأعفى القائد من مهامه حين دفع العم سام الفاتورة. يجدر بكما رؤية ذلك المكان".

قال تيدي: "من يعيش هناك الآن؟".
أجاب ماكفرسون: "الدكتور كاوي. لم يكن ليوجد أي شيء من هذا لولا الدكتور كاوي، وأمر السجن. لقد حققا شيئاً فريداً فعلاً هنا".

انتقلوا إلى الجهة الخلفية من المجمع، والتقوا بالمزيد من البستانيّين المكبلين والجنود، وكان العديد منهم يجرفون الأرض قرب الحائط الخلفي. من بين البستانيّين امرأة في حريف العمر مع شعر بلون القمح،

أصبح تاج رأسها شبه أصلع، حدّقت إلى يدي في أثناء مروره، ثم رفعت إصبعاً واحدة إلى شفيتها. لاحظت يدي ندبة حمراء داكنة، سميكة مثل عرق السوس، على طول حنجرتها. ابتسمت، فيما لا تزال الإصبع فوق شفيتها، ثم هزّت رأسها ببطء شديد له.

قال ماكفرسون، فيما عادوا مجدداً إلى الجهة الأمامية للمستشفى: "كاولي أسطورة في مجاله، كان الأول في صفه في جامعتي جون هوبكينز وهارفارد على حدٍ سواء، ونشر أول دراسة له حول الأمراض العقلية في عمر العشرين. تمت استشارته مرات عدة من قبل اسكوتلاند يارد، وMI5، ومكتب الخدمات الاستراتيجية".

سأل تيدي: "لماذا؟".

"لماذا؟".

أوماً تيدي برأسه. بدا السؤال منطقيّاً.

"حسناً...". بدا ماكفرسون نائهاً.

قال تيدي: "لماذا تستشير جماعة مكتب الخدمات الاستراتيجية طبيباً نفسياً؟".

قال ماكفرسون: "عمل الحرب".

فان تيدي ببطء: "صحيح، لكن أي نوع؟".

قال ماكفرسون: "النوع المصنّف، أو هكذا أفترض".

قال تشاك، وهو ينظر إلى يدي بعين مذهولة: "كم هو مصنّف،

إذا كنا نتحدث عن ذلك؟".

توقف ماكفرسون أمام المستشفى، ووضع قدمه على أول درجة.

بدا مرتبكاً. نظر للحظة إلى الجدار البرتقالي ثم قال: "حسناً، أظن أنه

يمكنك سؤاله. يفترض أن يكون انتهى من اجتماعه الآن".

صعدوا السلم، ودخلوا إلى ردهة رخامية، وكان السقف فوقهم على شكل قوس مقبب. انفتحت بوابة حين اقتربوا منها، وانتقلوا عبرها إلى غرفة كبيرة حيث جلس موظف أمام مكتبه إلى جهة اليمين، وجلس موظف آخر قبالة، إلى جهة اليسار، فيما امتد خلفهما رواق طويل يفضي إلى بوابة أخرى. أظهروا بطاقاتهم إلى الحارس عند وصولهم إلى السلم العلوي ودوّن ماكفرسون أسماءهم الثلاثة على ورقة، فيما تحقق الموظف من بطاقتيهما وهويتهما وأعادها إليهما. وراء الموظف، يوجد قفص، ولاحظ تيدي وجود رجل بداخله يرتدي بزة شبيهة ببزة آمر السجن، فيما المفاتيح معلقة في حلقات على الجدار خلفه.

صعدوا إلى الطابق الثاني، وانتقلوا إلى رواق فاحت منه رائحة صابون الخشب، فيما لمعت أرضية السنديان تحت أقدامهم، وسطعت بفعل الضوء الأبيض الداخل من النافذة الكبيرة في الطرف البعيد. قال تيدي: "الأمن مشدد جداً".

أجاب ماكفرسون: "توخى كل درجات الحيلة والحذر". قال تشاك: "من أجل سلامة الشعب، سيد ماكفرسون، أنا واثق من ذلك".

قال ماكفرسون وهو يستدير نحو تيدي، فيما مرّوا أمام مكاتب عدة، كانت أبوابها كلها موصدة وعليها أسماء أطباء محفورة على صفائح فضية صغيرة: "عليك أن تفهم أنه لا يوجد مثل هذا المرفق في الولايات المتحدة. نحن نستقبل المرضى الأكثر سوءاً. نستقبل الذين لا يستقبلهم أي مرفق آخر".

قال تيدي: "غرايس موجود هنا، أليس كذلك؟".

أوما ماكفرسون برأسه. "نعم، فنسنت غرايس في الجناح ج".

قال تشاك لتيدي: "هل كان غرايس الشخص الذي...؟".
أوماً تيدي برأسه. "الذي قتل كل أقاربه، وسلخ جلود رؤوسهم
وصنع لنفسه منها قبعات".
كان تشاك يومئٍ بسرعة. "ووضعها خلال تنقله في البلدة، أليس
كذلك؟".

"حسبما ذكرت الصحف".

توقفوا أمام بايين مزدوجين. ثمّة صفيحة نحاسية مثبتة على وسط
الباب الأيمن كتب عليها: "مسؤول الموظفين، الدكتور ج. كاولي".
استدار ماكفرسون نحوهما، ووضع يده على مقبض الباب، ثم نظر
إليهما بشدة غير مفهومة.

قال ماكفرسون: "في عصر أقل تحضراً من عصرنا، كان ليحكم
على مريض مثل غرايس بالإعدام. لكنهم يستطيعون هنا دراسته،
وتحديد مرضه، وربما عزل الشذوذ عن دماغه الذي دفعه للابتعاد تماماً
عن أنماط السلوك المقبولة. إذا استطاعوا فعل ذلك، ربما نستطيع
التوصل يوماً ما إلى طريقة للتخلص تماماً من هذا النوع من الجرائم في
المجتمع".

بدا وكأنه ينتظر جواباً، إذ بقيت يده متصلبة على مقبض الباب.
قال تشاك: "الأحلام جيدة، ألا تظن ذلك؟".

كان الدكتور كاولي نحيلاً إلى درجة الهزل. ليس مثل العظام والغضاريف الطافية، التي رآها تيدي في داتشاو، وإنما يحتاج حتماً إلى عدة وجبات جيدة. كانت عيناه الداكنتان الصغيرتان غارقتين في محجريهما، وألقتا بظلالهما على بقية وجهه. كانت وجنتاه غارقتين جداً، بحيث بدتا منهارتين، وكان اللحم حولهما مليئاً ببثور قديمة العهد. كانت شفثاه وأنفه نحيلة مثل بقية جسمه، وبدا ذقنه مفلطحاً لدرجة عدم الوجود تقريباً. ما بقي من شعره كان داكناً بقدر عينيه والظلال التي تحتهما.

إلا أنه كشف عن ابتسامة متفجرة، ساطعة ومليئة بالثقة التي جعلت بؤبؤيه يشرقان، واستخدم الآن هذه الابتسامة، فيما استدار حول مكتبه لإلقاء التحية عليهما، ومدّ لهما يده. قال: "مارشال دانيالز ومارشال أول، أنا مسرور لأنكما جئتما بهذه السرعة".

كانت يده جافة وناعمة جداً في يد تيدي، وكانت قبضة يده قوية لدرجة أنها سحقت العظام في يد تيدي فأحسّ تيدي بالضغط يصل إلى ساعده. تألأت عينا كاولي للحظات، كما لو أنه أراد القول، لم تتوقع هذا، أليس كذلك؟ ثم انتقل إلى تشاك.

صافح تشاك وقال: "سررت بلقائك سيدي". ثم اختفت الابتسامة عن وجهه، وقال لماكفرسون: "هذا كل شيء للوقت الحاضر، حضرة نائب آمر السجن. شكراً لك".

قال ماكفرسون: "نعم سيدي. عذراً أيها السادة". وانسحب من الغرفة.

عادت ابتسامة كاولي، لكنها أصبحت أكثر لزوجة وذكّرت تيدي بالغشاء الذي يتكوّن فوق طبق الحساء. "إنه رجل طيب، ماكفرسون، متحمس". قال تيدي وهو يجلس أمام المكتب: "لأيّ أمر؟". اختفت ابتسامة كاولي مجدداً، وتبعد جانب واحد من وجهه، وبقي جامداً للحظة. "عذراً!".

قال تيدي: "إنه متحمس، ولكن لأي أمر هو متحمس؟". جلس كاولي وراء المكتب المصنوع من خشب الساج، وبسط ذراعيه. "متحمس للعمل. ثمة انصهار معنوي بين القانون والنظام والرعاية السريرية. قبل نصف قرن من الزمن، أو حتى أقرب من ذلك، في عدد من الحالات، كان يسود الاعتقاد بضرورة تقييد المرضى الذين نستقبلهم هنا بالأغلال، وتركهم لوحدهم مع قذاراتهم. كان يتم ضربهم بشكل نظامي، كما لو أن هذا سيخرج المرض من داخلهم. كنا نحولهم إلى شياطين. كنا نعذبهم. كنا نضعهم على مصبغات حديدية، نعم. ندخل المسامير في أدمغتهم. أو حتى نغرقهم أحياناً". سأل تشاك: "والآن؟".

"الآن نعالجهم، معنوياً. نحاول شفاءهم. وإذا أخفقنا، نوفر لهم على الأقل مقداراً من الهدوء في حياتهم". سأل تيدي: "وماذا عن ضحاياهم؟". رفع كاولي حاجبيه، وانتظر.

قال تيدي: "إنهم جميعاً مجرمون عنيفون، أليس كذلك؟". أوماً كاولي برأسه. "نعم، في غاية العنف".

قال تيدي: "لقد ألحقوا إذاً، الأذى بأشخاص. وقتلوهم في العديد من الحالات".

"نعم، في أغلبها".

"ما هي إذاً، أهمية إحساسهم بالهدوء بالنسبة إلى ضحاياهم؟".

قال كاولي: "لأن مهمتي هي معالجتهم هم، وليس ضحاياهم. لا أستطيع مساعدة ضحاياهم. إنها طبيعة أي عمل، كل عمل في الحياة له قيود. هذا هو عملي. أستطيع فقط الاهتمام بالمرضى الذين هم عندي". ابتسم. "هل شرح السيناتور الوضع؟".

نظر تشاك وتيدي بسرعة إلى بعضهما بعضاً، فيما جلسا.

قال تيدي: "لا نعرف أي شيء عن السيناتور، أيها الدكتور. تم تعييننا من قبل المكتب الحكومي".

أسند كاولي مرفقيه على دفتر أخضر، موضوع فوق المكتب، وشبك يديه، ووضع ذقنه فوقهما، وحدّق إليهما من فوق حافة نظارته.

"لقد أخطأت إذاً. ماذا قيل لكما؟".

"نعرف أنك فقدت سجيناً"، وضع تيدي دفتره على ركبتيه، وقلب صفحاته. "اسمها راشايل سولاندو".

"مريضة". وجّه إليهما كاولي ابتسامة صفراوية.

قال تيدي: "مريضة، أعذر. نعرف أنها هربت خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية".

كانت إيماءة كاولي على شكل انحناء بسيط للذقن واليدين. "الليلة الفائتة، بين العاشرة ومنتصف الليل".

قال تشاك: "ولم يتم العثور عليها بعد".

"صحيح، أيها المارشال...". رفع يده باعتذار.

قال تشاك: "أول".

اختفى وجه كاولي بين يديه، ولاحظ تيدي نقاطاً من الماء على النافذة خلفه. لم يعرف ما إذا كان مصدرها السماء أو البحر.

قال كاولي: "هل اسمك تشارلز؟".

أجاب تشاك: "نعم".

قال كاولي: "سأناديك إذا تشارلز، ولكن ليس بالضرورة أول".

"هذا من حسن حظي".

"لماذا؟".

قال تشاك: "لا نختار أسماءنا بأنفسنا. لذا، من الجميل أن ييدي

شخص إعجابه بأحد الاسمين على الأقل".

قال كاولي: "من اختار اسمك؟".

"أهلي".

"واسم شهرتك؟".

هزّ تشاك كتفه. "ومن يعرف؟ علينا العودة عشرين جيلاً إلى

الخلف".

"أو لجيل واحد".

انحنى تشاك إلى الأمام على كرسيه. "عذراً؟".

قال كاولي: "أنت يوناني أو أرمني، أيهما؟".

"أرمني".

"إذاً، أول كان...".

"آناسماجيان".

حوّل كاولي نظره إلى تيدي. "وأنت؟".

قال تيدي: "دانيالز. إيرلنديّ من عشرة أجيال". وجه ابتسامة صغيرة

إلى كاولي. "ونعم، أستطيع العودة إلى تاريخ جنوري، أيها الطبيب".

"لكن ما هو اسمك الأول؟ تيودور؟".
"إدوارد".

أرجع كاولي كرسيه إلى الخلف، وأفلت ذقنه من يديه. نقر على فتاحة رسائل فوق حافة المكتب، وكان الصوت ناعماً ومطرداً مثل صوت الثلج المتساقط على سقف.

"زوجتي اسمها مارغريت. لكن ما من أحد يناديها هكذا سواي. بعض أصدقائها القدامى ينادونها مارغو، وهذا منطقي نوعاً ما، لكن الآخرين ينادونها بيغي. لا أفهم ذلك أبداً".
"ماذا؟".

"كيف جاء بيغي من مارغريت. واللافت أن الاسم شائع جداً. أو كيف جاء تيدي من إدوارد. لا يوجد حرف الباء في مارغريت ولا حرف التاء في إدوارد".
هزّ تيدي كتفه. "ما اسمك الأول؟".
"جون".

"هل ناداك أحد يوماً جاك؟".

هزّ رأسه. "معظم الأشخاص ينادوني أيها الطبيب".
سال الماء قليلاً على النافذة، وبدأ أن كاولي يراجع حديثهم في رأسه، فشردت عيناه قليلاً، ثم قال تشاك: "هل تعتبر الآنسة سولاندو خطيرة؟".

قال كاولي: "كشف كل مرضانا عن ميل إلى العنف. ولهذا السبب، هم هنا. أغرقت أولادها الثلاثة في البحيرة، وراء منزلها. أخرجتهم إلى هناك الواحد تلو الآخر، ووضعت رؤوسهم تحت الماء حتى ماتوا. ثم أعادتهم إلى المنزل، ووضعتهم حول طاولة المطبخ، وتناولت وجبة طعام هناك، قبل أن يدخل أحد جيراتها".

سأل تشاك: "هل قتلت جاره؟".

ارتفع حاجبا كاولي، وأصدر تنهيدة صغيرة. "لا. دعتني للجلوس وتناول الفطور معها. رفض طبعاً، واتصل بالشرطة. لا تزال راشيل تعتقد أن أولادها أحياء وينتظرونها. قد يمرر ذلك سبب محاولتها الهرب".

قال تيدي: "للمرة إلى المنزل".

أوماً كاولي برأسه.

سأل تشاك: "وأين يقع منزلها؟".

"في بلدة صغيرة في بيركشاير. على مسافة مئة وخمسين ميلاً تقريباً من هنا". أدار كاولي رأسه وأشار إلى النافذة التي خلفه. "للسباحة في هذا الاتجاه، لا يمكن بلوغ اليابسة قبل أحد عشر ميلاً. وللسباحة شمالاً، لا يمكن بلوغ اليابسة إلا عند نيوفاوندلاند".

قال تيدي: "هل قمتم بتفتيش المكان؟".

"نعم".

"جيداً؟".

احتاج كاولي إلى بضعة ثوانٍ للإجابة، ولعب برأس حصان فضي موضوع على زاوية مكتبه. "أمضى أمر السجن ورجاله ومجموعة من الجنود الليل بكامله، وقسموا كبيراً من الصباح في تفتيش الجزيرة، وكل مبنى في المؤسسة. لا أثر لها. والمقلق أكثر هو أننا لا نعرف كيف استطاعت الخروج من غرفتها. كانت الغرفة مقفلة من الخارج، وثمة قضبان حديدية على نافذتها الوحيدة. لم نثر على أي دليل أنه تم العبث بالأقفال". أبعد عينيه عن الحصان، ونظر إلى تيدي وتشاك. "يبدو وكأنها تبخرت عبر الجدران".

دوّن تيدي كلمة تبخرت على دفتره. "وهل أنت واثق من أنها كانت في تلك الغرفة عند ضغط زر إيقاف تشغيل الإنارة؟".

"نعم".

"وكيف ذلك؟".

رفع كاولي يده عن الحصان، وضغط على زرّ النداء في هاتفه الداخلي. "المرضة مارينو؟".

"نعم دكتور".

"اطلبي، من فضلك، من السيد غانتون أن يدخل".

"فوراً دكتور".

ثمة طاولة صغيرة قرب النافذة مع إبريق ماء وأربعة أكواب زجاجية عليها. توجه كاولي إليها وملاً ثلاثة أكواب ماءً. وضع واحداً أمام تيدي وواحداً أمام تشاك، وأخذ كوبه ووضعه أمامه على المكتب. قال تيدي: "لا تملك بعض الأسيرين هنا، أليس كذلك؟".

وجه إليه كاولي ابتسامة صغيرة. "أعتقد أننا نستطيع تدبر أمرنا". فتش في درج مكتبه، وأخرج علبة من باير. "حبتين أو ثلاثاً؟". "أفضل ثلاث حبات". شعر تيدي أن الألم بدأ خلف عينه.

أعطاه كاولي الحبات عبر المكتب، ووضعهما تيدي في فمه، ثم شرب الماء.

"هل أنت عرضة للصداع أيها المارشال؟".

قال تيدي: "عرضة لدوار البحر لسوء الحظ".

أوماً كاولي برأسه. "آه. مصاب بالجفاف".

أوماً تيدي برأسه، وفتح كاولي علبة سجائر، وسلّمها مفتوحة إلى تيدي وتشاك. أخذ تيدي سيجارة. هزّ تشاك رأسه، وأخرج علبته الخاصة، أشعلوا هم الثلاثة سجائرهم فيما فتح كاولي النافذة خلفه.

جلس مجدداً خلف مكتبه، ومرر فوق المكتب صورة فوتوغرافية لامرأة شابة، جميلة، وجهها ملطخ بهالات سوداء تحت عينيها، وكانت

الهالات داكنة بقدر شعرها الأسود. أما عيناها فكانتا كبيرتين جداً، كما لو أن شيئاً ساخناً يخزهما من داخل رأسها. ما رأيته وراء عدسة الكاميرا، وراء المصور الفوتوغرافي، وراء أي شيء في العالم المعروف ربما لم يكن لطيفاً.

ثمة شيء مألوف على نحو مزعج فيها، ثم أجرى تيدي الربط؛ تذكر شاباً رآه في المحيم لم يكن يتناول الطعام الذي يعطونه إياه. اتكأ على جدار تحت شمس إبريل، وكشفت عيناه عن النظرة نفسها إلى أن أغلق جفنيه أخيراً، وأضافوه في النهاية إلى كومة الجثث في محطة القطار.

أطلق تشاك صغيراً خفيفاً. "يا الله!".

ميج كاولي سيجارته. "هل هذا رد فعلك على جمالها الظاهري أو على جنونها الظاهري؟".

أجاب تشاك: "على الاثنين".

هاتان العينان، فكّر تيدي. كانتا تصرخان بقوة بالرغم من تجمدهما في الزمان. ترغب في دخول الصورة والقول: "لا، لا، لا. لا بأس، لا بأس. شششش". ترغب في الإمساك بها إلى أن يتوقف كل الارتجاف، وتقول لها إن كل شيء سيكون على ما يرام".

فُتح باب المكتب، ودخل شخص أسود طويل مع بقع رمادية في شعره وكان يرتدي البزة البيضاء الخاصة بالمرضى.

قال كاولي: "سيد غانتون، إنهما الرجلان اللذان أخبرتك عنهما؛ المارشالان أول ودانيالز".

وقف تيدي وتشاك وصافحا غانتون، وشعر تيدي بخوف قوي، صادر من الرجل، كما لو أنه لا يرتاح لمصافحة رجال القانون، ربما صدر بحقه حكم أو حكمان خارجاً، في العالم.

"يعمل السيد غانتون معنا منذ سبعة عشر عاماً. إنه مسؤول
المرضى هنا. السيد غانتون هو الذي رافق راشايل إلى غرفتها الليلة
الفاتنة. سيد غانتون!".

شيك غانتون كاحليه، ووضع يديه على ركبتيه، وانحنى قليلاً إلى الأمام،
ووجه عينيه إلى حدائه. "كانت هناك مجموعة في التاسعة مساءً. ثم...".
قال كاولي: "إنها جلسة علاج جماعي يقودها الدكتور شيهان
والممرضة مارينو".

انتظر غانتون حتى تأكد من إنهاء كاولي كلامه قبل أن يبدأ مجدداً.
"إذاً، نعم. كانوا في مجموعة وانتهت الجلسة قرابة العاشرة. رافقت
راشايل إلى غرفتها. دخلت، أغلقت الباب عليها من الخارج. نتحقق
من الغرف كل ساعتين خلال الليل. عدت في منتصف الليل. نظرت
إلى الداخل، وكان سريرها فارغاً. تصوّرت أنها ربما على الأرض. يفعل
المرضى ذلك كثيراً، النوم على الأرض. فتحت الباب...".

كاولي مجدداً: "باستعمال مفاتيحك، صحيح، سيد غانتون؟".
أوماً غانتون إلى كاولي، ونظر مجدداً إلى ركبتيه. "استخدمت
مفاتيحي، نعم لأن الباب مقفل. دخلت. لم أعر على الآنسة راشايل
في أي مكان. أغلقت الباب، وتحققت من النافذة والقضبان. كانت
مغلقة بإحكام أيضاً". هزّ كتفه. "اتصلت بأمر السجن". نظر إلى
كاولي، ووجه إليه كاولي إيماءة أبوية هادئة.

"هل من أسئلة أخرى أيها السيدان؟".

هزّ تشاك رأسه.

رفع تيدي رأسه عن دفتريه وقال: "سيد غانتون، قلت إنك
دخلت الغرفة وتأكدت من أن المريضة ليست موجودة في الداخل. ماذا
يعني ذلك؟".

"سيدي؟".

قال تيدي: "هل هناك خزانة؟ مساحة تحت السرير تستطيع الاختباء تحتها؟".

"الاثنان".

"وتحققت من هذين المكانين؟".

"نعم سيدي".

"والباب لا يزال مفتوحاً".

"سيدي؟".

"قلت إنك دخلت الغرفة، ونظرت حولك، ولم تعثر على المريضة. ثم أغلقت الباب ورائك".

"لا، أنا... حسناً...".

انتظر تيدي، ومجّ مجدداً السيجارة التي أعطاه إياها كاولي. كانت سيجارة ناعمة، أغنى من سجائر التشسترفيلد خاصته، وكانت رائحة الدخان مختلفة أيضاً، حلوة تقريباً.

قال غانتون: "استغرق الأمر كله خمس ثوانٍ، سيدي. لا باب للخزانة. نظرت داخلها، نظرت تحت السرير، وأغلقت الباب. لا مكان لتختبئ فيه. الغرفة صغيرة".

قال تيدي: "لكن، على الجدار؟ إلى يمين الباب أو يساره؟".

"لا". هزّ غانتون رأسه، وللمرة الأولى رأى تيدي أنه ملح غضباً في عينيه، إحساساً باستياء أولي وراء العينين المخفضتين ووراء "نعم سيدي"، و"لا سيدي".

قال كاولي لتيدي: "هذا غير محتمل، فهمت قصدك أيها المارشال، لكن حين ترى الغرفة، ستفهم أن السيد غانتون ما كان ليفوّت رؤية المريضة لو كانت واقفة في أي مكان ضمن الجدران الأربعة".

قال غانتون: "هذا صحيح". وقد حذق الآن مباشرة إلى تيدي، ولاحظ تيدي أن الرجل يملك كبرياء في مبادئ عمله، وقد أهانه تيدي من خلال أسئلته.

قال كاولي: "شكراً لك سيد غانتون. هذا كل شيء للوقت الحاضر".

وقف غانتون، وحدقت عيناه إلى تيدي لبضع ثوانٍ إضافية، ثم قال: "شكراً لك دكتور". وغادر الغرفة.

ساد هدوءٌ لدقيقة، فأهّى الرجال الثلاثة سحائرهم ثم أطفأوها في المنافض، قبل أن يقول تشاك: "أظن أنه علينا رؤية الغرفة الآن، دكتور". قال كاولي: "طبعاً". ونهض من وراء مكتبه، وحمل في يده علاقة مفاتيح كبيرة. "اتبعاني".

كانت غرفة صغيرة جداً يفتح بابها إلى الداخل وإلى اليمين، فيما الباب مصنوع من الفولاذ والمفاصل مزينة جيداً بحيث التصق الباب تماماً بالجدار إلى اليمين. إلى اليسار، ثمة مساحة صغيرة من الجدار، وبعدها خزانة خشبية صغيرة مع بضعة أثواب فضفاضة وسراويل معلقة في علاقات خشبية.

اعترف تيدي: "تصح الآن تلك النظرية". أوماً كاولي برأسه. "لا يوجد مكان لها لتختبئ من أي شخص يقف عند هذا الباب".

قال تشاك: "حسناً، السقف". نظر الثلاثة إلى أعلى، وكشف كاولي عن ابتسامة.

أغلق كاولي الباب خلفهم، وأحس تيدي فجأة بشعور السجين في داخله. يمكنهم القول إنها غرفة، لكنها في الواقع زنزانة.

النافذة الموجودة فوق السرير الضيق، كانت مغطاة بالقضبان الحديدية. ثمة منضدة صغيرة على الجدار الأيمن، فيما الأرضية والجدران مصنوعان من الاسمنت الأبيض. مع وجودهم هم الثلاثة في الغرفة، بالكاد كان هناك مجال للتحرك من دون ارتطام الأطراف ببعضها.

قال تيدي: "من يستطيع أيضاً الدخول إلى الغرفة؟".
"في هذا الوقت من المساء ثمة عدد قليل من الأشخاص يملكون سبباً للوجود في الجناح".

قال تيدي: "طبعاً. ولكن من يستطيع الدخول إليها؟".
"المرضون طبعاً".

قال تشاك: "والأطباء؟".

قال كاولي: "حسناً، الممرضات".

سأل تيدي: "ألا يملك الأطباء مفاتيح لهذه الغرفة؟".

أجاب كاولي، مع بعض الانزعاج: "بلى، لكن عند العاشرة مساءً، يكون الأطباء قد خرجوا لقضاء الليل".
"وسلموا مفاتيحهم؟".

"نعم".

قال تيدي: "وهل من سجل لذلك؟".

"نعم، أتابعه".

قال تشاك: "عليهم التوقيع على استلام المفاتيح وتسليمها، أيها الطبيب، وهذا ما نسأل عنه".
"طبعاً".

قال تيدي: "ونريد التحقق من سجل الليلة الفائتة".

"نعم، نعم، طبعاً".

قال تشاك: "يكون هذا السجل موجوداً في القفص الذي رأيناه في الطابق الأول. القفص الذي يوجد حارس داخله، وجدار المفاتيح خلفه؟".

أعطاه كاولي إيماءة سريعة.

قال تيدي: "وملفات الموظفين، تلك الخاصة بالفريق الطبي والمرضى والحراس. نريد الاطلاع على تلك الملفات".
حدّق إليه كاولي، كما لو أن وجه تيدي مليء بالبعوض الأسود.
"لماذا؟".

"ثمة امرأة اختفت من غرفة مقفلة، دكتور! هربت على جزيرة صغيرة جداً ولا يستطيع أحد العثور عليها! عليّ التفكير، على الأقل، أنها حصلت على المساعدة".
قال كاولي: "سنرى".
"سنرى؟".

"نعم أيها المارشال. عليّ التحدث مع آمر السجن وبعض الموظفين الآخرين. سنحدد الاستجابة لطلبك بناء على...".
قال تيدي: "دكتور، ليس هذا طلباً. نحن هنا بأمر من الحكومة. هذا مرفق فدرالي هربت منه سجين خطيرة...".
"مريضة!".

قال تيدي، وقد أبقي صوته هادئاً قدر الإمكان: "مريضة خطيرة، هربت. إذا رفضت مساعدة مارشلين أميركيين، دكتور، تكون، لناحية هروب تلك المريضة، لسوء الحظ - تشاك؟".
قال تشاك: "تعرقل العدالة، دكتور".

نظر كاولي إلى تشاك كما لو أنه كان يتوقع الأذى من تيدي، لكن تشاك لم يكن على راداره.

قال، وقد اختفت الحياة من صوته: "نعم، حسناً، كل ما أستطيع قوله هو أنني سأبذل كل ما في وسعي لتلبية طلبكما".

تبادل تيدي وتشاك نظرة سريعة، وعادا للنظر إلى الغرفة الجرداء. ربما لم يكن كاولي معتاداً على الأسئلة التي تستمر، بعد أن يبدي انزعاجه منها، ولذلك منحاه دقيقة لكي يلتقط أنفاسه.

نظر تيدي إلى الخزانة بالغة الصغر، ورأى ثلاث بذلات فضفاضة بيضاء، وزوجين من الأحذية البيضاء. "ما عدد الأحذية التي يحصل عليها كل مريض؟".

"اثنان".

"تركت هذه الغرفة حافية القدمين؟".

"نعم". ثبتت ربطة العنق تحت ثوبه الأبيض، ثم أشار إلى ورقة كبيرة موضوعة على السرير. "وجدنا هذه وراء المنضدة. لا نعرف ما يعنيه ذلك. كنا نأمل في أن يخبرنا شخص ما".

رفع تيدي الورقة وبرمها ليلاحظ أن الوجه الآخر كان مثل جدول طبي لفحص العيون، بحيث انكمشت الأحرف واتخذت شكل هرم. أعاد برم الورقة وأعطائها إلى تشاك:

قانون الأربعة

أنا 47

هم 80

+ أنت 3

نحن 4

لكن

من هو 67؟

لم يحبّ تيدي حتى الإمساك بالورقة. ارتعشت حواف الورقة على أصابعه.

قال تشاك: "اللعة عليّ إذا كنت أعرف".

اقترب كاولي منهما. "مماثل تماماً لاستنتاجنا السريري".

قال تيدي: "نحن ثلاثة".

حدّق تشاك إلى الورقة. "هوه!".

قال تيدي: "قد نكون نحن الثلاثة. نحن الثلاثة الآن الذين نقف في هذه الغرفة".

هزّ تشاك رأسه. "كيف كانت ستعرف ذلك؟".

هزّ تيدي كتفه. "هذا تحليل".

"نعم".

قال كاولي: "نعم، وكانت راشايل ذكية جداً في ألعبيها. أوهاهما - خصوصاً تلك التي تجعلها تصدق أن أولادها الثلاثة لا يزالون على قيد الحياة - مبنية على هندسة دقيقة جداً، وإنما معقدة. للحفاظ على التركيبة، تستخدم سرداً دقيقاً ومفصلاً لحياتها، يكون وهياً تماماً".

برم تشاك رأسه ببطء، ونظر إلى كاولي.

"أحتاج إلى شهادة لفهم ذلك، دكتور".

قهقه كاولي. "فكّر في الأكاذيب التي كنت تقولها لأهلك، حين كنت ولداً. كم كانت معقدة. بدلاً من إبقائها بسيطة لشرح سبب غيابك عن المدرسة، أو نسيانك لواجباتك، كنت تجعل الأكاذيب خيالية، صحيح؟".

فكّر تشاك في الأمر، وأوماً برأسه.

قال تيدي: "طبعاً. يفعل المجرمون الشيء نفسه".

"بالضبط. الفكرة هي التشويش. إرباك المستمع إلى أن يصدق المسألة بدافع الإرهاق وليس بناءً على أي حقيقة. فكّر الآن في تلك الأكاذيب التي تقولها لنفسك. هذا ما تفعله راشايل. طوال أربعة أعوام، لم تعترف أبداً أنها كانت في مصح عقلي. برأيها الشخصي، لقد عادت إلى بيركشاير في منزلها، ونحن رجال التوصيل، وعمال البريد، وأشخاص مارّون مرور الكرام. مهما كانت الحقيقة، استخدمت قوة الإرادة لجعل أوهامها أقوى".

قال تيدي: "لكن، كيف لا تظهر الحقيقة أبداً؟ أعني، إنها في مصح عقلي. كيف لا تلاحظ ذلك من وقت إلى آخر؟".

قال كاولي: "آه، بدأنا الآن نعوص في الجمال المريع للتركيبة المخيفة لانفصام الشخصية. إذا صدقتما، حضرة الرجلين، أنكما الوحيدان اللذان يعرفان الحقيقة، سيكون كل الآخرين كاذبين. وإذا كان الجميع يكذب...".

قال تشاك: "فإن أي حقيقة يقولونها تكون كذبة".
هزّ كاولي إبهامه، وأشار إليه بإصبعه مثل مسدس. "فهمت الأمر".

قال تيدي: "وينطبق الشيء نفسه تقريباً على هذه الأرقام؟".
"لا بد من ذلك. لا بد أنها تمثل شيئاً ما. مع راشايل، ما من فكرة تافهة أو إضافية. عليها منع التركيبة في رأسها من الانهيار، ولذلك، عليها التفكير دوماً. هذه هي التركيبة على ورقة". قال وهو ينقر على الورقة: "أظن بصراحة أن هذه الورقة يمكن أن تقول لنا إلى أين ذهبت".

لبرهة واحدة، رأى تيدي أن الفكرة أصبحت أوضح بالنسبة إليه. إنه واثق من أول رقمين - الرقم 47 والرقم 80 - أحس بهما يخربشان

في دماغه، مثل لحن أغنية يحاول تذكرها فيما ييٲ الراديو لحناً مختلفاً
تماماً. الرقم 47 هو التلميح الأسهل. الأمر واضح أمامه. هذا بسيط
جداً. إنه...

ثم انهارت كل جسور المنطق الممكنة، وأحس تيدي أن عقله
أصبح فارغاً، وعرف أن كل شيء طار منه مجدداً؛ التلميح، الرابط،
الجسر، وأعاد الورقة إلى السرير مجدداً.

قال تشاك: "جنون".

سأل كاولي: "ما هو؟".

قال تشاك: "إلى حيث ذهبت. برأيي".

أجاب كاولي: "حسناً، طبعاً. أظن أننا نستطيع اعتبار ذلك
افتراضاً".

وقفوا خارج الغرفة. ثمة درج وسط الرواق. كان باب راشايل إلى يسار الدرج، في منتصف الطريق، من الجهة اليمنى. سأل تيدي: "هذا هو المخرج الوحيد من هذا الطابق؟". أوما كاولي برأسه.

سأل تشاك: "لا نفاذ إلى السطح؟". هزّ كاولي رأسه. "السبيل الوحيد للصعود إلى الأعلى هو من مخرج الحريق. ستجدانه في القسم الجنوبي من المبنى. هناك بوابة، وتكون البوابة مقفلة دوماً. لا شك في أن الموظفين يملكون المفاتيح، ولكن المرضى لا يملكونها. للوصول إلى السطح، عليها النزول إلى الأسفل، والخروج من المبنى، واستعمال المفتاح، والتسلق مجدداً إلى السطح".

"هل تم التحقق من السطح؟".
إيماءة أخرى. "كما هي حال كل الغرف الأخرى في الجناح. على الفور. ما إن تم اكتشاف اختفائها".
أشار تيدي إلى ممرض، جلس قرب طاولة صغيرة أمام الدرج. "يوجد شخص هنا على مدار الساعة؟".

"نعم".
"إذاً، لقد كان شخص ما موجوداً هناك الليلة الفائتة".
"بالفعل، الممرض غانتون".

صعدوا الدرج وقال تشاك: "إذاً...". ورفع حاجبيه أمام تيدي.
"إذاً". وافقه تيدي.

قال تشاك: "إذاً، خرجت سولاندو من غرفتها المقفلة إلى هذا الرواق، ونزلت على هذا الدرج". نزلوا الدرج بأنفسهم ورفع تشاك إيمامه للمرض؛ كان في انتظارهم في ردهة الطابق الثاني. "مرّت أمام ممرض آخر هنا، لا نعرف كيف، بحيث جعلت نفسها غير مرئية أو شيئاً من هذا القبيل، ونزلت إلى هذا الطابق التالي وخرجت إلى...".

نزلوا إلى الطابق الأخير، وأصبحوا أمام غرفة كبيرة مفتوحة فيها أرائك عدة بمحاذاة الجدار، وطاولة كبيرة قابلة للطي في الوسط مع كراسٍ قابلة للطي، ونوافذ أشبعت المكان بضوء أبيض.

قال كاوي: "غرفة الجلوس الرئيسة. حيث يمضي معظم المرضى أمسياتهم. أجريت الجلسة العلاجية هنا الليلة الماضية. ستلاحظان أن مكتب الممرضات موجود مباشرة بعد هذا الباب هنا. بعد إطفاء الأنوار، يجتمع الممرضون هنا. يفترض أن يمسحوا الأرض، وينظفوا النوافذ وما شابه، لكننا، في أغلب الأحيان، نعثر عليهم هنا وهم يلعبون الورق".

"والليلة الماضية؟".

"حسب الذين كانوا في الخدمة، كانت لعبة الورق في أوجها. سبعة رجال، جلسوا مباشرة عند أسفل الدرج، للعب البوكر".

وضع تشاك يديه على وركيه، وأخرج نفساً طويلاً عبر فمه. "كررت لعبة الاختفاء نفسها مجدداً، على ما يبدو، وتحركت إلى اليمين أو اليسار. اليمين يقودها إلى قاعة الطعام، ومن ثم إلى المطبخ، وبعد ذلك يوجد باب مسيّج ومزود بجهاز إنذار بدءاً من التاسعة ليلاً، بعدما

يغادر موظفو المطبخ. إلى اليسار، هناك غرفة الممرضات وقاعة الموظفين. لا باب إلى الخارج. السبيل الوحيد للخروج، هو هذا الباب في الجهة الأخرى من قاعة الجلوس، أو في الجهة الخلفية من الرواق وراء السلام. وكان هناك رجال مراقبة في كلا المكانين الليلة الفائتة". نظر كاولي إلى ساعته. "أيها الرجلان، لديّ اجتماع. إذا كانت لديكما أي أسئلة، اسألا من فضلكما أي واحد من الموظفين أو يمكنكما زيارة ماكفرسون. هو من تولى عملية البحث لغاية الآن. يفترض أن يملك كل المعلومات التي تحتاجان إليها. يتناول الموظفون الطعام في تمام السادسة في قاعة التأمل في الطابق الأرضي من مبنى نوم الموظفين. بعد ذلك، نجتمع هنا في قاعة الموظفين، ويمكنكما التحدث إلى أي شخص كان يعمل خلال حادث الليلة الماضية".

خرج مسرعاً من الباب الرئيس، وراقباه إلى أن استدار يساراً واختفى.

قال تيدي: "هل من شيء في ذلك يدلّ على أن العملية ليست مدبرة من الداخل؟".

"أنا مولع جداً بنظرية الاختفاء. لا بد أنها كانت تضع التركيبة العجيبة في قارورة. هل تتبعني؟ يحتمل أنها تراقبنا الآن، تيدي". نظر تشاك بسرعة فوق كتفه ومن ثمّ نظر إلى تيدي. "شيء للتفكير في شأنه".

بعد الظهر، انضموا إلى حفلة البحث، وتحركا داخل الجزيرة، فيما أصبح الهواء أكثر دفئاً. كان معظم الجزيرة مكسواً بالعشب، مليئاً بالأعشاب الضارة والحقول السمكية من العشب الطويل، الملتف حول القسم المعترش من السنديان العتيق والكرمة الخضراء المغطاة بالأشواك.

في معظم الأماكن، كان المرور البشري مستحيلاً، حتى مع المناجل التي حملها بعض الحراس. لا تملك راشايل سولاندو منجلاً، وحتى لو كانت تملك، بدا أن طبيعة الجزيرة تدفع كل الزائرين إلى الشاطئ.

رأى تيدي أن البحث مفكك، كما لو أنه لا يوجد أحد متحمس له باستثنائه وتشاك. شق الرجال طريقهم، على طول الحلقة الداخلية فوق الشاطئ، بعيون مسمرة إلى الأسفل وخطى متثاقلة. في مرحلة ما، استداروا حول رف من الصخور السوداء، وواجهوا منحدرًا يطل على البحر. إلى يسارهم، خلف بقعة من الطحالب والأشواك، والتوت الأحمر الملتف في كتل متشابكة، ثمّة فرجة صغيرة، تمتد على قاعدة بعض الهضاب المنخفضة. شمتخت الهضاب بشكل عمودي، وكانت كل واحدة أعلى من الأخرى، إلى أن أفسحت المجال أمام الجرف الشاهق المسنن، ولاحظ تيدي فتحات في الهضاب، وفجوات في جانب الجرف.

قال لماكفرسون: "كهوف؟!".

أوما برأسه. "القليل منها".

"هل تحققتم منها؟".

تسهد ماكفرسون، وأشعل عود ثقاب، بمنأى عن الهواء، لإشعال سيجار رفيع. "تملك زوجين من الأحذية أيها المارشال. عثرنا عليهما في غرفتها. كيف ستمكن من عبور كل ما عبرناه للتو، وتجتاز كل هذه الصخور، وتسلق هذا الجرف؟".

أشار تيدي إلى خلف الفرجة في القسم المنخفض من الهضاب. "تأخذ هذا الطريق، وتشق طريقها إلى الأعلى من الغرب.

وضع ماكفرسون إصبعه قرب إصبع تيدي. "حيث تنتهي الفرجة ثمّة مستنقع مباشرة هناك عند طرف إصبعك. قاعدة تلك الهضاب

مغطاة باللبلاب السام، والبلوط الحبي، والسماق، وألف نوع تقريباً، من النباتات المختلفة، وكلها مليئة بأشواك بحجم ابني".

"هل يعني ذلك أنها كبيرة أو صغيرة؟". قال تشاك، الذي كان يقف أمامهما بيبضع خطوات، ونظر إليهما من فوق كتفه. ابتسم ماكفرسون. "ربما بين الاثنين".
أوما تشاك برأسه.

"كل ما أقوله أيها الرجلان هو أنها لا تملك أي خيار سوى البقاء قرب الشاطئ، والتحرك نصف المسافة فقط في كلا الاتجاهين، لتهرب من الشاطئ". أشار إلى الجرف. "ستصادف واحداً من هذه".

بعد ساعة، في الجهة الأخرى من الجزيرة، وصلوا إلى خط السياج. ارتفع وراءه الحصن القديم والمنارة، ولاحظ تيدي أن المنارة تملك سياجها الخاص، مع حارسين عند البوابة يحملان بندقيتين على صدرهما.
قال: "عملية عفنة".

أوما ماكفرسون برأسه.
نظر تيدي إلى تشاك. رفع تشاك حاجبيه.
قال تيدي مجدداً: "عملية عفنة".

لم يأت أحد إلى طاولتهما عند العشاء. جلسا بمفردهما، مبليين من رذاذ المطر الذي بدأ الهواء الدافئ يحمله من المحيط. في الخارج، بدأت الجزيرة تقع في الظلمة، ويتحول النسيم الخفيف إلى ريح قوية.
قال تشاك: "غرفة مقفلة".

قال تيدي: "حافية القدمين".
"عبرت ثلاث نقاط تفتيش داخلية".

"مجموعة كبيرة من المرضى والمرضات".
أضاف تشاك: "حافية القدمين".
حرك تيدي طعامه الذي هو نوع من فطيرة الراعي، وكان اللحم
قاسياً. "فوق جدار مزود بعزل كهربائي".
"أو عبر بوابة محروسة برجال".
"خارج هذا". بدأ الهواء يعصف بالمبنى ويهبّ في الظلمة.
"حافية القدمين".
"لم يرها أحد".
مضغ تشاك طعامه، وارتشف القليل من القهوة. "إذا مات أحد
في هذه الجزيرة؟ لا بد أن هذا يحدث، صحيح؟ إلى أين يذهبون؟".
"يتم دفنهم".
أوما تشاك برأسه. "هل رأيت مقبرة اليوم؟".
هزّ تيدي رأسه. "ربما مسيحة في مكان ما".
"مثل النبتة العفنة. طبعاً". أبعد تشاك صينيته، ورجع إلى الخلف في
كرسيه. "إلى من سنتحدث بعد ذلك؟".
"إلى الموظفين".
"هل تظن أنهم سيكونون مفيدين؟".
"ألا تظن ذلك؟".
ابتسم تشاك ابتسامة عريضة. أشعل سيجارة، وأبقى عينيه على
تيدي، وتحولت ابتسامته إلى ضحكة ناعمة، فرقص دخان السيجارة
على إيقاع الضحكة.

وقف تيدي في وسط الغرفة، وتحلق الموظفون في دائرة حوله. وضع
يديه فوق كرسيّ معدنيّ، ووقف تشاك قرب، ووضع يديه في جيبيه.

قال تيدي: "أعتقد أن الجميع يعرفون سبب وجودنا هنا. شهدتم حادثة فرار الليلة الماضية. نستطيع القول إن المريضة اختفت. لا نملك دليلاً يسمح لنا باعتقاد أن المريضة غادرت هذه المؤسسة من دون مساعدة. هل توافقي الرأي حضرة نائب آمر السجن ماكفرسون؟".

"نعم. أقول إن هذا تقييم منطقي في الوقت الحاضر".
كان تيدي على وشك التحدث مجدداً حين قال كاولي، الجالس على كرسي قرب المريضة: "هل يمكنكما التعريف عن نفسيكما أيها الرجلان؟ لم يتعرف إليكما عدد من موظفي".
وقف تيدي بشكل منتصب. "المارشال الأميركي إدوارد دانيالز. هذا شريكى، المارشال الأميركي تشارلز أول".
لوح تشاك تلويحاً خفيفاً إلى المجموعة، ثم أعاد يده إلى جيبه.
قال تيدي: "حضرة نائب آمر السجن، لقد قمت أنت ورجالك بتفتيش المكان".
"طبعاً فعلنا".

"وماذا وجدتم؟".

تمدد ماكفرسون في كرسيه. "لم نعثر على أي دليل يوحي بوجود امرأة هاربة. لا يوجد قماش من ثياب ممزقة، ولا آثار قدمين، ولا نباتات محنية. كان التيار قوياً جداً الليلة الفائتة، والمد مرتفعاً. لا مجال أبداً للسباحة".

قالت المريضة، كيري مارينو "لكنها ربما حاولت". مارينو امرأة نحيلة، شعرها أحمر أفلتته من أعلى رأسها، وفكته من مشبك آخر كان وسط شعرها الطويل مباشرة، فور دخولها الغرفة. وضعت قبعتها في حضانها، ومشطت شعرها بأصابعها بطريقة كسولة، توحي بالتعب،

لكنها جعلت كل رجل في الغرفة ينظر إليها، بالطريقة التي أوحى فيها الأصابع المتعبة بالحاجة إلى سرير.

قال ماكفرسون: "ما هذا؟".

توقفت أصابع مارينو عن التحرك في شعرها وأعادتها إلى حضنها. "كيف نعرف أنها لم تحاول السباحة، وانتهت بالغرق بدلاً من ذلك؟".

تشاءب كاولي في معصمه وقال: "كانت لتطفو الآن على الشاطئ مع هذا المد!".

رفعت مارينو يدها كما لو أنها تريد القول، أوه عذراً أيها الرجال، وقالت: "فكرت فقط في التطرق إلى الموضوع". قال كاولي: "ونقدّر ذلك. حضرة المارشال، اطرح أسئلتك من فضلك. لقد كان يوماً طويلاً".

نظر تيدي إلى تشاك، فوجه إليه تشاك انحناء بسيطة في العينين. امرأة مفقودة لها تاريخ عنف كبير في جزيرة صغيرة ويبدو أن الجميع يرغبون في الخلود إلى النوم.

قال تيدي: "أخبرنا السيد غانتون قبلاً، أنه زار غرفة الأنسة سولاندو في منتصف الليل، واكتشف اختفاءها. لم يتم العبث بقفلي قضبان النافذة والباب في غرفتها. بين العاشرة والثانية عشرة من الليلة الفائتة، سيد غانتون، هل حصل أنك لم تراقب الرواق في الطابق الثالث؟".

استدارت عدة رؤوس نحو غانتون، وشعر تيدي بالارتباك لرؤية نوع من السرور في بعض الوجوه، كما لو أن تيدي هو أستاذ الصف الثالث، وطرح سؤالاً على التلميذ الأضعف في الصف.

تحدث غانتون وهو ينظر إلى قدميه. "لم تكن عيناى على الرواق فقط حين دخلت الغرفة ووجدتها مختفية".

"استغرق ذلك ثلاثين ثانية".

"بالأحرى خمس عشرة ثانية". وجه عينيه إلى تيدي. "إنها غرفة صغيرة".

"لكن، ما عدا ذلك؟".

"ما عدا ذلك، كان الجميع في غرفهم في تمام العاشرة. كانت آخر من دخل إلى غرفتها. جلست في الرواق ولم أرَ أحداً طوال ساعتين".
"ولم تترك أبداً مكانك؟".
"لا، سيدي".

"لم تحضر كوباً من القهوة أو ما شابه؟".
هزّ غانتون رأسه.

قال تشاك، وهو يتعد عن العمود: "حسناً أيها السادة. عليّ القيام بوثبة كبيرة هنا. عليّ القول، من باب الجدل فقط، وليس من باب تقليل الاحترام للسيد غانون، إنه يمكننا مناقشة فكرة زحف الأنسة سولاندو على السقف أو ما شابه".

قهقه عدد من أفراد المجموعة.

"ووصلت إلى الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني. من أعطائها إذن المرور؟".

رفع رجل، يرتدي البذلة البيضاء وله شعر برتقالي، يده.

قال تيدي: "ما اسمك؟".

"غلين، غلين ميغا".

"حسناً، غلين. هل كنت في مكان عملك طوال الليل؟".

"نعم".

قال تيدي: "غلين".

"نعم". نظر من فوق الظفر الذي كان يقضمه.

"في الحقيقة".

نظر غلين إلى كاولي، ومن ثم إلى تيدي. "نعم، كنت كذلك".

قال تيدي: "هيا غلين".

حدّق غلين إلى عيني تيدي، وبدأت عيناه تتسعان ثم قال: "ذهبت

إلى الحمام".

انحنى كاولي إلى الأمام على ركبتيه. "من جلس مكانك؟".

قال غلين: "كان غيباً سريعاً للتبول، سيدي. عذراً".

قال تيدي: "لكم من الوقت؟".

هزّ غلين كتفه. "دقيقة على الأكثر".

"دقيقة. هل أنت واثق؟".

"لست جملاً".

"لا".

"دخلت وخرجت".

قال كاولي: "انتهكت البروتوكول. يا الله!".

"أعرف، سيدي. أنا...".

قال تيدي: "في أي وقت حصل ذلك؟".

"الحادية عشرة والنصف تقريباً". خوف غلين من تيدي بدأ

يتحول إلى كره تجاه تيدي. بعد بضعة أسئلة، أصبح عدائياً.

قال تيدي: "شكراً غلين". واستدار نحو تشاك مع حني للرأس.

قال تشاك: "في الحادية عشرة والنصف تقريباً، هل كانت لعبة

البوكر لا تزال في أوجها؟".

استدارت رؤوس عدة نحو بعضها بعضاً، ثم استدارت نحو تشاك،

وأوماً بعدها شخص واحد برأسه، وحذا حذوه بقية الأشخاص.

"من كان لا يزال جالساً في ذلك الوقت؟".

رفع أربعة رجال سود ورجل أبيض أيديهم. حدد تشاك الزعيم بينهم، أول رجل أوماً برأسه، أول رجل رفع يده. كان رجلاً بديناً، بدا رأسه حليقاً ولامعاً تحت الضوء.

"اسمك؟".

"تراي، سيدي. تراي واشنطن".

"تراي، أين كنتم تجلسون؟".

أشار تراي إلى الأرض. "مباشرة هنا، في وسط الغرفة، مع النظر مباشرة إلى ذلك الدرج، نظرة إلى الباب الأمامي، ونظرة إلى الخلف".

مشى تشاك للوقوف قربهِ، وبرم رأسه في اتجاه البابين الأمامي والخلفي والدرج. "موقع جيد".

أخفض تراي صوته. "لم تكن المشكلة مع المرضى فقط سيدي. مع الأطباء أيضاً وبعض الممرضات الذين كانوا لا يحبوننا. لا يفترض بنا لعب الورق. علينا أن نرى من يأتي، ونمسك بالمسحة بلمح البصر".

ابتسم تشاك. "لكنكم تتحركون بسرعة أيضاً".

"هل شاهدت يوماً، البرق في شهر أغسطس؟".

"نعم".

"إنه بطيء مقارنة بنهوضي عن الأرض".

أدى ذلك إلى تفكك المجموعة، بحيث لم تستطع الممرضة مارينو كبت ابتسامتها، ولاحظ تيدي بعض الرجال السود يمررون أيديهم لبعضهم. عرف أنه خلال مدة إقامتهما، سيكون تشاك الشرطي الجيد. يجيد التعاطي مع الأشخاص، كما لو أنه يشعر بالارتياح مع أي شريحة من الأشخاص، بصرف النظر عن لونهم أو لغتهم. تساءل تيدي، كيف سمح له مكتب سياتل اللعين بالذهاب، سواء أرادوا إبعاده عن صديقته أم لا؟!

من جهة أخرى، كان تيدي، الذكر الأول، غريزياً. حين يقبله الرجال، مثلما فعلوا بسرعة كبيرة في الحرب، يتفقون معه بشكل رائع. لكن قبل ذلك، يسود التوتر.

"حسناً، حسناً". رفع تشاك يده لتهدئة الضحك، فيما كان لا يزال يتسهم. "إذاً، تراهي، كنتم جميعاً، عند قاعدة هذا الدرج، تلعبون الورق. متى عرفتم أن هناك خطباً ما؟".

"حين، بدأ آيك، آه أقصد سيد غانتون، يصرخ نادوا آمر السجن. ثمّة من هرب".

"ومتى كان ذلك؟".

"في الثانية عشرة ودقيقتين وتسع وثلاثين ثانية".

رفع تشاك حاجبه. "هل أنت ساعة؟".

"لا سيدي. لكنني تدربت على النظر إلى الساعة عند أول دليل على مشكلة. يمكن لأي شيء أن يكون ما تسمونه حادثاً، وعلينا جميعاً ملء تقرير بالحادث. أول شيء تسأل عنه في تقرير الحادث هو الوقت الذي بدأ فيه الحادث. هل تملأ ما يكفي من تقارير الأحداث؟ ستعتاد إذاً، على النظر إلى الساعة عند أول تلميح إلى مشكلة".

أوماً العديد من الموظفين برؤوسهم، فيما تكلم، مع بعض تلمات مثل "أوه"، و"هذا صحيح"، خرجت من أفواههم، كما لو أنهم كورس في دار عبادة.

وجه تيدي نظرة إلى تشاك. "حسناً، ما رأيك في ذلك؟".

قال تشاك: "إذاً، في الثانية عشرة ودقيقتين".

"وتسع وثلاثين ثانية".

قال تيدي لغانتون: "هاتان الدقيقتان الإضافيتان بعد منتصف الليل

يمكن تبريرهما، لأنك كنت تتحقق من بعض الغرف الأخرى قبل وصولك إلى غرفة الآنسة سولاندو، صحيح؟!".
أوماً غانتون برأسه. "إنها في الغرفة الخامسة في الرواق. بهذا الاتجاه".

قال تيدي: "متى وصل أمر السجن إلى مكان الحادث؟".
قال ترائي: "هيسكفيل، إنه أحد الحراس، كان أول من دخل عبر الباب الأمامي. كان يعمل عند البوابة حسبما أظن. وصل في الساعة الثانية عشرة وست دقائق واثنين وعشرين ثانية. أمر السجن وصل، بعد أربع دقائق من ذلك، مع ستة رجال".
استدار تيدي نحو الممرضة مارينو. "سمعت كل هذه الحركة وأنت...".

"أقفلت مكتب الممرضات. خرجت إلى الردهة في الوقت نفسه الذي كان فيه هيسكفيل يعبر الباب الأمامي". هزت كتفها، وأشعلت سيجارة، فحذا عدد من أفراد المجموعة حذوها، وأشعلوا سجائرهم.
"ولم يمرّ أحد أمامك في غرفة الممرضات".

وضعت ذقنها على كعب راحة يدها، وحلقت عبر سحابة الدخان. "مرّ أمامي. أين الباب المؤدي إلى مركز العلاج المائي؟ ما إن تصل إلى هناك، حتى تصبح محبوساً في علبة إسمنتية مع الكثير من الأنابيب وبعض الأحواض الصغيرة".
"هل تم التحقق من تلك الغرفة؟".

قال ماكفرسون: "نعم حضرة المارشال". وبدأ متعباً الآن.
قال تيدي: "حضرة الممرضة مارينو، كنت جزءاً من جلسة العلاج الجماعي الليلة الماضية؟".
"نعم".

"هل حدث أي شيء غريب؟".
"حدد ما تعنيه بالغريب".
"عفواً؟".

"إنه مصحح عقلي، أيها المارشال. للمجانين المجرمين. وكلمة عادي، ليست مألوفة في قاموسنا".
أوماً تيدي برأسه ووجه إليها ابتسامة خجولة. "دعيني أكرر ما قلته. هل حصل أي شيء ضمن المجموعة، في الليلة الفائتة، كان أكثر لفتاً للأنظار من...؟".
قال: "العادي؟".

دفع ذلك كاولي للابتسام، وصدرت بعض الضحكات الخافتة.
أوماً تيدي برأسه.
فكّرت في الأمر لدقيقة، وأصبح رماد سيجارتها أبيض اللون وانكسر. لاحظت ذلك، فنقرت السيجارة فوق المنفضة ورفعت رأسها. "لا، آسفة".

"وهل تحدثت مع سولاندو الليلة الماضية؟".
"نعم مرتين، حسبما أظن".
"عن ماذا؟".

نظرت مارينو إلى كاولي.
قال: "نفصح الآن خصوصية المرضى مع المارشالين".
أوماً برأسها، بالرغم من ملاحظة تيدي، أنها ليست مولعة جداً بالمفهوم.

"كنا نناقش السيطرة على الغضب. حصلت لدينا بعض التصرفات غير الملائمة في الآونة الأخيرة".
"من أي نوع؟".

"مرضى يصرخون في وجه مرضى آخرين، يقاتلون، هذا النوع من الأمور. لا شيء خارج عن المألوف، وإنما فقط ارتفاع بسيط في الوتيرة، في الآونة الأخيرة، له علاقة ربما بموجة الحرّ أكثر من أي شيء آخر. لذا، ناقشنا الليلة الماضية الطرائق الملائمة، وغير الملائمة للتعبير عن القلق، أو الاستياء".

"هل كشفت سولاندو عن نوبات غضب في الآونة الأخيرة؟".
"راشايل؟ لا. أصبحت راشايل مضطربة فقط حين أمطرت. كان هذا إسهامها في المجموعة، الليلة الماضية.
"أسمع المطر. أسمع المطر. ليس هنا، لكنه آتٍ. ماذا سنفعل بالطعام؟".

"الطعام؟".
أطفأت مارينو سيجارتهما، وأومأت برأسها. "تكره راشايل الطعام هنا. تشكو منه باستمرار".
قال تيدي: "السبب وجيه؟".

كبتت مارينو نفسها قبل أن تتحول الابتسامة البسيطة إلى كبيرة. أخفضت عينيها. "يمكن القول إن السبب مفهوم ربما. نحن لا نلون الأسباب أو الحوافز لناحية الافتراضات الأخلاقية الجيدة أو السيئة".
أوماً تيدي برأسه. "وكان الدكتور شيهان هنا الليلة الماضية. أدار المجموعة. هل هو هنا؟".

لم يتحدث أحد. أطفأ عدة رجال سجائرهم في المنافض الموجودة بين الكراسي.

في النهاية قال كاوي: "غادر الدكتور شيهان في المركب الصباحي. المركب الذي جئتما فيه إلى هنا".
"لماذا؟".

"لقد أخذ إجازة لبعض الوقت".

"لكننا نحتاج إلى التحدث معه".

قال كاولي: "أملك مستنداته المتعلقة بالجلسة الجماعية. أملك كل ملاحظاته. ترك المرفق الأساسي في العاشرة مساء أمس، وذهب إلى مقره. غادر في الصباح. استحق إجازته منذ زمن طويل، وخطط لها أيضاً منذ زمن. لم نجد أي سبب لإبقائه هنا".

نظر تيدي إلى ماكفرسون.

"وافقت على ذلك؟".

أوما ماكفرسون برأسه.

قال تيدي: "إنها حالة استثنائية. لقد هربت مريضة. كيف تسمح لأي كان، بالمغادرة خلال الحالة الاستثنائية؟!".

قال ماكفرسون: "تأكدنا من مكان وجوده خلال الليل. درسنا الأمر ورأينا أنه ما من سبب لإبقائه".

قال كاولي: "إنه طيب".

قال تيدي بصوت خافت: "عظيم!". أكبر خرق للإجراءات القياسية، صُودف في أي مؤسسة جزائية، ويتصرف الجميع كما لو أن المسألة غير مهمة".

"إلى أين ذهب؟".

"عفواً؟".

قال تيدي: "في العطلة. إلى أين ذهب؟".

نظر كاولي إلى السقف، محاولاً التذكر قائلاً: "نيويورك، أعتقد. المدينة، هناك توجد كل عائلته. بارك أفنيو".

قال تيدي: "أحتاج إلى رقم هاتفه".

"لا أفهم لماذا...".

قال تيدي: "دكتور، أحتاج إلى رقم هاتفه".
"سنجلبه لك أيها المارشال". أبقى كاولي عينيه على السقف.
"هل من شيء آخر؟".
قال تيدي: "احزر".
أخفض كاولي ذقنه، ونظر إلى تيدي.
قال تيدي: "أحتاج إلى هاتف".

لم يصدر الهاتف، في غرفة الممرضات، أي شيء باستثناء صفير هواء فارغ. كانت هناك أربعة هواتف أخرى في الجناح، محبوسة وراء الزجاج، وحين تم فتح الزجاج، أعطت الهواتف كلها النتيجة نفسها.
توجه تيدي والدكتور كاولي إلى لوحة المفاتيح المركزية في الطابق الأول، من المبنى الرئيس للمستشفى. نظر إليهما عامل الهاتف، فيما دخلا عبر الباب، وكان يضع سماعات سوداء حول عنقه.
قال: "سيدي. تعطلت الاتصالات، حتى الإرسال اللاسلكي تعطل".

قال كاولي: "ليس الأمر بهذا السوء في الخارج".
هزّ عامل الهاتف كتفه. "سأستمر في المحاولة. لكنني لا أستطيع فعل الكثير هنا. الأمر مرتبط بالطقس الموجود في الجهة الأخرى".
قال كاولي: "استمر في المحاولة. وحين تتوصل إلى شيء أبلغني.
يحتاج هذا الرجل إلى إجراء اتصال مهم".
أوماً عامل الهاتف برأسه، وأدار لهما ظهره، وأعاد السماعات إلى أذنيه.

في الخارج، كان الهواء مثل النفس المنقطع.
قال كاولي: "ماذا يفعلون إذا لم تسجل حضورك؟".

قال تيدي: "المكتب الميداني؟ يسجلونه في تقاريرهم الليلية. قبل أربع وعشرين ساعة عادة من بدء القلق".
أوما كاولي برأسه. "قد يكون الوضع قد انتهى حينها؟".
قال تيدي: "انتهى؟ لم يبدأ حتى بعد".
هزّ كاولي كتفه، وبدأ يسير باتجاه البوابة. "ربما سأتناول الشراب مع تدخين سيجارة أو سيجارتين في منزلي. في تمام التاسعة. إذا كنت تحب أنت وشريكك المرور".
قال تيدي: "أوه، وهل نستطيع التكلم حينها؟".
توقف كاولي، ونظر إليه. الأشجار الداكنة في الجهة الأخرى من الجدار بدأت تتمايل وتصفّر.
"نحن نتحدث أيها المارشال".

مشى تشاك وتيدي في الأراضي المظلمة، وأحسا بالعاصفة في الهواء الساخن حولهما، كما لو أن العالم حامل، متضخم.
قال تيدي: "هذا هراء".
"نعم".
"فاسد إلى أقصى الحدود".
"كنت معمدانياً. أقول لك أمين أخي".
"أخي؟".
"كيف يتكلمون هناك. أمضيت سنة في الميسيسيبي".
"حقاً؟".
"أمين، أخي".
أخذ تيدي سيجارة أخرى من تشاك وأشعلها.
قال تشاك: "هل اتصلت بالمكتب الميداني؟".

هزّ تيدي رأسه. "قال كاولي إن الاتصال معطل". رفع يده.
"العاصفة، مثلما تعلم".

بصق تشاك التبغ عن لسانه. "العاصفة؟ أين؟".

قال تيدي: "لكنك تستطيع الإحساس بمجيئها". نظر إلى السماء
الداكنة. "لكنني لا أعرف كيف عطلت الاتصالات المركزية".

قال تشاك: "الاتصالات المركزية. هل تركت الجيش، أم أنك لا
تزال تنتظر أوراق التسريح؟".

قال تيدي: "لوحة المفاتيح". وهو يلوح بسيجارته. "أو ما
يطلقون عليها الإرسال اللاسلكي أيضاً".

"الإرسال اللاسلكي اللعين؟". اتسعت عينا تشاك. "الإرسال
اللاسلكي، سيدي؟".

أوماً تيدي برأسه. "هذا هراء حقيقي، نعم. وضعونا في جزيرة
للبحث عن امرأة هربت من غرفة مقفلة...".

"واجتازت أربع نقاط تفتيش محروسة برجال!".

"وغرفة مليئة بالمراقبين الذين يلعبون البوكر!".

"وتسلقت جداراً ارتفاعه عشر أقدام!".

"مكهرباً!".

"وسبحت أحد عشر ميلاً...!".

"... عكس تيار هائج...".

"... وصولاً إلى الشاطئ. بغضب. أحب هذا. والماء بارد أيضاً.

هل تصل الحرارة إلى خمس وخمسين درجة فهرنهايت في الماء؟".

"تصل إلى ستين درجة كحدّ أقصى. لكن في الليل؟".

أوماً تشاك برأسه. "تعود إلى خمس وخمسين. تيدي، هذه مسألة
مترابطة مثلما تعلم".

قال تيدي: "والدكتور شيهان المفقود!"

قال تشاك: "لفت الأمر انتباهك أيضاً، أليس كذلك؟ لم أكن أكيداً. لكنني أحسست أنك لم تستفز كاولي كفاية، سيدي".

ضحك تيدي، مع صوت ضحكته ينتقل مع هواء الليل ويدوب في البعيد، كما لو أنه لم يوجد أصلاً، كما لو أن الجزيرة والبحر والملح أخذوا ما كنت تظن أنك تملكه...

"... وإذا كنا قصة التغطية؟". قال تشاك.
"ماذا؟".

قال تشاك: "ماذا لو كنا قصة التغطية؟ ماذا لو تم إحضارنا إلى هنا للمساعدة على تمويه مسألة ما؟".

"وضوح، واتسون".

ابتسامة أخرى. "حسناً، سيدي. جرّب وحاول".

"سأفعل، سأفعل".

"فلنقل إن طبيباً معيناً افتتن بمريضة معينة".

"سولاندو".

"رأيت الصورة".

"إنها جذابة".

"جذابة. تيدي، إنها امرأة فاتنة جداً محبوسة في غرفة. هكذا، أغرت رجلنا، شيهان... هل فهمت المسألة الآن؟".

نقر تيدي سيجارته في الهواء، وراقب كيف تثار الرماد واشتعل في الهواء، ثم تثار عليه وتشاك. "وعلق شيهان في شباكها، وقرر أنه لا يستطيع العيش من دونها".

"الكلمة الأساسية هي العيش. كثنائي حرّ في العالم الحقيقي".

"لذا، هربا. بعيداً عن الجزيرة".

"يمكن أن يكون هذا استعراض دومينو مثلما نتحدث".
توقف تيدي عند الطرف البعيد لغرف نوم الموظفين، ووقف أمام
الجدار البرتقالي. "لكن لماذا لم يتم استخدام الكلاب؟".
قال تشاك: "حسناً، لقد فعلوا. البروتوكول؛ عليهم إحضار أحد،
وفي حالة فرار من مكان كهذا، تم إحضارنا نحن. لكن إذا كانوا يخشون
تورط موظفين، نكون هنا لمجرد تقوية قصتهم؛ ويكونون فعلوا كل
شيء حسب الأصول".
قال تيدي: "حسناً. ولكن لم تغطية شيهان؟".
ضرب تشاك نعل حذائه بالحائط، وثنى ركبته، فيما أشعل
سيجارة. "لا أعرف. لم أفكر في ذلك ملياً بعد".
"إذا أخرجها شيهان من هنا، لا بد أنه قبل بعض الأيدي".
"عليه فعل ذلك".
"الكثير من الأيدي".
"بعض الحاضرين على كل حال. كحارس أو اثنين".
"وتقيل يد شخص في المركب. ربما أكثر من واحد".
"إلا إذا لم يغادر على متن المركب. ربما لديه مركبه الخاص".
فكّر تيدي في الأمر قليلاً. "ينحدر من عائلة غنية. بارك أفنيو،
حسب كاولي".
"نقول إذاً، إنه يملك مركبه الخاص".
نظر تيدي إلى أعلى الجدار، إلى السلك الكهربائي المثبت فوقه،
والناتئ مثل فقاعة مضغوطة، على زجاج.
قال تيدي بعد برهة: "يطرح ذلك أسئلة عديدة بقدر الأجوبة".
"كيف ذلك؟".
"لماذا تلك الرموز في غرفة راشايل سولاندو؟".

"حسناً، إنها مجنونة".

"لكن، لماذا تظهر ذلك لنا؟ أقصد، إذا كانت هذه تغطية، لماذا لا تجعل الأمر أسهل علينا، بحيث نوقع على التقارير ونعود إلى المنزل؟ نام الحارس. أو صداً القفل في النافذة، ولم تتم ملاحظة ذلك".

ضغط تشاك بيده على الجدار. "ربما كانوا وحيدين بحاجة إلى بعض الصحبة من العالم الخارجي".

"طبعاً. ابتكروا قصة ليتمكنوا من إحضارنا إلى هنا؟ يريدون شيئاً جديداً للتحدث بشأنه؟ أوافق على ذلك".

استدار تشاك، ونظر مجدداً إلى آشكيليف. "إذا وضعنا الهزل جانباً...".

استدار تيدي أيضاً، وقف أمام المستشفى. "طبعاً...".

"بدأت أشعر بالتوتر هنا، تيدي".

قال كاولي: "يسمونها الغرفة العظيمة". فيما رافقهما عبر الردهة المرصوفة بالخشب إلى بايين من السنديان، مع مقبضين نحاسيين بحجم الأناناس. "أنا جاد. عثرت زوجتي على بعض الرسائل غير المرسلة في العلّية من المالك الرئيس، الكولونيل سبايفي. تفيد الرسائل عن الغرفة العظيمة التي كان بينها".

أمسك كاولي بأحد المقبضين، وفتح الباب.

أصدر تشاك صفيراً منخفضاً. امتلك تيدي ودولوريس شقة في باتونوود كانت محطّ حسد الأصدقاء بسبب حجمها، بحيث كانت هناك ردهة مركزية بحجم ملعب كرة قدم تقريباً، لكن تلك الشقة توازي نصف مساحة هذه الغرفة.

كانت الأرض رخامية، مغطاة هنا وهناك بسجادات شرقية داكنة. الموقد أطول من معظم الرجال. الستائر وحدها ثلاث ياردات من المخمل الأرجواني الداكن لكل نافذة، وهناك تسع نوافذ، كلّفت على الأرجح أكثر مما جناه تيدي طوال عام كامل، أو ربما عامين. طاولة البليار استقرت في زاوية تحت لوحة زيتية لرجل يرتدي البذلة الكحلية الرسمية لجيش الاتحاد، ولوحة أخرى لامرأة في فستان أبيض مكشكش، ولوحة ثالثة للرجل والمرأة معاً، مع كلب عند أقدامهما، والموقد العملاق نفسه خلفهما.

قال تيدي: "الكولونيل؟".

تابع كاولي نظره، وأوماً برأسه. "تقاعد من عمله بعد فترة وجيزة من انتهاء هذه اللوحات. عثرنا عليها في الطابق السفلي مع طاولة البليار، والسجادات، ومعظم الكراسي. يجدر بك رؤية الطابق السفلي أليها المارشال. يمكننا تشييد ملاعب بولو هناك".

شمّ تيدي رائحة تبغ الغليون، واستدار وتشاك في الوقت نفسه، وأدركا وجود رجل آخر في الغرفة. جلس وأدار لهما ظهره في كرسي هزاز كبير أمام الموقد، ومدد قدماً قبالة الركبة الأخرى، وجعل زاوية كتاب مفتوح ترتاح هناك.

رافقهما كاولي إلى الموقد، وأشار إلى مجموعة الكراسي الموضوعة أمام الموقد، فيما انتقل إلى خزانة المشروبات. "ماذا تشربان أيها الرجلان؟".

قال تشاك: "شراب الجاودار، إذا كان لديك".

"أظن أنني أستطيع أن أتدبر بعضاً منه. وأنت مارشال دانيالز؟".
"ماء وبعض الثلج".

نظر الغريب إليهما. "لا تفرطان في الشرب".

نظر تيدي إلى الرجل. ثمّة رأس أحمر صغير، نتأ مثل حبة الكرز فوق جسم بدين. ثمّة شيء دقيق فيه، وأحسّ تيدي أنه يمضي الكثير من الوقت، كل يوم في الحمام، وهو يدلك نفسه بمسحوق التلك والزيوت المعطرة.
قال تيدي: "وأنت؟".

قال كاولي: "زميلي، الدكتور جيريمياه نايفرينغ".

غمز الرجل بعينه، لكنه لم يمدّ يده، ولم يفعل ذلك تيدي ولا تشاك.

قال نايفرينغ: "أشعر بالفضول". فيما جلس تيدي وتشاك على المقعدين الموجودين إلى يسار نايفرينغ.

قال تيدي: "لماذا؟".

"لماذا لا تشربان. أليس شائعاً لرجال في مهنتكما أن يشربوا؟".
أعطاه كاولي شرابه، ووقف تيدي وتوجه إلى رفوف الكتب، إلى
يمين الموقد. قال له: "شائع كفاية. وأنت؟".
"عذراً؟".

قال تيدي: "في مهنتك. لطالما سمعت أنها مليئة بالثملين".
"لم ألاحظ ذلك".
"لم تنظر جيداً إذاً؟".

"لست أكيداً من أنني أتابع الموضوع".
"ما هذا إذاً، شاي مثلج في كأسك؟".

استدار تيدي عن الكتب، وراقب نايفرينغ، وهو ينظر إلى كأسه،
وترسم ابتسامة ناعمة على فمه. "ممتاز مارشال. تملك آليات دفاع
ممتازة. أفترض، أنك بارع جداً في الاستجواب".

هزّ تيدي رأسه، ولاحظ أن كاولي يحتفظ بعدد قليل من المراجع
الطبية، على الأقل في هذه الغرفة. هناك عدد قليل منها، لكن الأغلبية
هي قصص وبعض الكتب غير السميكة التي افترض تيدي أنها دواوين
شعر، فيما امتلأت رفوف عدة بكتب التاريخ والسير الذاتية.

قال نايفرينغ: "أليس كذلك؟".

"أنا مارشال فدرالي. نتولى إحضار الأشخاص، هذا فقط. في
معظم الأوقات، يتولى أشخاص آخرون إجراء المقابلة".

"أسميته استجواباً وأنت تسميه مقابلة. نعم، أيها المارشال،
تملك قدرات دفاع مذهلة". نقر بكعب كأس الشراب الاسكتلندي
خاصته على الطاولة مرات عدة، كما لو أنه يصفق. "رجال العنف
يذهلونني".

"رجال ماذا؟". استدار تيدي نحو كرسي نايهرينغ، ونظر إلى الرجل الصغير، وحرك الثلج في كأسه.

أرجع نايهرينغ رأسه إلى الخلف، وارتشف القليل من كأسه. "العنف".

قال تشاك: "يا له من افتراض، أيها الطبيب!" وبدأ منزعجاً بشكل علني، حسبما رأى تيدي.

"لا افتراض. لا افتراض".

حرك تيدي الثلج في كأسه مرة جديدة قبل أن يشربه، ولاحظ شيئاً يرتعش قرب العين اليسرى لنايهرينغ. وقال: "أوافق شريكِي الرأي". وجلس على مقعده.

"لا". حوّل نايهرينغ الكلمة أحادية اللفظ إلى ثلاث. "قلت إنكم رجال عنف. ليس هذا مشابهاً لأتھامكم أنكم رجال عنيفون".

وجه إليه تيدي ابتسامة كبيرة. "ثقفنا".

كاولي، الذي كان واقفاً وراءهم، شغل أغنية في الفونوغراف، وتلت خربشة الإبرة أصوات هسيس صغيرة ذكّرت تيدي بالهواتف التي حاول استعمالها. ثم حلّ لحن من معزوفات الغيتار والبيانو مكان الهسيس. إنها موسيقى كلاسيكية، يعرفها تيدي جيداً، بروسية، ذكّرتَه بالمقاهي وراء البحار وبمجموعة موسيقية رآها في مكتب نائب آمر الفصيلة في داتشاو، الرجل الذي كان يستمع إلى الموسيقى، حين أطلق النار على نفسه في فمه. كان لا يزال حياً حين دخل تيدي وأربعة من رفاقه إلى الغرفة. كان يقرقر. لم يستطع الوصول إلى المسدس لإطلاق النار مرة ثانية، لأنه وقع على الأرض. تلك الموسيقى المصادفة التي زحفت في الغرفة مثل العناكب. احتاج إلى عشرين دقيقة إضافية ليموت، وكان اثنان من الجنود يسألانه إذا تألم، فيما فتشا الغرفة بدقة.

رفع تيدي صورة فوتوغرافية موضوعة في إطار عن حضن الرجل، صورة لزوجته وولديه، واتسعت عينا الرجل محاولاً الإمساك بالصورة، فيما أخذها تيدي بعيداً عنه. تراجع تيدي إلى الخلف، ونظر من الصورة إلى الرجل، جيئة وذهاباً، وذهاباً وحيئة، إلى أن مات الرجل. وطوال الوقت، كانت الموسيقى ما زالت تصدح بأنغامها.

سأل تشاك "براهمز؟".

"ماهلر". جلس كاوي قرب نايرهينغ.

قال نايرهينغ: "طلبت تثقيفاً".

وضع تيدي مرفقيه على ركبتيه، وبسط يديه.

قال نايرهينغ: "منذ أيام المدرسة، أراهن، أنكما لم تبتعدا أبداً عن النزاع الجسدي. لا يوحي ذلك أنكما تستمتعان بهذا، لكنكما لم تعتبرأ أبداً هذه الطريقة مجرد خيار. صحيح؟".

نظر تيدي إلى تشاك. وجه إليه تشاك ابتسامة صغيرة، مرتبكة قليلاً.

قال تشاك: "لم تتم تربيتي للركض، أيها الطبيب".

"آه نعم، تربية. ومن تولى تربيتك؟".

قال تيدي: "الدبة".

أشرقت عينا كاوي، فيما وجه إلى تيدي إيماءة صغيرة.

لكن يبدو أن نايرهينغ لم يقدر المزاح. رتب سرواله عند الركبة.

"هل أنت مؤمن؟".

ضحك تيدي.

انحنى نايرهينغ إلى الأمام.

قال تيدي: "أوه، هل أنت جاد؟".

انتظر نايرهينغ.

"هل رأيت يوماً، محيم موت أيها الطبيب؟".

هزّ نايهرينغ رأسه.

"لا؟". انحنى تيدي إلى الأمام. "لغتك الانكليزية جيدة جداً، لا بل خالية تقريباً من الأخطاء. لكنك لا تزال تلفظ الأحرف بقوة قليلاً".

"هل المهجرة القانونية جريمة، أيها المارشال؟".

ابتسم تيدي وهزّ رأسه.

"العودة إلى الإيمان إذاً".

"إذا رأيت محيم موت يوماً ما، أيها الطبيب، عد إليّ وأخبرني عن قوة إيمانك".

كانت إملاء نايهرينغ عبارة عن إغلاق بطيء للحفنين وإعادة فتحهما، ثم نقل نظره إلى تشاك.

"وأنت؟".

"لم أرَ أبداً المخيمات شخصياً".

"هل أنت مؤمن؟".

هزّ تشاك كتفه. "لم أفكر في الموضوع كثيراً، بطريقة أو بأخرى، منذ زمن بعيد".

"منذ أن مات والدك، صحيح؟".

انحنى تشاك الآن إلى الأمام هو الآخر، وحدّق إلى الرجل القصير والبدن بعينه اللامعتين.

"لقد مات والدك، صحيح؟ وكذلك والدك أنت أيها المارشال دانيالز؟ في الواقع، أراهن أنكما فقدتما الوجه الذكوري المهيمن على حياتكما قبل ذكرى ميلادكما الخامسة عشرة".

قال تيدي: "خمس ماسات".

"عذراً؟". انحنأ أكبر إلى الأمام.

"هل هذه حيلتك التالية؟" قال تيدي. "تخبرني عن البطاقة التي أحملها. أو، لا، انتظر، تقطع ممرضة إلى نصفين، وتسحب أرنباً من رأس الدكتور كاولي".

"ليست هذه حيلة".

"ماذا عن هذا". قال تيدي، وهو يرغب في نزع ذلك الرأس الأحمر عن الكتفين الممتلئين. "تعلم كيف تمشي امرأة عبر الجدران، وتهرب من مبنى مليء بالحراس والموظفين، وتطفو عبر البحر؟".

قال تشاك: "هذه واحدة جيدة".

طرف نايهرينغ عينيه مرة أخرى بطريقة ذكرت تيدي بالقط المنزلي بعد تناوله الطعام.

"مجدداً، آلياتك الدفاعية...".

"أوه، ها قد عدنا".

"... مذهلة. لكن المسألة الحالية...".

قال تيدي: "المسألة الحالية هي أن المرفق واجه تسعة خروقات واضحة للأمن خلال الليلة الفائتة. ثمة امرأة مفقودة، ولا يوجد أحد يبحث عنها...".

"نحن نبحث".

"بقوة؟".

تراجع نايهرينغ إلى الخلف على كرسيه، وألقى نظرة إلى كاولي بطريقة جعلت تيدي يتساءل من هو المسؤول الحقيقي بينهما.

لاحظ كاولي نظرة تيدي، وأصبح القسم السفلي من فكه وردياً قليلاً. "الدكتور نايهرينغ، إضافة إلى مسؤولياته الأخرى، يعمل بمثابة عامل ارتباط رئيس لمجموعة المراقبين. طلبت منه هنا، في هذا المرفق، الليلة، أن يلبي طلباتك السابقة".

"وما تلك الطلبات؟".

أعداد نايفرينغ غليونيه إلى الحياة بواسطه عود ثقاب مشتعل. "لن
نفصح عن ملفات الموظفين الخاصة بالفريق الطبي".

قال تيدي: "شيهان".

"أي واحد؟".

"تحاول عرقلتنا مبدئياً".

"لست معتاداً على هذا التعبير".

"فكر في السفر أكثر".

"أيها المارشال، تابع تحقيقك، وسنساعدك حين نستطيع،
ولكن...".

"لا".

"عذراً؟". انحنى كاوي إلى الأمام، وأصبحوا هم الأربعة محنني
الأكتاف وممددي الرؤوس.

"لا". كرر تيدي. "انتهى هذا التحقيق. سنعود إلى المدينة في أول
مركب. سنملاً تقاريرنا ويتم تحويل المسألة، حسب افتراضي، إلى
جماعة هوفر. لكننا انتهينا من هذه القضية".

بقي غليون نايفرينغ يتأرجح في يده. ارتشف كاوي القليل من
مشروبه. صدحت موسيقى ماهرلر. تكتكت ساعة في مكان ما في
الغرفة. في الخارج، أصبح المطر قوياً.

وضع كاوي كأسه الفارغة على الطاولة الصغيرة قرب كرسيه.
"مثلما ترغب أيها المارشال".

كان المطر يهطل بغزارة، حين غادرا منزل كاوي، وانهمر المطر
على السقف المائل وردة الآجر، والسقف الأسود للسيارة التي كانت

في انتظارهما. لاحظ تيدي أن المطر ينهمر على شكل صفائح فضية مائلة في العتمة السوداء. لا تتعدى المسافة بضعة خطوات، من مصطبة كاولي إلى السيارة، لكنهما تبللاً كثيراً بالمطر، ثم جاء ماكفرسون، وجلس في الأمام وراء المقود وتناثر الرذاذ على لوحة القيادة حين هزّ رأسه، وشغل محرك السيارة.

"ليلة جميلة". ارتفع صوته فوق صوت مساحات الزجاج الأمامي والمطر المنهمر.

نظر تيدي إلى الخلف عبر النافذة الخلفية، واستطاع رؤية الأشكال الضبابية لكاولي ونايهرينغ على المصطبة وهما يراقبانهما.

"غير ملائم لرجل أو وحش". قال ماكفرسون، فيما سقط غصن صغير، وقع عن شجرته الأم، وارتطم بالزجاج الأمامي للسيارة. قال تشاك: "كم مضى على عملك هنا، ماكفرسون؟".

"أربع سنوات".

"هل حصلت على إجازة من قبل؟".

"للأسف لا".

"ماذا عن خرق القانون؟ تعرف، يختفي أحدهم لساعة أو ساعتين". هزّ ماكفرسون رأسه. "ولا حتى هذا. حسناً، عليك أن تكون مجنوناً لعيناً. إلى أين تستطيع الذهاب؟".

قال تيدي: "ماذا عن الدكتور شيهان؟ هل تعرفه؟".

"طبعاً".

"كم مضى على وجوده هنا؟".

"أظن أنه جاء قبلي بعام واحد".

"إذاً خمسة أعوام".

"صحيح".

"هل عمل مع سولاندو كثيراً؟".

"ليس حسب علمي، لأن الدكتور كاولي كان الطبيب النفسي الرئيس المسؤول عنها".

"هل يشيع أن يكون رئيس الموظفين هو المشرف الرئيس على حالة مريضة؟".

قال ماكفرسون: "حسناً...".

انتظروا، واستمر صوت المساحات على الزجاج، وانحنت الأشجار الداكنة نحوهم.

قال ماكفرسون: "حسب". وهو يلوح إلى الحارس، فيما عبرت السيارة البوابة الرئيسة. "ينجز الدكتور كاولي الكثير من العمل الرئيس مع مرضى الجناح ج طبعاً. كما يهتم أيضاً بحالات عدد من الأشخاص في أجنحة أخرى".

"من يساعد سولاندو؟".

ركن ماكفرسون السيارة أمام مبنى نوم الرجال. "لا تمانعان إذا جئت لفتح الباب لكما، أليس كذلك؟ استمتعا بالنوم. أنا واثق من أن الدكتور كاولي سيجيب على كل أسئلتكما في الصباح".

قال تيدي فيما فتح بابه: "ماكفرسون".

نظر تيدي إلى الخلف فوق المقعد.

قال تيدي: "لست جيداً كثيراً في هذا".

"في ماذا؟".

وجه إليه تيدي ابتسامة حزينة، وخرج تحت المطر.

تشاركا غرفة مع تراي واشنطن وممرض آخر اسمه بيبي لوس. كان حجم الغرفة جيداً مع مجموعتين من الأسرة المبيتة في جدار وقاعة

جلوس صغيرة، حيث كان تراي وبيبي يلعبان الورق، حين دخلا. جفف تيدي وتشاك شعرهما بمناشف بيضاء من كدسة مناشف تركها أحدهم لهما على السرير العلوي، ثم سحبا كرسيين، وانضما إلى لعبة الورق.

لعب تراي وتيدي لعبة البوكر البنسي، وكانت السجائر بديلاً مقبولاً إذا نفذ المال من أحدهم. تفوق تيدي عليهم هم الثلاثة بفضل بطاقة سبوعية، وانتهى بخمسة دولارات وثمان عشرة سيجارة مع أوراق فلوش، فوضّب السجائر في جيبه، وأكمل اللعب بعدها بتحفظ.

لكن، تبين أن تشاك هو اللاعب الحقيقي، بحيث كان مرحاً جداً، وتستحيل قراءته، فجمع كومة من النقود والسجائر ومن ثم الأوراق المالية، وألقى نظرة إليها في نهاية اللعبة، كما لو أنه تفاجأ بحجم الكومة الكبيرة التي أصبحت أمامه.

قال تراي: "هل تملك عينين مزودتين بأشعة إكس أيها المارشال؟".

"أنا محظوظ حسبما أظن".

"اللعة. يا له من محظوظ! لقد حقق لنفسه ربحاً كبيراً".

قال تشاك: "لم يكن يجدر بلعين ما أن يقحم نفسه".
"هوه!".

"لقد أقحمت نفسك، سيد واشنطن. في كل مرة تخسر". أشار إلى بيبي، "وهذا اللعين...".

انفجروا هم الثلاثة في الضحك.

"هو... هو... لا، انتظر دقيقة، انتظر. هو... هو يملك عينين غير طبيعيتين، يبدأ بالنظر إلى ورق الجميع قبل أن يرمي ورقه. لكن حين يخسر! يبقى هادئاً ويكبت نفسه".

قهقهه ترائ بأعلى ما يمكنه فى الهواء ثم ضرب الطاولة. "ماذا عن المارشال دانىالز؟ كيف نجح فى الهروب؟".

ابتسم تشاك ابتسامة عريضة. "هل سأطعن بشريكى؟ لا، لا، لا".
"أوووه!". أشار بيى عبر الطاولة إليهما معاً.
"لا يمكن فعل ذلك".

قال ترائ: "أفهم، أفهم. إنها مسألة الرجال البيض".
اسودّ وجه تشاك، وحدّق إلى ترائ إلى أن فرغت الغرفة من الهواء.

انفتحت تفاحة آدم فى عنق ترائ، وبدأ يرفع يده معتذراً، فقال تشاك: "طبعاً. وهل من سبب آخر؟". وأصبحت الابتسامة التى ارتسمت على وجهه كبيرة جداً.

"أيها اللعين!". ضرب ترائ يده على أصابع تشاك.
قال بيى: "أيها اللعين!".

قال تشاك: "أيها اللعين!". ثم انفجروا، هم الثلاثة، فى ضحك متواصل، مثل الفتيات الصغيرات.

فكّر تيدي فى المحاولة، وقرر أنه سيفشل، مثل رجل أبيض يحاول أن يبدو مطلعاً على التطورات. لكن تشاك، نجح تشاك فى ذلك نوعاً ما.

سأل تيدي تشاك، فيما استلقيا فى الظلمة "إذاً، ما الذى فضحني؟". عبر الغرفة، كان ترائ وبيى يتنافسان على الشخير، وأصبح المطر خفيفاً فى نصف الساعة الأخيرة، كما لو أنه يلتقط أنفاسه وينتظر الدعم.

"فى الورق؟". قال تشاك من السرير السفلى. "إنس الأمر".

"لا. أريد أن أعرف".
"كنت تظن أنك جيد كفاية حتى الآن، أليس كذلك؟ اعترف
بالأمر".

"لا أظن أنني كنت سيئاً".
"لست سيئاً".

"لقد تغلبت عليّ".

"ربحت بضعة دولارات".

"كان والدك مقامراً، صحيح؟".

"كان والدي خسيساً".

"أوه، آسف".

"ليست هذه غلطتك. ووالدك؟".

"والدي؟".

"لا، عمك. طبعاً والدك".

حاول تيدي تصوّره في الظلام، واستطاع فقط رؤية يديه المليئتين
بالندوب.

قال تيدي: "كان غريباً. بالنسبة إلى الجميع. حتى مع أمي. اللعنة!
أشك في أنه كان يعرف من يكون. كان مفتوناً بمركبه. وحين خسر
المركب، خسر نفسه".

لم يقل تشاك أي شيء، وبعد برهة، تصوّر تيدي أنه خلد إلى النوم.
استطاع فجأة رؤية والده، كله، جالساً في ذلك الكرسي، في تلك الأيام
التي لم يكن يعمل فيها، الرجل الذي ابتلعتة الجدران والأسقف والغرف.
"هاي، سيدي".

"لا تزال مستيقظاً؟".

"هل سنغادر فعلاً؟".

"نعم. هل تفاجأت؟".

"لا أملك. أنا فقط لا...".

"ماذا؟".

"لم أتخلَّ عن أي شيء من قبل".

استلقى تيدي بهدوء لبعض الوقت. وأخيراً، قال: "لم نسمع الحقيقة ولو مرة واحدة. لا يمكننا الوصول إليها ولا يمكننا الاستناد إلى أي شيء، إذ ما من شيء سيجعل هؤلاء الأشخاص يتكلمون".
قال تشاك: "أعرف، أعرف. أوافقك الرأي. كلامك منطقي".
"لكن؟".

"لكنني لم أتخلَّ قبلاً عن أي شيء. هذا كل ما في الأمر".
"راشايل سولاندو لم تهرب حافية القدمين، من غرفة مقفلة، من دون مساعدة. الكثير من المساعدة. ربما ساعدها كل من في المؤسسة. حسب خبرتي؟ أفضل سيناريو؛ نجح التهديد وكاولي يجلس الآن في قصره، يعيد النظر في كل موقفه. ربما في الصباح...".
"إذاً، كنت تمزح".

"لم أقل ذلك".

"لعبت الورق معك للتو، سيدي".

استلقيا بصمت، وأصغى تيدي إلى المحيط لبعض الوقت.
قال تشاك: "أغلق شفتيك". وأصبح صوته خافتاً مع النوم.
"ماذا؟".

"حين تمسك بيد جيدة. تفعل ذلك لثانية فقط، لكنك تفعلها دوماً".
"أوه".

"ليلة سعيدة سيدي".

"ليلة سعيدة".

جاءت نحوه في الممر.

دولوريس، مع الكثير من الغضب في عينيها، فيما بينغ كروسبي يغني أغنية الجهة الشرقية من السماء من مكان ما في الشقة، ربما من المطبخ. تقول: "عظيم، تيدي. عظيم". إنها تحمل قنينة شراب اسكتلندي فارغة في يدها. أدرك تيدي أنها اكتشفت أحد مخائيه. "هل ستتوقف يوماً عن الإسراف في الشرب؟ هل تستطيع البقاء من دون شرب بعد الآن؟ أجيني".

لكن تيدي لا يستطيع الإجابة، لا يمكنه التكلم. ليس واثقاً حتى أين هو جسمه. استطاع رؤيتها، بقيت تتقدم في الرواق نحوه، لكنه لم يستطع رؤية جسده، ولا حتى الإحساس به. ثمة امرأة، في الطرف الآخر من الممر وراء دولوريس، ولا يظهر انعكاسه فيها. تستدير يساراً، إلى غرفة الجلوس، ويبدو ظهرها متفحماً، محترقاً قليلاً. لم تعد القنينة في يدها، فيما تطايرت سحب صغيرة من الدخان من شعرها.

تتوقف أمام نافذة. "انظر. إنها رائعة هكذا. طافية".

يقف تيدي قربها أمام النافذة، تبدل المشهد. لم تعد محترقة، وإنما مبللة كثيراً، واستطاع رؤية نفسه، رأى يده على كتفها، وتحركت أصابعه حول عظم ترقوتها، فبرمت رأسها، وقبلت أصابعه بسرعة.

قال، وهو غير واثق حتى من سؤاله: "ماذا فعلت؟".
"انظر إليها هناك".

قال لها: "صغيرتي، لماذا أنت مبلة هكذا؟". لكنه لم يتفاجأ حين لم تجبه.

المنظر خارج النافذة لم يكن ما توقعه. ليس المنظر الذي يمكن رؤيته من شقتهم، في باتونوود، وإنما المنظر من مكان آخر أقام فيه ذات مرة، حجرة صغيرة. ثمة بركة صغيرة هناك، مع جذوع صغيرة طافية فوقها، ولاحظ تيدي كم هي ناعمة، تتحرك بطريقة غير منظورة تقريباً، فيما الماء يرتعش، وأصبح أبيض اللون، في بعض المساحات، تحت ضوء القمر.

قالت: "إنها لوحة جميلة. بيضاء جداً. يمكنك شمّ رائحة الطلاء الحديث".

"هذا جميل".

قالت دولوريس: "إذاً".

"قتلت الكثير من الأشخاص خلال الحرب".

"لهذا السبب تشرب".

"ربما".

"إنها هنا".

"راشايل؟". أومأت دولوريس برأسها. "لم تغادر أبداً. كدت

تراها. كدت تفعل ذلك".

"قانون الأربعة".

"إنه رمز".

"طبعاً، ولكن لماذا؟".

"إنها هنا. لا يمكنك المغادرة".

لفّ ذراعيه حولها من الخلف، ودفن وجهه في جانب عنقها. "لن
أغادر. أحبك. أحبك كثيراً".

ارتشح سائل من بطنها وتدفق السائل عبر يديه.
"أنا عظام في علبة، تيدي".
"لا".

"بلى. عليك الاستيقاظ".
"أنت هنا".

"لا. عليك مواجهة ذلك. إنها هنا. أنت هنا. إنه هنا أيضاً. قم
بعدّ الأسرة. إنه هنا".
"من؟".

"لايديز".
زحف الاسم عبر لحمه وتغلغل في عظامه.
"لا".

"بلى". أرجعت رأسها إلى الخلف، ونظرت إليه. "لقد عرفت".
"لا".

"بلى عرفت. لا يمكنك المغادرة".
"أنت متوترة طوال الوقت". دعك كتفيها، فأصدرت أنيناً خفيفاً
جعله يجفل.

قالت: "لم أعد متوترة. عدت إلى المنزل".
قال لها: "ليس هذا هو المنزل".
"طبعاً. هذا منزلي. إنها هنا، إنه هنا".
"لايديز".

قالت: "لايديز". ومن ثم "عليّ الذهاب".
"لا". إنه يبكي. "لا. ابقى".

"أوه، يا الله!". انحنيت صوبه إلى الخلف. "دعني أذهب. دعني أذهب".

"أرجوك لا تذهبي". انهمرت دموعه على جسمها، واختلطت ببطنها المرتشح. "أريد الإمساك بك لوقت أطول قليلاً. لبعض الوقت أيضاً. أرجوك".

أصدرت صوت فقاعة صغيرة؛ نصف تنهيدة، نصف صراخ، مزق جداً وجميل في أله، وقبّلت براحه.
"حسناً. تثبث. بأكبر قوة لديك".
أمسك بزوجته. أمسكها وأمسكها.

عند الخامسة صباحاً، فيما كان المطر ينهمر على العالم، نزل تيدي عن السرير العلوي، وأخرج دفتره من معطفه. جلس على الطاولة حيث لعبوا البوكر، وفتح الدفتر على الصفحة التي نقل عليها قانون الأربعة لراشايل سولاندو.

استمر ترائي ويبيبي في الشخير بصوت عالٍ بقدر صوت المطر. نام تشاك بهدوء، على بطنه، واضعاً قبضة يده قرب أذنه، كما لو أنها تمس له بالأسرار.

نظر تيدي إلى الصفحة. إنها بسيطة حين تعرف كيف تقرأها. رمز ولد، فعلاً. لكنه لا يزال رمزاً، وبقي تيدي حتى الساعة السادسة، حتى استطاع فكه.

نظر إلى الأعلى، ورأى تشاك يراقبه من السرير السفلي. وضع تشاك ذقنه على قبضة يده.

"هل سنغادر سيدي؟".

هزّ تيدي رأسه.

"لا يستطيع أحد المغادرة، في هذا المراء". قال ترائي، وهو ينزل عن سريرته، ويفتح ستارة النافذة ليظهر مشهد غارق بالماء اللؤلؤي اللون. "لا أسئلة".

فجأة، أصبح من الصعب التشبث بالحلم، رائحة تبخرها مع ارتفاع الستارة، سعال جاف من يبيي، تمدد ترائي مع تناوب عالٍ وطويل.

تساءل تيدي، ليس للمرة الأولى، وليس لفترة طويلة، إن كان هذا هو اليوم الذي سيكون فيه الاشتياق إليها صعباً جداً عليه. لو استطاع العودة بالسنوات إلى الوراء، إلى ذلك الصباح الذي حصل فيه الحريق، واستبدال جسمها بجسمه، لفعل. هذا أمر حتمي. لطالما كان هذا أمراً حتمياً. لكن مع مرور السنوات، يشتاق إليها أكثر فأكثر، وليس أقل، وأصبحت حاجته إليها مثل جرح لن يندمل، ولن يتوقف عن النزف. أمسكت بها، أراد القول لتشاك وترائي وببيي. أمسكت بها فيما كان يسنغ كروسبي يغني من راديو المطبخ، واستطعت أن أشم رائحتها، والشقة في باتونوود والبحيرة، حيث أقمنا ذلك الصيف، وكانت شفتاها على براجمي.

أمسكت بها. لا يستطيع هذا العالم أن يمنحني ذلك. يستطيع هذا العالم أن يمنحني فقط تذكيراً بما لا أملكه، ولا أستطيع أبداً الحصول عليه، ولم أحصل عليه لوقت كاف.

كان يفترض بنا أن نتقدم في العمر معاً، دولوريس، وأن ننجب أولاداً، وأن نقوم بنزهات تحت الأشجار القديمة. أردت رؤية التجاعيد وهي تحفر نفسها في لحمك، وأعرف متى ظهرت كل واحدة منها. أردت الموت معاً.

ليس هذا. ليس هذا.

أمسكت بها، أراد القول. لو كنت أعرف بالتأكد أن كل ما
أحتاج إليه للإمساك بها مجدداً هو الموت، لرفعت مسدسي الآن وصوبته
نحو رأسي.

كان تشاك يحدق إليه، منتظراً.

قال تيدي: "فككت رمز راشايل".

قال تشاك: "أوه، هل هذا كل شيء؟".

اليوم الثاني

لايدينز

التقى بهما كاوي في ردهة الجناح ب. كانت ملابسه ووجهه مبللين بالماء، وبدا مثل رجل أمضى الليل على مقعد في محطة الباصات. قال تشاك: "الحيلة، دكتور، هي أن تنام حين تستلقي". مسح كاوي وجهه بمنشفة. "أوه، هل هذه هي الحيلة، مارشال؟ عرفت أنني نسيت شيئاً ما. النوم، مثلما تقول. صحيح". صعدوا الدرج المصفرّ، وأومأوا إلى الحارس الجالس عند أول منبسط. سأل تيدي: "وكيف كان الدكتور نايفرينغ هذا الصباح؟". رفع كاوي حاجبيه ثم أخفضهما بطريقة متعبة. "أعتذر عن ذلك. جيري ميايه عبقرى، لكنه يستخدم بعض الصقل الاجتماعي. خطرت له هذه الفكرة لكتاب عن ثقافة المحارب الذكر في التاريخ. يتطرق باستمرار إلى هوسه في أحاديثه، ويحاول دمج الناس في نماذجه الموضوعية سلفاً. أنا آسف مجدداً".

هل تفعلون ذلك غالباً أيها الرجال؟".

"ماذا أيها المارشال؟".

"الجلوس والشرب، وأوه، إجراء تحقيق مع الناس؟".

"إنه الخطر الوظيفي، حسبما أظن. ما عدد الأطباء النفسيين

الضروري لتركيب مصباح ضوئي؟".

"لا أعرف. كم؟".

"ثمانية".

"لماذا؟".

"أوه، توقف عن الإفراط في التحليل".

نظر تيدي إلى عيني تشاك وضحكا.

قال تشاك: "مرح منكمش. من كان ليحزر؟".

"هل تعرفان ما هو وضع مجال الصحة العقلية هذه الأيام، أيها الرجال؟".

قال تيدي: "لا غم لك أدنى فكرة".

"الحرب". قال كاوي وتشاءب في منديله المبلل. "حرب

إيديولوجية، فلسفية، وحتى حرب نفسية".

قال تشاك: "أنتم أطباء. يفترض بكم التصرف بلطافة، وليس

التصارع".

ابتسم كاوي ومرّوا أمام الحارس الجالس عند منبسط درج الطابق الثاني. من مكان ما في الأسفل، صرخت مريضة، وملاً الصدى كل الدرج في اتجاههم. كان صراخاً توسلياً، وأحس تيدي بمقدار اليأس الموجود فيه، واليقين أنه مهما كان مطلب هذا الصراخ، لن يتحقق أبداً.

قال كاوي: "المدرسة القديمة تعتقد بفعالية العلاج الصدمي، والجراحة الفصية الجزئية، والعلاجات في المنتجات المعدنية للمرضى الطبيعيين. هذا ما نطلق عليه اسم الجراحة النفسية. أما المدرسة الجديدة فترتكز على علم العقاقير النفسية. يقولون إنه المستقبل. قد يكون هذا صحيحاً. لا أعرف".

توقف، وضع يداً على الدرايزين، في منتصف الطريق بين الطابق الثاني والطابق الثالث، وأحس تيدي بإرهاقه كأنه كائن حي مكسور موجود معهم في جسم رابع على الدرج.

سأل تيدي: "وكيف تعمل العقاقير النفسية؟".

قال كاولي: "تمت الموافقة حديثاً على عقار، اسمه الليثيوم، يرخي المرضى المصابين بالذهان، أو يروّضهم، مثلما يقول بعضهم. تصبح الأغلال شيئاً من الماضي؛ السلاسل، الأصفاد، وحتى القضبان، مثلما يقول المتفائلون. لا شك في أن المدرسة القديمة تعتقد أنه ما من شيء يستطيع الحلول مكان الجراحة النفسية، لكن المدرسة الجديدة أقوى، حسبما أظن، وستحقق الكثير من المال".

"المال... من أين؟!".

"من شركات الأدوية طبعاً. اشتريا الأسهم الآن، أيها الرجلان، وستتمكنان من التقاعد في جزيرتكما. مدارس جديدة، مدارس قديمة. يا الله، أصاب بالذهول أحياناً".

سأل تيدي برفق: "ومن أي مدرسة أنت؟".

"صدق أو لا تصدق، أيها المارشال، أنا أعتقد بالعلاج الكلامي، أي المهارات الأساسية بين الأشخاص. أملك الفكرة التي مؤداها إذا عاملت مريضاً باحترام وأصغيت إلى ما يحاول قوله لك، فلا بد أن تصل إليه".

صراخ آخر. المرأة نفسها. تيدي واثق تماماً. انزلق الصراخ بينهم وبدا أنه لفت انتباه كاولي.

قال تيدي: "لكن هؤلاء المرضى؟".

ابتسم كاولي. "حسناً، نعم، يحتاج العديد من هؤلاء المرضى إلى أدوية ويحتاج بعضهم إلى التقييد بالأغلال. لا جدال. لكنه منحدر زلق. فحين تدخل السم إلى البئر، كيف ستتمكن من إخراجها من الماء؟".

قال تيدي: "لن تنجح".

أوماً برأسه. "هذا صحيح. وما يفترض أن يكون الخيار الأخير،
يصبح المعيار القياسي. أعرف أنني أخلط الاستعارات. النوم". قال
لتشاك. "صحيح. سأجرب ذلك المرة القادمة".
قال تشاك: "سمعت أنه يفعل العجائب". وتوجهوا نحو الطابق
الأخير.

في غرفة راشايل، جلس كاوي على حافة سريرها، واثكأ تشاك
على الباب.

قال تشاك: "هاي، ما عدد السوراليين الضروري لتركيب
مصباح ضوئي؟".

نظر كاوي إليه. "لا أعرف. كم؟".
قال تشاك "سمكة". وضحك ضحكة قوية.
قال كاوي: "ستكبر يوماً ما أيها المارشال. أليس كذلك؟".
"أشك في ذلك".

أمسك تيدي بالورقة أمام صدره، ونقر عليها للفت انتباههما.
"انظرا إليها مرة جديدة".

قانون الأربعة

أنا 47

هم 80

+ أنت 3

نحن 4

لكن

من هو 67؟

بعد دقيقة، قال كاوي: "أنا متعب جداً أيها المارشال. لا أفهم أي
شيء في الوقت الحاضر. عذراً".

نظر تيدي إلى تشاك. هزّ تشاك رأسه.

قال تيدي: "إن إشارة + هي التي لفتت انتباهي وجعلتني أدقق في الورقة مجدداً. انظرا إلى الخط الموضوع تحت "هم 80". يفترض بنا جمع السطرين. على ماذا نحصل؟".

"على مئة وسبعة وعشرين".

قال تيدي: "واحد، اثنان وسبعة. صحيح. والآن، أضيفا ثلاثة. وإنما على نحو منفصل. تريدنا إبقاء الأرقام منفصلة. هكذا، يصبح لدينا: واحد مضافاً إلى اثنين نضيفهما إلى سبعة ثم إلى ثلاثة. على ماذا نحصل؟".

"ثلاثة عشر". استقام كاولي على السرير قليلاً.

أوماً تيدي برأسه. "هل يملك الرقم ثلاثة عشر أي أهمية خاصة بالنسبة إلى راشايل سولاندو؟! هل ولدت في الثالث عشر؟ أو تزوجت؟ أو قتلت أولادها في الثالث عشر؟".

قال كاولي: "عليّ التحقق. لكن الرقم ثلاثة عشر هو رقم مهم بالنسبة إلى المصابين بانفصام الشخصية".

"لماذا؟".

هزّ كتفه. "تماماً مثلما هو بالنسبة إلى العديد من الأشخاص. إنه جالب للحظ السيئ. يعيش معظم المصابين بانفصام الشخصية في حالة خوف. إنه عنصر ربط شائع في المرض. لذا، نجد معظم المصابين بانفصام الشخصية يعتقدون بالخرافات. ويؤدي الرقم ثلاثة عشر دوراً في ذلك".

قال تيدي: "هذا منطقي إذاً. انظرا إلى الرقم التالي. أربعة. اجمعاً واحداً مع ثلاثة فتحصلاً على أربعة. لكن، واحد وثلاثة لوحدهما؟".

"ثلاثة عشر". ابتعد تشاك عن الجدار، ووجه رأسه إلى الورقة.

قال كاولي: "والرقم الأخير؟ سبعة وستون. ستة مضافة إلى سبعة يساويان ثلاثة عشر".

أوماً تيدي برأسه. ليس هذا قانون الأربعة. إنه قانون الثلاثة عشر. هناك ثلاثة عشر حرفاً في اسم راشايل سولاندو".

شاهد تيدي كلاً من كاولي وتشاك يجمعان الأحرف في رأسيهما. قال كاولي: "تابع".

"حين نقبل بذلك، تكون راشايل قد تركت لنا مجموعة كاملة من الفئات. الرمز يتبع المبدأ الأولي لمطابقة الأرقام مع الأحرف. واحد يساوي أ. اثنان يساوي ب. هل توافقاني الرأي؟".

أوماً كاولي برأسه، ثم لحق به تشاك بعد ثوانٍ قليلة.

"الحرف الأول من اسمها في اللاتينية (Rachel) هو R. الحرف R في التسلسل الأبجدي اللاتيني يأتي في المرتبة الثماني عشرة. A في المرتبة الأولى. C في المرتبة الثالثة. H في المرتبة الثامنة. E في المرتبة الخامسة. L في المرتبة الثانية عشرة. اجمعاً الأرقام أيها الرجلان، وعلى ماذا تحصلان؟".

قال كاولي يهدوء "يا الله".

"على سبعة وأربعين"، قال تشاك، وقد اتسعت عيناه وهما تحدقان إلى الورقة المعلقة فوق صدر تيدي.

قال كاولي: "هذا هو أنا. اسمها الأول. فهمت ذلك الآن. لكن ماذا عن هم؟".

"اسم العائلة". قال تيدي. "إنه هم".

"من؟".

"عائلة زوجها وأجداده. ليس اسمها هي، بالولادة. أو أنه يشير إلى أولادها. وفي كلتا الحالتين، لا يهم الأمر كثيراً. المهم هو اسم عائلتها. سولاندو (Solando). اجمعا المراتب الرقمية للأحرف، وصدقاني أنكما ستتوصلان إلى ثمانين".

هَض كاولي عن السرير، ووقف وتشاك أمام تيدي للنظر إلى الورقة المليئة بالرموز المعلقة على صدره.

نظر تشاك إلى الأعلى، بعد برهة، مباشرة إلى عيني تيدي. "ماذا أنت؟ أينشتاين لعين؟".

قال كاولي فيما لا تزال عيناه على الورقة: "هل فككت رموزاً من قبل أيها المارشال، في الحرب؟".
"لا".

قال تشاك: "إذا كيف توصلت إلى...".

تعبت ذراعاً تيدي من حمل الورقة، فوضعها على السرير.
هَض بكثفه "لا أعرف. ألعب كثيراً بالكلمات المتقاطعة. أحب الأحجيات".

قال كاولي: "لكنك كنت في مخبرات الجيش، صحيح؟".
هَض تيدي رأسه. "الجيش النظامي. لكن أنت أيها الطبيب كنت في مكتب الخدمات الاستراتيجية".

أجاب كاولي: "لا. قدمت فقط بعض المشورات".
"أي نوع من المشورات؟".

وجه إليه كاولي تلك الابتسامة الخفيفة، التي اختفت ما إن ظهرت. "النوع الذي لا يمكن الحديث عنه أبداً".
قال تيدي: "لكن هذا الرمز بسيط جداً".

قال تشاك: "بسيط؟. أنت شرحته، وما زال رأسي يرم".

"لكن، بالنسبة إليك دكتور؟".

هزّ كاولي بكتفه. "ماذا أسميك أيها المارشال؟ لم أكن مفككاً للرموز".

أحنى كاولي رأسه، وربّت على ذقنه، فيما أعاد انتباهه إلى الرموز. نظر تشاك إلى عيني تيدي، وقد امتلأت عيناه بعلامات الاستفهام.

قال كاولي: "لقد فهمنا إذاً - أو بالأحرى فهمت أنت أيها المارشال - رمزي السبعة والأربعين، والثمانين. تأكدنا أن التلميحات هي تبدلات للرقم ثلاثة عشر. ماذا عن الرقم ثلاثة؟".
قال تيدي: "مرة جديدة، يشير ذلك إلينا، وتكون في هذه الحالة مستبصرة...".

"هذا مستبعد".

"أو يشير إلى أولادها".

"أوافق على ذلك".

"أضف راشايل إلى الثلاثة...".

قال كاولي: "وتحصل على السطر التالي. نحن أربعة".

"من هو إذاً السبعة والستون؟".

نظر كاولي إليه. "لست منمقاً؟".

هزّ تيدي رأسه.

مرر كاولي إصبعه فوق الجهة اليمنى من الورقة. "لا يساوي أي جمع لهذه الأرقام سبعة وستين؟".
"لا".

مرر كاولي راحة يده فوق رأسه واستقام. "ولا تملك أي نظريات؟".

قال تيدي: "إنه الرمز الذي لم أستطع تفكيكه. ومهما كان الشيء الذي يشير إليه، فإنه شيء غير مألوف بالنسبة إليه، ما يجعلني أظن أنه شيء على الجزيرة. وأنت أيها الطبيب؟".
"أنا، ماذا؟".

"هل من نظريات؟".
"أبداً. وما كنت لأحزر السطر الأول حتى".
"نعم، لقد قلت ذلك. أنت متعب".

"متعب جداً أيها المارشال". قال وهو يثبت نظره على وجه تيدي، ثم نظر إلى النافذة وراقب المطر وهو يهطل، على شكل رقاقات سمكة جداً، بحيث ملأت الأرض في الجهة الأخرى. "قلت الليلة الماضية إنك ستغادر".

قال تيدي: "في أول مركب".
"لن يكون هذا اليوم. أنا واثق تماماً من ذلك".
قال تيدي: "إذاً، في الغد. أو في اليوم الذي بعده، هل تظن أنها لا تزال في الخارج؟ هنا؟".
قال كاولي: "لا. لا أظن".
"أين إذاً؟".

تنهد. "لا أعرف أيها المارشال. ليس هذا من اختصاصي".
رفع تيدي الورقة عن السرير. "إنه معيار نموذجي. دليل لفك رموز المستقبل. أراهن براتب شهر كامل على ذلك".
"وإذا كان هذا صحيحاً؟".

"لن نحاول إذاً، الفرار، دكتور. لقد أحضرنا إلى هنا. أظن، أنه سيكون هناك المزيد من هذه".
قال كاولي: "ليس في هذه الغرفة".

"لا. لكن ربما في هذا المبنى. أو ربما في الخارج على الجزيرة".
امتص كاولي الهواء الموجود في الغرفة عبر منخريه، واضعاً يده
على عتبة النافذة، وأرخصي بثقل جسمه على قدميه، ما جعل تيدي
يتساءل عما أبقاه مستيقظاً الليلة الفائتة.

قال كاولي: "أحضرتكما إلى هنا؟ لماذا؟".

"أنت قل لي".

أغمض كاولي عينيه وبقي صامتاً لفترة طويلة جداً، بحيث تساءل
تيدي إذا خلد إلى النوم.

فتح عينيه مجدداً، ونظر إليهما. "كان يومي حافلاً. اجتماعات مع
الموظفين، اجتماعات للميزانية مع المراقبين، اجتماعات لصيانة طارئة في
حال ضربتنا فعلاً هذه العاصفة. ستسعدان لمعرفة أنني رتبت لقاء لكما
مع كل المرضى الذين كانوا في الجلسة العلاجية مع سولاندو، ليلة
احتفائهما. يفترض أن تبدأ هذه المقابلات بعد خمس عشرة دقيقة. أيها
الرجلان، أقدّر وجودكما هنا. فعلاً. أحاول المساعدة قدر الإمكان،
سواء أظهر ذلك أم لا".

"أعطني إذاً، ملف الدكتور شيهان".

"لا أستطيع فعل ذلك. على الإطلاق". أرجع رأسه إلى الخلف
على الجدار. "أيها المارشال، طلبت من عامل الهاتف محاولة طلب رقم
هاتفه بشكل متواصل. لكننا لم ننجح في ذلك لغاية الآن. كل ما
نعرفه، هو أن كل الساحل الشرقي مغمور بالماء. صبراً أيها الرجلان.
هذا كل ما أطلبه. سنجد راشايل، أو سنعرف ماذا حصل لها". نظر إلى
ساعته. "لقد تأخرت. هل من شيء آخر؟".

وقفوا تحت مظلة خارج المستشفى، وهطل المطر أمامهما غزيراً.

قال تشاك: "هل تظن أنه يعرف ماذا يعنيه الرقم سبعة وستون؟".
"نعم".

"هل تظن أنه فك الرموز قبلك".

"أظن أنه كان في مكتب الخدمات الاستراتيجية. وأظن أنه نال هدية أو هديتين في ذلك القسم".

مسح تشاك وجهه، ومدّ أصابعه نحو المصطبة. "ما عدد المرضى الموجودين هنا؟".

قال تيدي: "العدد صغير".

"نعم".

"ربما عشرون امرأة وثلاثون رجلاً؟".

"ليس كثيراً".

"لا".

"ليس سبعة وستين على كل حال".

استدار تيدي ونظر إليه. "ولكن...".

قال تشاك: "نعم. ولكن".

نظرا إلى صف الأشجار وما بعده، إلى أعلى الحصن الناتئ خلف خيوط المطر، وقد أصبح ضبابياً وغير واضح، مثل رسم فحمي في غرفة دخانية.

تذكر تيدي ما قالت دولوريس في الحلم؛ عدّ الأسرة.

"ما عدد الموجودين هناك، برأيك؟".

قال تشاك: "لا أعرف. علينا سؤال الطبيب المفيد".

"أوه، نعم. واضح أنه مفيد، أليس كذلك؟".

"هاي سيدي".

"نعم".

"هل صادفت في حياتك هذا القدر من المساحة الفدرالية المهدورة؟".

"وكيف ذلك؟".

"خمسون مريضاً في هذين الجناحين؟ لكم يتسع هذان المبنيان برأيك؟ لمثني شخص إضافي؟".
"على الأقل".

"ونسبة الموظفين مع المرضى. إنما توازي اثنين لواحد لصالح الموظفين. لم ترَ شيئاً كهذا من قبل!".
"عليّ القول، لا".

نظرا إلى الأرض التي تغلي تحت الماء.
قال تشاك: "بالله عليك، ما هذا المكان؟".

أجريا المقابلات في الكافيتريا، وجلس تشاك وتيدي أمام طاولة في الجهة الخلفية. جلس حارسان قريهما، وكان تراسي واشنطن مسؤولاً عن إحضار المرضى لهما ومن ثم إرجاعهما بعد الانتهاء.
الرجل الأول كان مريضاً، يكشف عن الكثير من الانقباضات اللاإرادية في الوجه والعينين. جلس متقوقعاً على نفسه، مثل حدوة حصان، وراح يحك ذراعيه، ورفض النظر إليهما.
نظر تيدي إلى الصفحة الأولى من الملف الذي أعطاه إياه كاولي؛ وكان مجرد خربشات من ذاكرة كاولي، فلم يعطه الملفات الحقيقية للمرضى. كان اسم هذا الرجل في المرتبة الأولى، واسمه كين غايج، وهو موجود هنا لأنه اعتدى على شخص غريب في متجر للبقالة، وضرب الضحية على رأسه بعلبة بازيلاء، وهو يقول طوال الوقت بصوت مخنوق: "توقف عن قراءة بريدي".

قال تشاك: "إذا، كين. كيف حالك؟".
"أشعر بالبرد. أشعر بالبرد في قدمي".

"آسف لسماع ذلك".

"المشي مؤلم، نعم". حكّ كين محيط ندبة على ذراعه، بطريقة دقيقة أولاً، كما لو أنه يخفر خندقاً لها.

"هل كنت في جلسة العلاج في الليلة ما قبل الفائتة؟".

"أشعر بالبرد في قدمي، وأتألم عند المشي".

سأله تيدي: "هل تريد بعض الجوارب؟". انتبه إلى الحارسين

اللذين كانا ينظران إليهما ويضحكان ضحكة مكبوتة.

قال همساً: "نعم، أريد بعض الجوارب. أريد بعض الجوارب. أريد

بعض الجوارب". وأخفض رأسه، وتمايل قليلاً.

"حسناً سنحضر لك جوارب في غضون دقيقة. نريد فقط أن

نعرف إذا كنت...".

"الجو بارد جداً. في قدمي؟ أشعر بالبرد وأتألم عند

المشي".

نظر تيدي إلى تشاك. ابتسم تشاك للحارسين عند سماع

ضحكاهما التي وصلت إلى الطاولة.

قال تشاك: "كين. كين، هل يمكنك النظر إليّ؟".

أبقى كين رأسه إلى الأسفل، وتمايل قليلاً أكثر. جرح ظفره

السندبة، التي في ذراعه، وسال خط صغير من الدم، بين الشعيرات، في

ذراعه.

"كين؟".

"لا أستطيع المشي. ليس هكذا، ليس هكذا. الجو بارد جداً

جداً جداً".

"هيا، كين. أنظر إلي".

وضع كين معصميه على الطاولة.

وقف الحارسان، وقال كين: "يفترض ألا يؤلم ذلك. لا يفترض.

لكنهم يريدون هذا. يملأون الهواء بالبرد. لقد تغلغل في".

جاء الحارسان إلى طاولتهما. قال الحارس الأبيض: "هل انتهيتما

أيها الرجلان، أم أنكما تريدان سماع المزيد عن قدميه؟".

"أشعر بالبرد في قدمي".

رفع الحارس الأسود حاجبه. "لا بأس، كيبي. سنأخذك إلى غرفة

العلاج المائي، ونشعرك بالدفء على الفور".

قال الحارس الأبيض: "مضى على وجودي هنا خمسة أعوام. لم

يتغير الموضوع".

سأل تيدي: "أبداً؟".

"أتألم عند المشي".

أجاب الحارس: "أبداً".

"أتألم عند المشي، لأنهم وضعوا البرد في قدمي".

المريض التالي، بيتر برين، يبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، أشقر

وممتلي. محطم للأصابع وقاضم للأظافر.

"لماذا أنت هنا، بيتر؟".

نظرس بيتر، عبر الطاولة، إلى تيدي وتشاك بعينين دامعتين، دوماً،

على ما يبدو. "أنا خائف طوال الوقت".

"مم".

"من أشياء".

"حسناً".

رفع بيتر كاحله الأيسر إلى ركبته اليمنى، وأمسك بكاحله، وانحنى إلى الأمام. "يبدو هذا غيباً، لكنني أخاف من الساعات. التكتكة. يدخل الصوت في رأسك. الجرذان ترعبي".

قال تشاك: "وأنا أيضاً".

"حقاً؟". أشرق وجه بيتر.

"في الواقع، نعم. تلك الكائنات اللعينة. أشعر بالقشعريرة بمجرد النظر إلى واحدة منها".

"لا تخرج إذاً، أبعد من الجدار في الليل". قال بيتر. "إنها في كل مكان".

"من الجيد معرفة ذلك. شكراً".

قال بيتر: "الأقلام. أقلام الرصاص، هل تعرفها؟ الخربشة على الورق. أنا خائف منك".

"مني؟".

"لا"، قال بيتر وهو يشير بذقنه إلى تيدي: "منه".

سأل تيدي: "لماذا؟".

هزّ كتفه. "أنت ضخم. مع قصة قصيرة ومنظر حقير. يمكنك تدبر أمرك. براجمك مليئة بالندوب. كان والدي هكذا. ولكن من دون الندوب. كانت يداه ناعمتين جداً. لكنه كان حقير المنظر. وأيضاً إخوتي. كانوا يضربوني".

قال تيدي: "لن أضربك".

"لكنك تستطيع ذلك. ألا ترى؟ تملك القوة. وأنا لا أملكها. يجعلني ذلك ضعيفاً. الضعف يخيفني أيضاً".

"ومتى تخاف؟".

أمسك بيتر بكاحله، وتأرجح جيئةً وذهاباً، وانسدل شعر مقدمة رأسه فوق جبينه. "كانت لطيفة. لم أقصد أي شيء. لكنها أخافتني

بثديها الكبيرين، وطريقة تحركها بذلك الثوب الأبيض، والمجيء إلى منزلنا كل يوم. كانت تنظر إليّ مثل... تعرف الابتسامة التي توجهها إلى ولد؟ كانت تعطيني تلك الابتسامة. وكانت في عمري. أوه، حسناً، ربما أكبر مني ببضع سنوات، ولكنها في العقد الثاني من العمر. وكانت تملك معرفة جنسية كبيرة. بدا ذلك جلياً في عينيها".

أمال يدي الملف بحيث يستطيع تشاك رؤية ملاحظات كاولي:

مريض اعتدى على ممرضة والده بكوب زجاجي مكسور. أصيبت الضحية بشكل خطير وتعرضت لندوب دائمة. أنكر المريض مسؤوليته عن الحادثة.

قال بيتر: "هذا فقط لأنها أخافتني. أرادتني لكي تضحك عليه... أقصد أنك تعرف هذا، يمكنك رؤية الأمر في وجهي، أنا لا أؤذي غلّة. ليس هذا من طبعي. لكن حين أخاف؛ يا الله!".

سأله تشاك بصوت هادئ: "ماذا عنه؟".

"هل فكّرت في الأمر؟".

"عقلك؟".

قال: "العقل. عقلي، عقلك، عقل أي شخص كان. إنه، مبدئياً، محرك. هذا ما هو عليه. محرك دقيق ومعقد جداً. وفيه كل تلك القطع، وكل تلك اللعب، والمسامير، والمفصلات. ولا نعرف حتى، ماذا نفعل بنصفها. لكن، إذا انزلق شيء واحد فقط، واحد فقط... هل فكّرت في ذلك؟".

"ليس أخيراً".

"عليك ذلك. إنه مثل السيارة. ليس مختلفاً. تنزلق علية، أو ينكسر مسمار، ويتعطل النظام بكامله. هل يمكنك العيش، وأنت تعرف ذلك؟". نقر على صدغه. "كل هذا عالق هنا، ولا يمكنك النفاذ إليه، ولا تستطيع، فعلاً، السيطرة عليه. لكنه يتحكم بك، أليس كذلك؟ وإذا قرر يوماً ما، أنه لا يحب العمل؟". انحنى إلى الأمام، ولاحظ الأوتار الناتئة في عنقه. "حسناً، تقع حينها في ورطة كبيرة، أليس كذلك؟".

قال تشاك: "وجهة نظر مهمة".

تراجع بيتر إلى الخلف على كرسيه، وبدأ فجأة فاتر الهمة. "هذا أكثر ما يخيفني".

تيدي، الذي منحه صداق الشقيقة القليل من المعرفة بشأن فقدان السيطرة على العقل، يوافق على المفهوم الإجمالي لبيتر، لكنه أراد رفع ذلك الحقيير من حنجرته، ورميه في أحد الأفران، في الجهة الخلفية للكافيتيريا، والسؤال عن تلك الممرضة المسكينة التي اعتدى عليها.

هل تذكر اسمها، بيتر؟ ممّ كانت تخاف برأيك؟ هاه؟ منك أنت. هذه هي الحقيقة. كانت تحاول القيام بعمل شريف. جني رزقها. ربما لديها أولاد وزوج. كانوا يحاولون ربما ادخار بعض المال لإرسال أحد أولئك الأولاد إلى الجامعة في يوم من الأيام، ومنحه حياة أفضل. إنه حلم صغير.

لكن، لا، ثمة حقير غني صغير قرر أنها لا تستطيع امتلاك هذا الحلم. عذراً، ولكن لا. لا حياة طبيعية لك، سيدتي. ليس بعد الآن.

نظر تيدي، عبر الطاولة، إلى بيتر برين، وأراد ضربه في وجهه بقوة كبيرة بحيث لا يعثر الأطباء أبداً على كل العظام في أنفه. ضربه بقوة كبيرة جداً بحيث، لا يغادر الصوت أبداً رأسه.

إلا أنه أغلق الملف بدلاً من ذلك، وقال: "كنت في جلسة العلاج، في الليلة ما قبل الفائتة، مع راشايل سولاندو. صحيح؟".
"نعم، طبعاً، سيدي".

"هل رأيته وهي تذهب إلى غرفتها؟".
"لا. غادر الرجال أولاً. كانت لا تزال جالسة مع بريدجت كيرنز وليونورا غرانت والمرضة".
"تلك الممرضة؟".

أوماً بيتر برأسه. "صاحبة الشعر الأحمر. أستلطفها أحياناً. تبدو صادقة. لكن في أحيان أخرى، هل تعرف؟".
قال تيدي "لا". وأبقى صوته ناعماً، بقدر ما كان صوت تشاك.
"لا أعرف".

"حسناً، لقد رأيته. صحيح؟".
"طبعاً. ما اسمها مجدداً؟".
قال بيتر: "لا تحتاج إلى اسم. امرأة مثل هذه؟ لا اسم لها. فتاة قدرة. هذا هو اسمها".

قال تشاك: "ولكن، بيتر، ظننت أنك قلت إنك تستلطفها".
"متى قلت ذلك؟".

"من دقيقة واحدة".
"أوه! إنها قدرة. إنها حقيرة".
"دعني أسألك شيئاً آخر".
"حقيرة، حقيرة، حقيرة".
"بيتر؟".

نظر بيتر إلى تيدي.
"هل أستطيع سؤالك شيئاً ما؟".

"بالطبع".

"هل حدث أي شيء غير اعتيادي في الجلسة، تلك الليلة؟ هل قالت راشايل سولاندو أي شيء، أو فعلت أي شيء خارج عن المألوف؟".
"لم تتفوه بكلمة. إنها فأرة. جلست فقط هناك. قتلت أولادها، هل تعرف؟ ثلاثة منهم. هل تصدق ذلك؟ أي نوع من الأشخاص هؤلاء؟ إنهم أشخاص مرضى ومقرفون في هذا العالم، سيدي، إذا كنت لا تمنع قولي ذلك".

قال تشاك: "يملك الناس مشاكل. بعضهم أكثر من الآخر. إنهم مرضى، مثلما قلت. يحتاجون إلى مساعدة".
قال بيتر: "يحتاجون إلى الغاز".
"عفواً؟!"

قال بيتر ليدي: "غاز. غاز للمتخلفين عقلياً. غاز للقتلة. قتلت أولادها؟ غاز للعاهرة".

جلسوا صامتين، وكان بيتر يتوهج، كما لو أنه أنار العالم لهما. بعد برهة، نقر على الطاولة ووقف.
"سررت بلقائكما. سأعود".

استخدم تيدي قلم رصاص لتدوين ملاحظة على غلاف الملف، وتوقف بيتر ونظر إليه.
قال تيدي: "بيتر".
"نعم؟".
"أنا...".

"هل يمكنك التوقف عن ذلك؟".
كتب تيدي الأحرف الأولى من اسمه على الكرتونة بضربات طويلة وبطيئة. "كنت أتساءل إذا...".

"أرجوك، أرجوك، هل يمكنك...؟".
نظر تيدي إلى الأعلى، وهو لا يزال يضع قلم الرصاص فوق غلاف الملف. "ماذا؟".
"... التوقف عن ذلك؟".
"ماذا؟". نظر تيدي إليه، ومن ثم إلى الملف. رفع قلم الرصاص، ومن ثم رفع حاجبه.
"نعم، من فضلك. هذا".
وضع تيدي قلم الرصاص على الغلاف. "أفضل؟".
"شكراً لك".
"هل تعرف مريضاً، بيتر، اسمه آندرو لايديز؟".
"لا".
"لا؟ لا أحد هنا بهذا الاسم؟".
هزّ بيتر كتفه. "ليس في الجناح أ. قد يكون في الجناح ج. لا نتعاطى معهم. إنهم مجانين".
قال تيدي: "حسناً، شكراً لك بيتر". ورفع قلم الرصاص مجدداً، وعاد للخرشة.

بعد بيتر برين، أجريا مقابلة مع ليونورا غرانت. كانت ليونورا مقتنعة أنها ماري بيكفورد، وتشاك هو دوغلاس فايربانكس، وتيدي هو تشارلي شابلين. اعتقدت أن الكافيتيريا هي مكتب في بولفار غروب الشمس، وقد اجتمعوا هنا لمناقشة عرض في نقابة الفنانين المحترفين. استمرت في ملاطفة متن يد تشاك، وسؤاله عمّن سيتولى تدوين ملاحظات الاجتماع.
في النهاية، اضطر الحارسان إلى سحب يدها عن معصم تشاك، فيما بكت ليونورا: "وداعاً حبيبي. وداعاً".

في منتصف الكافيتيريا، أفلتت من الحارسين، وعادت إليهما،
وأمسكت بيد تشاك.

قالت: "لا تنسَ إطعام الهرة".

نظر تشاك إلى عينيها وقال: "حاضر".

بعد ذلك، التقيا بآرثر تومي الذي أصرَّ على أن ينادياه جو. نام
جو، خلال جلسة العلاج، تلك الليلة. تبين أن جو مصاب بمرض النوم
العميق. نام مرتين معهما، في المرة الثانية طوال النهار، نوعاً ما.

كان تيدي يدرس المكان في رأسه. جعله ذلك يشعر بالحكاك في
رأسه، وفيما شعر بالتعاطف مع كل المرضى، باستثناء برين، لم يكف
عن التساؤل كيف يستطيع الإنسان تحمل العمل هنا.

جاء ترائي مع امرأة صغيرة لها شعر أشقر ووجه على شكل قلادة.
نبضت عيناها بالوضوح. ليس وضوح المجانين، وإنما الوضوح اليومي
لامرأة ذكية في عالم أقل من ذكي. ابتسمت ولوحت إلى كل منهما
قبل أن تجلس.

تحقق تيدي من ملاحظات كاولي، بريدجت كيرنز.

قالت، بعدما جلسوا هناك لبضع دقائق: "لن أخرج أبداً من هنا".
تدخن سجائرهما حتى النصف فقط، قبل أن تطفئها، وكشفت عن
صوت ناعم وواثق، علماً أنها قتلت زوجها بفأس، قبل عقد من الزمن
تقريباً.

قالت: "لست واثقة من أنني سأخرج".

قال تشاك: "لماذا؟ أعني، عذراً على قول ذلك، آنسة

كيرنز...".

"سيده".

"سيده كيرنز. عذراً. لكنك تبدين طبيعية بالنسبة إليّ".

تراجعت إلى الخلف على كرسيها، بارتياح أكثر من أي شخص آخر التقيا به في هذا المكان، وأصدرت ضحكة ناعمة. "أفترض. لم أكن هكذا عندما جئت إلى هنا. أوه يا الله! أنا مسرورة لأهم لا يلتقطون الصور. تم تشخيصي باكتئاب هوسي، ولا أملك سبباً للشك في ذلك. لقد عشت أياماً سوداء. أعتقد أن الجميع يعيشون ذلك. الفرق هو، أن معظم الأشخاص لا يقتلون أزواجهم بفأس. قيل لي إنني أملك نزاعات عميقة مع والدي، وأوافق على ذلك أيضاً. أشك في أن أخرج وأقتل شخصاً مجدداً، لكنك لا تستطيع التأكد". وجهت طرف سيجارتهما ناحيتهما. "أظن أنه إذا ضربك رجل وخانك مع نصف النساء اللواتي يصادفهن ولا يساعدك أحد، فلن يكون ضربه بالفأس عملاً غير مبرر، بالنسبة إليك".

التقت عيناها بعيني تيدي، ثم شيء في يؤبؤها - ربما خجل فتاة المدرسة - جعله يضحك.

"ماذا؟". قالت، وهي تضحك معه.

قال لها: "ربما لا يجدر بك الخروج".

"تقول ذلك لأنك رجل".

"أنت محقة".

"حسناً، لا ألوئك".

من المريح الضحك بعد بيتر برين، وتساءل تيدي إذا كان يغازل، قليلاً أيضاً، مريضة عقلية، قاتلة بفأس. هذا ما وصلت إليه، دولوريس. لكنه لم يشعر بالسوء حيال ذلك، كما لو أنه، بعد هذين العامين القائمين من الحداد، أصبح مخولاً للقيام ببعض المغازلة غير المؤذية.

قالت بريدجت: "ماذا سأفعل إذا خرجت؟ لم أعد أعرف ماذا

يوجد في ذلك العالم. قنابل، حسبما أسمع. قنابل تستطيع تحويل مدن

بكاملها إلى رماد. وأجهزة تلفزيون، هذا ما يسمونها، أليس كذلك؟ ثمّة شائعة تفيد أن كل جناح سيحصل على جهاز، وستتمكن من رؤية برامج في هذه العلبة. لا أعرف إذا كنت سأحب ذلك. إنها أصوات خارجة من علبة، وجوه في علبة. أسمع ما يكفي من الأصوات، وأرى ما يكفي من الوجوه كل يوم. لا أحتاج إلى المزيد من الضجيج".

سألها تشاك: "هل أخبرتي عن راشايل سولاندو؟".

توقفت. كان ذلك أشبه بتوقف مفاجئ، ولاحظ تيدي عينيها تشردان قليلاً، كما لو أنها تبحث في دماغها عن الملف الصحيح، ودون تيدي كلمة أكاذيب في دفتره، واضعاً معصمه فوق الكلمة ما إن انتهى.

صدرت كلماتها بروية أكبر، وفاحت منها رائحة الكذب.

"راشايل لطيفة كفاية. إنها كتومة. تتحدث كثيراً عن المطر، لكنها في أغلب الأحيان لا تتحدث أبداً. تعتقد أن أولادها لا يزالون على قيد الحياة. تعتقد أنها لا تزال تعيش في بيركشاير وأنا جميعاً حيران، وعمال بريد، وعمال توصيل. كانت تصعب معرفتها".

تحدثت، وهي توجه رأسها إلى الأسفل، وعندما انتهت، لم تستطع النظر في عيني تيدي. ابتعدت نظرهما عن وجهه، وتمنعت في سطح الطاولة، وأشعلت سيجارة أخرى.

فكّر تيدي في ما قالته للتو، وأدرك أن وصفها لأوهام راشايل كان مطابقاً حرفياً، لما قاله لهما كاولي البارحة.

"كم مضى على وجودها هنا؟".

"هوه؟".

"راشايل. كم مضى على وجودها في الجناح ب معك؟".

"ثلاثة أعوام؟ حسبما أظن. أتوه في الوقت. يسهل ذلك في مثل

هذا المكان".

سأل تيدي: "وأين كانت قبل ذلك؟".
"في الجناح ج، مثلما سمعت. تم نقلها حسبما أظن".
"لكنك لست أكيدة".
"لا. أنا... مجدداً".
"طبعاً. هل حدث أي شيء غير اعتيادي في آخر مرة رأيته؟".
"لا".
"كان ذلك في مجموعة".
"ماذا؟".

قال تيدي: "آخر مرة رأيته فيها. كان ذلك في جلسة العلاج، في الليلة ما قبل الفائتة".
"نعم، نعم". أومأت برأسها مرات عدة، ونفضت بعضاً من رماد السيجارة فوق المنفضة. "في مجموعة".
"وهل ذهبتُم إلى غرفكم جميعاً مع بعضكم بعضاً؟".
"نعم، مع السيد غانتون".
نظرت إلى الأعلى، ولاحظ تيدي الارتباك، وربما بعض الرعب على وجهها. "لا أعرف ماذا تقصد".
"هل كان الدكتور شيهان هناك في تلك الليلة؟".
نظرت إلى تشاك، ومن ثم إلى تيدي، وزمت شفتها العليا على أسنانها. "نعم، كان هناك".
"كيف شكله؟".
"الدكتور شيهان؟".
أوماً تيدي برأسه.
"إنه جيد. إنه لطيف. وسيم".
"وسيم؟".

"نعم. إنه... عيناه غير قاسيتين، مثلما كانت تقول أُمي".

"هل غازلك يوماً؟".

"لا".

"تودد منك؟".

"لا، لا، لا. الدكتور شيهان طبيب جيد".

"وتلك الليلة؟".

"تلك الليلة؟". فكّرت في الأمر قليلاً. "لم يحدث أي شيء غير

اعتيادي تلك الليلة. تحدثنا عن السيطرة على الغضب؟ وتدمرت راشايل

من المطر. وغادر الدكتور شيهان مباشرة قبل انتهاء الجلسة، ورافقنا

السيد غانتون إلى غرفنا، وذهبنا إلى الأسرة، وهكذا كان".

كتب تيدي في دفتره مدرّبة تحت كلمة أكاذيب، وأغلق الملف.

"هكذا فقط؟".

"نعم. في صباح اليوم التالي، اختفت راشايل".

"صباح اليوم التالي؟".

"نعم. استيقظت وسمعت أنها هربت".

"لكن تلك الليلة، قرابة منتصف الليل، سمعت ذلك، صحيح؟".

"سمعت ماذا؟". أطفأت سيجارتهما، ولوّحت للدخان الذي صدر

منها.

"الفوضى. حين تم اكتشاف اختفائها".

"لا، كنت...".

"كان هناك صراخ، وضجيج، وركض الحراس في كل مكان،

وأطلقت صفارات الإنذار".

"ظننتُ أنه حلم".

"حلم؟!".

أومأت بسرعة قائلة: "طبعاً. كابوس". نظرت إلى تشاك. "هل أستطيع الحصول على كوب من الماء؟".

"طبعاً". وقف تشاك ونظر حوله، ورأى كدسة من الأكواب، في الجهة الخلفية للكافيتيريا، قرب براد من الفولاذ.

وقف أحد الحراس، نصف وقفة عن كرسيه. "حضرة المارشال؟".
"أريد فقط بعض الماء. لا بأس".

وصل تشاك إلى البراد، وأخذ كوباً زجاجياً، واحتاج إلى بضعة ثوانٍ ليقرر أي خرطوم يضخ الحليب، وأي خرطوم يضخ الماء.

فيما رفع الخرطوم، الذي هو عبارة عن مقبض سميكة، بدا مثل ظفر معدني، أخذت بريدجت كيرنز دفتر تيدي وقلمه. نظرت إليه مباشرة، في عينيه، وفتحت على صفحة نظيفة، وحريشت شيئاً عليها، ثم أغلقت الدفتر، وأعدت إليه الدفتر والقلم.

وجه إليها تيدي نظرة محتارة، لكنها أفلتت عينيه، ولاطفت علبة سجائرها.

عاد تشاك مع الماء وجلس. راقبا بريدجت، وهي تشرب نصف الكوب، ثم تقول: "شكراً. هل هناك المزيد من الأسئلة؟ أنا متعبة نوعاً ما".

سألها تيدي: "هل التقيت يوماً بمريض اسمه آندرو لايديز؟".
لم يكشف وجهها عن أي تعبير. أبداً على الإطلاق. بدا وكأنه تحول إلى حجر. بقيت يدها مسطحة على الطاولة، كما لو أن رفعها عنها سيدفع الطاولة إلى الطيران نحو السقف.

لم يعرف تيدي السبب، لكنه أيقن تماماً أنها كانت على وشك البكاء.

قالت: "لا. لم أسمع به أبداً".

سأل تشاك: "هل تظن أنه جرى تدريبها؟".
"أليس كذلك؟".

"حسناً، بدت الأجوبة مصطنعة قليلاً".

كانا في الممر الذي يصل أشكليف بالجناح ب، وباتا الآن تحت المطر، وتساقط الماء على بشرتهما.

"قليلاً؟ استخدمت الكلمات نفسها التي استخدمها كاولي في بعض الحالات. حين سألناها عن موضوع جلسة العلاج، توقفت قليلاً ثم قالت السيطرة على الغضب؟ كما لو أنها لم تكن واثقة. كما لو أنها كانت تخضع لامتحان، وأمضت الليل بكامله وهي تدرس".
"ماذا يعني ذلك؟".

قال تيدي: "اللعة عليّ إذا كنت أعرف! كل ما أحصل عليه هو أسئلة. كل نصف ساعة، كما لو أن هناك ثلاثين سؤالاً إضافياً".
قال تشاك: "أوافقك الرأي. هاي، إليك هذا السؤال؛ من هو أندرو لايديز؟".

"هل انتبهت إلى ذلك؟". أشعل تيدي إحدى السجائر التي ربحها في البوكر.

"سألت كل مريض تحدثنا إليه".

"لم أسأل كين أو ليونورا غرانت".

"تيدي، لا يعرفان على أي كوكب يعيشان".

"صحيح".

"أنا شريكك، سيدي".

اتكأ تيدي إلى الخلف، على الجدار الحجري، وانضم تشاك إليه. برم رأسه، ونظر إلى تشاك.

قال له: "التقينا للتو".

"أوه، لا تثق بي".

"أثق بك، تشاك، أكيد. لكنني أحرق القوانين هنا. طلبتُ هذه القضية، بالتحديد، لحظة وصلت إلى المكتب الميداني".
"إذا؟".

"إذا، دوافعي ليست موضوعية تماماً".

أوماً تشاك برأسه، وأشعل سيجارة منه. "فتاتي، جولي - جولي تاكيتومي - هذا هو اسمها. إنها أميركية بقدري أنا. لا تحدث أي كلمة يابانية. جاء أهلها قبل جيلين إلى هذا البلد. لكنهم وضعوها في مخيم، ومن ثم...". هزّ رأسه ثم رمى سيجارته تحت المطر، ورفع قميصه، كاشفاً عن البشرة فوق وركه الأيمن. "انظر تيدي. انظر إلى ندبتي الأخرى".

نظر تيدي. كانت ندبة طويلة ومثل الهلام، سميكة بقدر إهامه. "لم أصب بهذه الندبة، في الحرب أيضاً. أصبت بها، في أثناء عملي مع المارشالات. دخلنا عبر باب في تاكوما. طعني الرجل الذي كنا نطارده بسيف. هل تصدق ذلك؟ سيف لعين! أمضيت ثلاثة أسابيع في المستشفى، حيث قاموا بتقطيب أحشائي. في خدمة المارشالات الأميركيين، تيدي. في خدمة بلدي. ثم يطردوني من القسم الذي أعمل فيه، لأنني مغرم بامرأة أميركية لها بشرة وعينان آسيويتان". أنزل قميصه مجدداً. "اللعنة عليهم!".

قال تيدي، بعد برهة: "بالرغم من أنني لا أعرفك جيداً، أقسم إنك مغرم فعلاً بهذه المرأة".

قال تشاك: "إنني مستعد للموت من أجلها. لا أندم على ذلك أيضاً".

أوماً تيدي برأسه. ما من شعور أنقى في هذا العالم برأيه.

"لا تتخل عن هذا الشعور، صديقي".
"لن أفعل تيدي. هذا هو المهم. لكنك ستخبرني عن سبب وجودنا هنا. من هو آندرو لايديز؟".
رمى تيدي كعب سيجارته في الممر الحجري، ثم سحقه بكعب حذائه.

خاطب نفسه: دولوريس عليّ إخباره. لا أستطيع فعل ذلك وحدي.
إذا كان بعد كل خطاياي - كل شربي للكحول، كل الأوقات التي تركتك فيها لوحدة لفترة طويلة، وخذلتك، وحطمت قلبك - إذا كان في وسعي التعويض عن أي من ذلك، قد يكون هذا هو الوقت، الفرصة الأخيرة التي أملكها.
أريد فعل ذلك بالطريقة الصحيحة، حبيتي. أريد التعويض. ستفهمين ذلك أنت، وكل الأشخاص.

خاطب تشاك "آندرو لايديز". وعلقت الكلمات في حنجرتة الجافة. ابتلع، وحجز بعض الريق في فمه، ثم حاول مجدداً...
قال: "آندرو لايديز، كان رجل الصيانة، في المبنى الذي عشت فيه وزوجتي".
"حسناً".

"كان أيضاً يحب إحراق الأشياء".
استوعب تشاك ذلك، وتأمل وجه تيدي.
"إذاً...".

قال تيدي: "آندرو لايديز أشعل عود الثقاب الذي سبب الحريق...".
"اللعة!".

"... الذي قتل زوجتي".

مشى تيدي إلى حافة المشى، وأخرج رأسه من تحت السقيفة لتبليل وجهه وشعره. استطاع رؤيتها في القطرات. تذوب بفعل الاحتكاك.

لم تشأ أن يذهب إلى العمل ذلك الصباح. في السنة الأخيرة من حياتها، أصبحت خائفة بطريقة غير مبررة، عرضة للأرق الذي تركها مليئة بالرعب والتشوش. داعبته، بعدما توقف جرس المنبه، ثم اقترحت أن يغلقا الستائر وينسيا النهار ولا يغادرا السرير أبداً. حين عانقته، تشبثت به بقوة كبيرة، ولفترة طويلة، وأحسّ تيدي بالعظام في ذراعها تنسحق في عنقه.

فيما كان يستحم، جاءت إليه، لكنه كان مستعجلاً جداً، وقد تأخر أصلاً، وكما هي حاله غالباً هذه الأيام، يعاني من آثار الثمالة. كان رأسه مفتقداً إلى الحيوية ومليئاً بالأشواك في الوقت نفسه. بدا جسمها مثل الورق الرملي حين ضغطت بجسمها على جسمه. كان الماء النازل من الدوش مثل الرصاص.

قالت: "ابقَ معي يوماً واحداً. أي فرق سيحدثه يوم واحد؟".

حاول الابتسام، فيما أبعداها برفق عن طريقه، وتمدد لإحضار الصابون. "حييتي، لا أستطيع".
"لماذا؟".

"هات. أعطني الصابون". قضمت بأسنانها صدره.

حاول ألا يدفعها. أمسكها بكتفيها بأكبر رفق ممكن، وأرجعها خطوة أو خطوتين. قال لها: "هيا. عليّ فعلاً الذهاب".

ضحكت قليلاً، وحاولت مداعبته مجدداً، لكنه استطاع رؤية عينيها تمتلئان بالأس في أن تكون سعيدة، من أن لا تبقى وحيدة، من أن تعيد الأيام القديمة - قبل أن بدأ العمل كثيراً، وشرب الكحول كثيراً - قبل أن تستيقظ ذات صباح، ويبدو العالم ساطعاً جداً، صارخاً جداً، بارداً جداً.

"حسناً، حسناً". تراجعت إلى الخلف بحيث استطاع رؤية وجهها، فيما تناثر الماء عن كتفيه وبلل جسمها. "سأعقد صفقة معك. ليس اليوم كله، صغيري. ليس اليوم كله، ساعة واحدة فقط. تأخر فقط ساعة واحدة".

"أصلاً لقد...".

"ساعة واحدة". قالت وهي تربّت عليه مجدداً، وقد امتلأت يدها برغوة الصابون الآن. "ساعة واحدة ثم يمكنك الذهاب". رفعت نفسها على أطراف أصابع قدميها لتقبيله.

قبلها بسرعة كبيرة على الشفتين وقال لها: "حبيبي لا أستطيع". وبرم وجهه نحو رذاذ الدّوش.

قالت: "هل سيتم استدعاؤك مجدداً؟".

"هوه؟".

"إلى القتال".

"ذلك البلد اللعين. حبيبي، ستنتهي تلك الحرب قبل أن أربط شريط حذائي".

قالت: "لا أعرف. لا أعرف حتى، لماذا نحن هنا. أقصد...".

"لأن جيوش كجيش كوريا الشمالية لا تحصل على أسلحة كهذه من أي مكان، حبيبي. حصلت الجيوش عليها من ستالين. علينا

الإثبات أننا تعلمنا من ميونيخ، أنه كان علينا توقيف هتلر حينها، لكي
نتمكن من وقف ستالين وماو، الآن، في كوريا".
"ستذهب".

"إذا تم استدعائي؟ أنا مجبر. لكنهم لن يفعلوا حبيبي".
"وكيف تعرف؟".

غسل شعره بالشامبو.
"هل تساءلت يوماً لماذا يكرهونا إلى هذه الدرجة؟ الشيوعيون؟
لماذا لا يتركوننا وشأننا؟ سينفجر العالم، ولا أعرف حتى، لماذا".
"لن ينفجر".

"بلى. أقرأ الصحف و...".
"إذاً توقفي عن قراءة الصحف".

شطف يدي شعره بالماء، وضغطت بوجهها على ظهره، ولفتت
يديها حول بطنه. "أذكر المرة الأولى التي رأيتك فيها في الغروف. في
بذلتك العسكرية".

يكره تيدي حين تفعل ذلك. شريط الذكريات. لا تستطيع
التكيف مع الحاضر، حيث هما الآن، مع المشاكل وكل شيء، ولذلك
تعود بشريط الذكريات إلى الوراء لتدفئة نفسها.

"كنت وسيماً جداً. وقالت ليندا كوكس: أنا من رآه أولاً. لكن
هل تعرف ماذا قلت لها؟ لقد تأخرت حبيبي".

"لماذا قلت ذلك؟ لا. قلت: لقد رأيته أولاً ربما، ليندا، لكنني
سأراه أخيراً". رأت أنك تبدو حقيراً عن قرب، لكنني قلت لها:
"حبيبي، هل نظرت في عينيه. ما من شيء حقير فيهما".

أغلق تيدي صنبور الدوش واستدار، ولاحظ أن زوجته نجحت في
وضع بعض من صابونه عليها. تناثرت بقع من رغوة الصابون على لحمها.

"هل تريد أن أفتح صنبور الدُوش مجدداً؟".
هزّت رأسها.

لف منشفة حول خصره، وحلق أمام المغسلة، واتكأت دولوريس على الجدار، فيما جفت بقع الصابون البيضاء على جسمها وقفت تراقبه.

قال تيدي: "لماذا لا تجففين نفسك. أو تضعين عليك ثوباً؟".
قالت: "لقد اختفى الماء الآن".

"لا، لم يجف. يبدو مثل طفيليات بيضاء عالقة عليك".
قالت: "ليس الصابون".
"ماذا إذا؟".

"كوكونات غروف. احترق بكامله فيما كنت هناك".
"نعم، حبيبي. سمعت ذلك".
"هناك". أنشدت برفق، وهي تحاول بث المرح في الأجواء.
"هناك...".

لطالما امتلكت صوتاً جميلاً. الليلة التي عاد فيها من الحرب، نزلا في غرفة في فندق باركر هاوس، وبعدما أقاما علاقة حميمة، سمعها تغني للمرة الأولى من الحمام، فيما كان مستلقياً على السرير؛ فتيات باقلو، فيما خرج البخار من تحت الباب.
قالت: "هاي".

"نعم؟". رأى انعكاس الجهة اليسرى من جسمها في المرأة. لقد جف معظم الصابون على بشرتها وأزعجه ذلك. أوحى ذلك باعتداء، بطريقة لا يستطيع وضع إصبعه عليه.
"هل لديك امرأة أخرى؟".
"ماذا؟".

"قل لي".

"عمّ تتحدثين؟ أنا أعمل، دولوريس".

هزّت كتفها، كما لو أنه لا علاقة للموضوع بالحديث الحالي. وضعت قدمها على الجدار، واستخدمت إصبعاً لمسح الماء عن فخذها الداخلي. "لم تعد تقيم علاقة حميمة معي".

"دولوريس، أنا جادٌ لا تتحدثي بهذه الطريقة في المنزل".

"عليّ الافتراض إذاً، أنك تقوم بذلك معها".

"أنا لا أقوم بأي شيء، مع أحدٍ، وهلا توقفت عن لفظ هذه الكلمة؟".

"أي كلمة؟". وضعت يدها أسفل بطنها. "علاقة حميمة؟".

"نعم". رفع يده. تابع الحلاقة باليد الأخرى.

"هل هي سيئة؟".

"تعرفين أنها كذلك". أنزل الشفرة إلى حنجرته، وسمع صوت حربية الشعيرات عبر رغوة الصابون.

"ما هي إذاً الكلمة الجيدة؟".

"هوه؟". غمس الفرشاة في الماء وهزّها.

"أي كلمة لا تجعلك تشعر بالغضب؟".

"لم أغضب".

"بلى".

أهّمت حلاقة حنجرته، ومسح الشفرة بفوطة. وضع القسم المسطح منها تحت شارب خدّه الأيسر.

"لا، جيبتي. لم أغضب". نظر إلى عينيها عبر المرأة.

"ماذا يفترض بي القول؟".

"دولوريس".

قالت: "أحمق".

انزلقت الشفرة عميقاً جداً في بشرة تيدي، لدرجة شك أنها وصلت إلى عظم فكّه. اتسعت عيناه وأشرق كل الجانب الأيسر من وجهه، ثم دخل بعض من رغوة الخلاقة إلى الجرح، وسال الدم داخل الغيوم البيضاء والماء الذي في المغسلة.

أعطته منشفة، لكنه دفعها بعيداً، وامتنص الهواء عبر أسنانه، وترك الألم يحفر داخل عينيه، يتغلغل في دماغه، ونزف فوق المغسلة، وشعر أنه على وشك البكاء. ليس من الألم. ليس من آثار الثمالة. وإنما لأنه لا يعرف ماذا يحدث لزوجته، الفتاة التي رقص معها للمرة الأولى في كوكونات غروف. لا يعرف ماذا أصبحت، أو، ماذا أصبح العالم مع حروبه الصغيرة والقذرة، ومع الكراهية والتجسّسات في واشنطن، في هوليوود، أقنعة الغازات في المدارس، مع ملاجئ إسمتية من القنابل في الطوابق الأرضية. وكل شيء مترابط نوعاً ما؛ زوجته، هذا العالم، شربه للكحول، الحرب التي شارك فيها لأنه اعتقد، فعلاً، أنها ستنتهي، كل ذلك...

نزف في المغسلة، وقالت دولوريس: "أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة". وأخذ المنشفة في المرة الثانية التي أعطته إياها لكنه، لم يستطع لمسها أو النظر إليها. استطاع سماع الدموع في صوتها، وعرف أن هناك دموعاً في عينيها، وعلى وجهها، وكره كم أصبح العالم لعيناً، وفاحشاً تماماً، مثل كل شيء فيه.

* * *

في الصحيفة، قيل إن آخر شيء قاله لزوجته، هو أنه يحبها.
كذبة.

آخر شيء قاله فعلاً؟

تمدد نحو مقبض الباب، وضغط بمنشفة ثالثة على فكه، فيما بحث عيناها في وجهه:

"الله، دولوريس، عليك استجماع قواك. لديك مسؤوليات. فكّر في فيها أحياناً اتفقنا؟ وفكّر في طريقة صحيحة.

كانت تلك الكلمات الأخيرة التي سمعتها منه زوجته. أغلق الباب، ونزل السلام، وتوقف عند الدرجة الأخيرة. فكّر في العودة. فكّر في صعود السلام مجدداً والدخول إلى الشقة وتسوية الأمور نوعاً ما. أو على الأقل جعل الأمور أكثر هدوءاً. أكثر هدوءاً. كان ذلك أفضل.

المرأة، صاحبة الندبة السوداء على حنجرتها، جاءت تتمايل في الممر صوبهما، وكانت مكبلة في الكاحلين والمعصمين، مع حارس على كل جانب. بدت سعيدة، وأصدرت أصوات بطة، وحاولت التصفيق بمرفقيها.

قال تشاك: "ماذا فعلت؟".

أجاب الحارس: "هذه؟ إنها ماغي العجوز. نسميها ماغي مونباي. إنها ذاهبة الآن إلى غرفة العلاج المائي. لكننا لا نستطيع المجازفة معها.

توقفت ماغي أمامهما، وأسرع الحارسان لمنعها من التحرك، لكنها دفعتهما بمرفقيها، وضربت قدميها على الأرض، فبرم أحد الحارسين عينيه وتهد.

"أصبحت الآن مهتدية. هل تسمعان؟".

حدّقت ماغي إلى وجهيهما، وأمالت رأسها إلى اليمين، وتحركت مثل السلحفاة، التي تحسس طريقها خارج قوقعتها.

قالت: "أنا الطريق. أنا النور. ولن أخبز فطائر كما اللعينة. لن أفعل. هل تفهمان؟".

قال تشاك: "طبعاً".

قال تيدي: "حاضر. لا فطائر".

"جئتما إلى هنا. ستبقيان هنا". شمت ماغي الهواء. "إنه مستقبلكما وماضيكما، وهو يدور مثل دورات القمر حول الأرض".
"نعم سيدتي".

انحنت صوبهما وشمتهما. أولاً تيدي، ومن ثم تشاك.

"إنهم يحتفظون بأسرار. هذا ما يقي الجحيم هنا".

قال تشاك: "حسناً، هذا، والفطائر؟".

ابتسمت له، وبدا لبرهة أن شخصاً عاقلاً دخل جسمها، وظهر عبر بؤبؤها.

"اضحك". قالت لتشاك. "هذا جيد للروح. اضحك".

قال تشاك: "حسناً. سأفعل سيدتي".

لمست أنفه بإصبع معقوف. "أريد أن أذكرك بهذه الطريقة؛ وأنت تضحك".

ثم استدارت بعيداً، وبدأت تمشي. لحق بها الحارسان، ومشيا معها في الممر، وعبر باب جانبي يؤدي إلى المستشفى.
قال تشاك: "فتاة مضحكة".

"من النوع الذي تحضره إلى المنزل لأملك".

"ثم تقتل أمك، وتدفنها خارج المنزل، لكن بالرغم من ذلك...". أشعل تشاك سيجارة. "لايديز".

"قتل زوجتي".

"أنت قلت هذا. كيف؟".

"كان مهووساً بالنار".

"قلت ذلك أيضاً".

"كان أيضاً عامل الصيانة في المبنى عندنا. تشاجر مع المالك. طرده المالك. في ذلك الوقت، عرفنا جميعاً أن الحريق كان مفتعلاً. أشعله شخص ما. كان لا يديز على لائحة المشتبه بهم، لكنهم احتاجوا إلى بعض الوقت للعثور عليه، وحين فعلوا، حصل على البراءة. اللعنة! لم أكن واثقاً، حتى من أنه هو".

"وما الذي غيّر رأيك؟".

"قبل سنة، فتحت الجريدة ووجدته. أحرق مدرسة، حيث كان يعمل. القصة نفسها؛ طرده وعاد، وأشعل الطابق الأرضي، وشغل الغلاية لكي ينفجر المبنى. تماماً مثلما حصل عندنا. الأمر مشابه. لم يكن هناك أولاد في المدرسة، وإنما فقط المديرية التي كانت تعمل حتى وقت متأخر. ماتت. تمت إحالة لا يديز إلى المحاكمة، وزعم أنه سمع أصواتاً، وحكموا عليه بالذهاب إلى شاتاك. حدث شيء هناك - لا أعرف ماذا - لكن تم نقله إلى هنا، قبل ستة أشهر".

"لكن، لم يره أحد".

"في الجناحين أ وب".

"ما يوحي أنه في الجناح ج".

"نعم".

"أو ميت".

"ربما. وهذا سبب آخر للعثور على المدافن".

"لكن فلنقل إنه ليس ميتاً".

"حسناً...".

"إذا عثرت عليه، تبدي، ماذا ستفعل؟".

"لا أعرف".

"لا تسخر مني سيدي".

جاءت ممرضتان نحوهما، وكانتا تطقطقان بأحذيتهما، وتسيران بمحاذاة الجدار، لتفادي المطر.

قالت إحداهما: "أصبحتما مبللين أيها الرجلان".

قال تشاك: "بالكامل؟". وضحكت تلك التي كانت أقرب إلى

الجدار، فتاة قصيرة صاحبة شعر أسود قصير.

بعدما مرّتا، استدارت الممرضة، صاحبة الشعر الأسود، نحوهما

وقالت: "هل تغازلون هكذا دوماً أيها المارشالات؟".

قال تشاك: "حسب".

"ماذا؟".

"نوعية الموظفين".

توقفتا لبرهة، وعندما فهمتا، دفنت الممرضة، صاحبة الشعر

الأسود القصير، وجهها في كتف الممرضة الأخرى، وانفجرتا في الضحك، وتوجهتا نحو باب المستشفى.

يا الله! كم يحسد تيدي تشاك. قدرته على تصديق الكلمات التي

يلفظها. في مغازلات سخيفة. في ميله السهل إلى لعب سريع وسخيف

بالكلمات! ولكن أكثر من كل ذلك خفة دمه وسحره!

لم يتوافر السحر يوماً بسهولة لتيدي. بعد الحرب، أصبح الأمر

أكثر صعوبة. بعد دولوريس، اختفى تماماً.

كان السحر ترفاً للذين لا يزالون يعتقدون بالاستقامة الأساسية

للأمور. في النقاوة والحدود المستقيمة.

قال لتشاك: "تعرف، في آخر صباح مع زوجتي، تحدثت عن

حريق كوكونات غروف".

"حقاً؟!"

"هناك التقينا. في الغروف. كانت تملك تلك الصديقة الغنية، وتم السماح لي بالدخول لأنهم منحوا جسماً للعسكريين. كان ذلك مباشرة، قبل سفري. رقصت . هنا طوال الليل. حتى رقصة الفوكستروت".
أبعد تشاك عنقه عن الجدار، ونظر إلى وجه تيدي. "هل ترقص الفوكستروت؟ أحاول تصور ذلك، ولكن..."

قال تيدي: "هاي سيدي، لو رأيت زوجتي تلك الليلة! لكنك قفزت عن الأرض مثل الأرنب لو طلبت منك ذلك".
"التقيت بها إذاً، في الكوكونات غروف".

أوماً تيدي برأسه. "ثم احترق فيما كنت في إيطاليا؟ نعم، كنت في إيطاليا حينها؛ ووجدت ذلك خطيراً. كانت تخاف كثيراً من النار".
قال تشاك بهدوء: "لكنها ماتت بالنار".
"سخرية القدر، أليس كذلك؟".

استرجع تيدي صورة لها، من ذلك الصباح الأخير، وهي ترفع ساقها على جدار الحمام، عارية، وجسمها ملطخ ببقع الرغبة البيضاء.
"تيدي؟".

نظر تيدي إليه.

بسط تشاك يديه. "سأدعمك في هذه القضية. مهما كلف الأمر. تريد العثور على لايديز وقتله؟ هذا غرامي".

"غرام". ابتسم تيدي. "لم أسمع هذه الكلمة منذ..."

"ولكن، سيدي، أريد معرفة ما يمكن توقعه. أنا جاد. علينا إنجاز مهمتنا بسرعة، وإلا سننتهي في محكمة، أو قضية جديدة. الجميع يفتشون هذه الأيام، هل تعلم؟ يبحثون عنا جميعاً. يراقبون، يصبح العالم أصغر، دقيقة بعد دقيقة".

أرجع يدي إلى الخلف كتلة شعره السميك النازلة على جبينه.
"أظن، أنك تعرف هذا المكان. أظن، أنك تعرف شيئاً لم تخبرني به.
أظن، أنك جئت إلى هنا، لإلحاق الأذى".

وضع يدي يده فوق قلبه.
"أنا جادٌ، سيدي".

قال يدي: "نحن مبلان".
"إذاً".

"برأيي، هل سنهتم إذا أصبحنا مبلين أكثر؟".

* * *

غادرا بعد ذلك، وتوجها إلى الشاطئ. غطى المطر كل شيء.
موجات، بحجم المنازل، ارتطمت بالصخور. كانت تعلو كثيراً في
الهواء، ثم تتناثر لإفساح المجال أمام موجات جديدة.
صرخ يدي فوق الهدير: "لا أريد قتله".
"لا؟"
"لا".

"لست واثقاً من أنني أصدقك".
هزّ يدي كتفه.

قال تشاك: "لو كانت زوجتي؟ لقتله مرتين".
قال يدي: "تعبت من القتل. في الحرب؟ همت كثيراً. كيف يمكن
ذلك تشاك؟ لكنني فعلتها".

"بالرغم من ذلك. إنها زوجتك، يدي".
عثرا على مجموعة من الصخور السوداء، الحادة، التي قذفها البحر،
إلى بين الأشجار، ووصلت إلى اليابسة.

قال يدي: "انظر". بعد أن وصلا إلى سهل مرتفع ودائرة من

الأشجار العالية، التي حجبت بعض المطر. "لا أزال أضع العمل المهني أولاً. نعرف ماذا حصل لراشايل سولاندو. وإذا صادفتُ لايديز في أثناء قيامي بذلك؟ يكون هذا رائعاً. سأقول له إنني أعرف أنه قتل زوجتي. سأقول له إنني سأكون في انتظاره على اليابسة حين يتم إطلاق سراحه. سأقول له إنه لن يستطيع تنفس الهواء الحر طالما أنا على قيد الحياة". قال تشاك: "هذا كل شيء؟".

"هذا كل شيء".

مسح تشاك عينيه بكُمّه، وأبعد شعره عن جبينه. "لا أصدقك. فعلاً، لا أصدقك".

نظر تيدي إلى جنوب حلقة الأشجار، ورأى أعلى مستشفى أشكليف ومبانيها.

"هل تظن أن كاولي يعرف السبب الحقيقي لوجودك هنا؟".

"أنا هنا فعلاً، من أجل راشايل سولاندو".

"لكن اللعنة، تيدي، إذا كان الرجل الذي قتل زوجتك موجوداً هنا، إذاً...".

"لم تتم إدانته بذلك. ما من شيء يربطنا ببعض أنا وهو. لا شيء".

جلس تشاك على صخرة ناتئة، وأخفض رأسه للمطر. "المدافن إذاً. لم لا نرى إذا كنا نستطيع العثور عليها، بعد أن أصبحنا الآن خارجاً؟ إذا رأينا مدفناً للايديز، نعرف أن نصف المعركة يكون قد انتهى".

نظر تيدي إلى حلقة الأشجار، إلى العمق الأسود فيها. "جيد".

وقف تشاك. "بالمناسبة، ماذا قالت لك؟".

"من؟".

"المريضة". شبك تشاك أصابعه. "بريدجت. أرسلتني لأحضر لها الماء. قالت لك شيئاً ما. أعرف".
"لا".

"لا؟ أنت تكذب. أعرف أنها...".

قال تيدي: "كتبته". وربّت على جيوب معطفه بحثاً عن دفتره. أخيراً، عثر عليه، في جيبه الداخلي، وبدأ يقلّب صفحاته. بدأ تشاك يصفر، ويطرق بقدميه على الأرض اللزجة تحتها. حين وصل إلى الصفحة، قال تيدي: "أدولف، يكفي".
جاء تشاك إليه. "هل وجدتها؟".

أوماً تيدي برأسه، وبرم الدفتر بحيث يستطيع تشاك رؤية الصفحة، الكلمة الوحيدة المكتوبة عليها، بخرشة صغيرة بدأت تنزف تحت المطر:

اهرب

عشرا على الصخور، على مسافة نصف ميل تقريباً، داخل اليابسة،
فيما أسرعَت السماء نحو الظلمة. تحت الغيوم الملبدة.

كانت الصخور فوق أجراف سبخة حيث عشب البحر ضئيل وزلق
تحت المطر، واتسحا بالوحل عند شق طريقهما بصعوبة نحو الأعلى.

ثمة حقل تحتها، مسطح مثل الجهات السفلية للغيوم، خالٍ من كل
شيء باستثناء شجيرة أو اثنتين، وبعض الأوراق السمكية التي قذفتها
العاصفة، ومجموعة من الصخور الصغيرة التي افترض تيدي، أساساً، أنها
جاءت مع الأوراق، بفعل قوة الرياح. توقف في منتصف الطريق، عند
الجهة البعيدة من المنحدر، ونظر إليها مرة جديدة.

كانت منتشرة عبر الحقل، على شكل كومات صغيرة ومحكمة،
وفصلت بين الكومة والأخرى مسافة ستة إنشات، تقريباً، فوضع تيدي
يده على كتف تشاك، وأشار إليها.

"ما عدد الكومات التي تستطيع إحصاءها؟".

قال تشاك: "ماذا؟".

قال تيدي: "تلك الصخور. هل تراها؟".

"نعم".

"إنها مكومة على نحو منفصل. كم عددها برأيك؟".

وجّه تشاك إليه نظرة، كما لو أن العاصفة ضربت رأسه. "إنها
صخور".

"أنا جاد".

أعطاه تشاك واحدة أخرى من تلك النظرات، ثم وجه انتباهه إلى الحقل. بعد دقيقة، قال: "عددت عشرة".
"وأنا أيضاً".

انخسف الوحل تحت قدم تشاك، فانزلق، لكنه تشبث بذراع التقطه بها تيدي، وأمسكه بها إلى أن سوّى تشاك نفسه.
قال تشاك: "هل نستطيع النزول؟". ووجه إلى تيدي إيماءة انزعاج.

شقا طريقهما نحو الأسفل، وذهب تيدي إلى كومات الصخور، ورأى أنهما تشكّل خطين، واحداً فوق الآخر. بعض الكومات أصغر كثيراً من كومات أخرى. احتوت بعض الكومات فقط على ثلاث أو أربع صخور، فيما احتوت كومات أخرى على أكثر من عشر صخور، أو ربما حتى عشرين.

مشى تيدي بين الخطين، ثم توقف، ونظر إلى تشاك وقال:
"أخطأنا في العد".
"كيف؟".

"بين هاتين الكومتين هنا؟". انتظر تيدي حتى ينضم إليه وراحا ينظران معاً. "ثمة صخرة واحدة هنا. إنها كومة بحدّ ذاتها".
"في هذا الهواء؟ لا. وقعت؟".

"إنهما على مسافة متساوية من الكومات الأخرى. على مسافة نصف قدم من الكومة إلى اليسار، ومسافة نصف قدم من الكومة إلى اليمين. وفي الصف التالي، يحصل الشيء نفسه مرتين أيضاً. صخرة لوحدها".

"إذا؟".

"هناك إذاً، ثلاث عشرة كومة من الصخور، تشاك".

"تظن أنها هي من ترك هذا. أليس كذلك؟".

"أظن أن أحداً فعلها".

"رمز آخر".

جثم تيدي قرب الصخور. سحب معطفه فوق رأسه، وفتح طياته أمام جسمه، لحماية دفتريه من المطر. تحرك جانبياً، مثل السلطعون، وتوقف أمام كل كومة، لإحصاء عدد الصخور، وتدوين العدد. حين انتهى، كان لديه ثلاثة عشر رقماً: 18-1-4-9-5-4-23-1-12-4-19-14-5.

قال تشاك: "إنه، ربما، دمج لقفل العالم الأكبر".

أغلق تيدي الدفتر، ووضع في جيبه. "ملاحظة جيدة".

قال تشاك: "شكراً لك. شكراً لك. سأظهر مرتين، ليلياً، في

كاتسكيلنر. ستأتي لتشاهدني، أليس كذلك؟".

سحب تيدي المعطف مجدداً عن رأسه ووقف، فانهمر المطر مجدداً

عليه، وعثرت الريح على صوته.

توجها شمالاً، فيما امتدت الأجراف إلى اليمين، وبرزت مستشفى

أشكيليف إلى يسارهما في مكان ما، وسط الريح والمطر. ازدادت قوة

المطر بشكل كبير، خلال النصف ساعة التالية، ومشيا ملتصقين ببعضهما،

لكي يسمعا حديث بعضهما بعضاً، وكانا يتمايلان مثل ثملين.

"سألك كاوالي إذا كنت في مخابرات الجيش. هل كذبت عليه؟".

قال تيدي: "نعم ولا. سرحت من الجيش النظامي".

"لكن، كيف دخلت إليه؟".

"من الأساس. تم إرسالني إلى كلية اللاسلكي".

"ومن هناك؟".

"دورة في كلية الحرب، وبعدها، نعم، في المخابرات".

"لكن، كيف انتهيت في الجيش النظامي؟".

"ارتكبت خطأ فظيماً". توجب على تيدي الصراخ في وجه

الرياح. "نسفت تفكيك رموز إحداثيات موقع العدو".

"كم كان ذلك سيئاً؟".

لا يزال باستطاعة تيدي سماع الضجيج الذي وصل عبر

اللاسلكي. كان هناك صراخ، سكوت، بكاء، سكوت، نار بندقية.

يليه المزيد من الصرخات، والمزيد من البكاء، والمزيد من السكوت.

وصوت ولد، في الخلفية القريبة، لكل ذلك الضجيج، يقول: "هل ترى

إلى أين ذهب باقي جسمي؟".

صرخ تيدي في الهواء: "نصف كتيبة تقريباً، تمت تصفيتها مثل

رغيف اللحم".

لم يكن هناك شيء سوى صوت العاصفة في أذنيه، لدقيقة، ثم

صرخ تشاك: "أنا آسف. هذا مريع".

تسلقا هضبة صغيرة، وكاد الهواء، في الأعلى، يوقعهما أرضاً،

لكن تيدي أمسك بمرفق تشاك، وشقا طريقهما نحو الأمام، مع خفض

رأسيهما، ومشيا بهذه الطريقة لبعض الوقت، وهما يحنيان رأسيهما

وجسميهما في الهواء، ولم يلاحظا، حتى حجارة الأرضحة في البداية.

استمرا في التقدم إلى الأمام والمطر يملأ عيونهما، ثم ارتطم تيدي بحجر

مسطح، مائل إلى الخلف، ومقتلع من حفرة بفعل الريح، فاستلقى

مسطحاً على متنه، كما لو أنه ينظر إليه.

جاكوب بلاف

شريك بوسان

1858-1832

انكسرت شجرة إلى يسارهما، وبدا صوت تصدعها أشبه بالفأس الذي يشق سقفاً رقيقاً، وصرخ تشاك: "الله!". ثم تناثرت أجزاء من الشجرة بفعل الريح، وتطايرت أمام عيونهما.

تحركا في المقبرة، وهما يضعان أذرعتهما حول وجهيهما، فيما تحولت القذارات والأوراق وقطع الأشجار إلى كائنات حية، كهربائية، ووقعاً أرضاً، مرات عدة، وكادا يصابان بالعمى، ورأى تيدي شكلاً فحمياً بديناً، أمامهما، وبدأ بالإشارة إليه، فيما ضاع صراخه في الريح. مرّت كتلة من شيء ما، على نحو قريب جداً من رأسه، وأحس أنه لامس شعره، فركض، فيما دفعت الريح ساقيهما، وارتفعت الأرض، وارتطمت بركبيتهما.

ضريح ضخم. كان الباب فولاذياً. لكنه مكسور عند المفصلات، وتأت الأعشاب الضارة من الأسفل. فتح تيدي الباب، ودفعته الريح، فجعلته يميل إلى يساره مع الباب، وسقط أرضاً فيما رفعت الريح مفصلة الباب السفلية، وأصدر صوتاً قوياً، ثم ارتطم بالجدار. انزلق تيدي في الوحل. لكنه، وقف على قدميه، وعصفت الريح بكتفيه، فوقع على ركة واحدة، ورأى الباب الأسود أمامه، فتقدم إلى الأمام عبر الأوساخ، وزحف إلى الداخل.

قال تشاك: "هل رأيت يوماً شيئاً كهذا؟". فيما وقفا عند مدخل الباب، وراقبا الجزيرة وهي عالقة في دوامة غضب. كان الهواء كثيفاً ومليئاً بالأوساخ والأوراق، وأغصان الأشجار والحجارة، ودوماً المطر، وأصدر صوتاً قوياً كما لو أن الأرض تتمزق.

قال تيدي: "أبداً". وتراجعا إلى الخلف بعيداً عن الباب.

عشر سيدي على علبة أعواد ثقاب، لا تزال جافة في الجيب الداخلي لمعطفه، فأشعل ثلاثة أعواد ثقاب دفعة واحدة، وحاول حجب

الريح بجسمه، فلاحظا أن المدفن الإسمنتي، في وسط الغرفة، فارغ من التابوت أو الجثة، التي تم نقلها أو سرقها قبل أعوام. ثمة مقعد حجري مشيّد في الجدار، في الجهة الأخرى من المدفن، فتوجها إليه فيما انطفأت أعواد الثقاب. جلسا على المقعد، واستمرت الريح في الدخول عبر المدخل، وارتطم الباب بالجدار.

قال تشاك: "لكن هذا جميل، أليس كذلك؟ جنّ جنون الطبيعة! لون تلك السماء... هل رأيت كيف انقلب اللوح الحجري؟!".
"ارتطمت به، لكن نعم، كان المنظر مذهلاً".

"واو". عصر تشاك حاشية سرواله، بحيث أصبحت هناك برك من الماء تحت قدميه، وسوّى قميصه المبللة على صدره. "أظن أنه كان يجدر بنا البقاء بالقرب من القاعدة. علينا الخروج سالمين من هذه العاصفة هنا".

أوماً تيدي برأسه قائلاً: "لا أعرف الكثير عن الأعاصير، لكنني أشعر أن الوضع سيزداد سوءاً".

"هل ستغيّر الريح اتجاهها؟ هل سيأتي ذلك الضريح إلى هنا".

"أفضل أن أكون هنا، بدلاً من التواجد هناك في الخارج".

"طبعاً، لكن التفاؤل وسط الإعصار؟ ما درجة ذكائنا؟".

"ليست عالية جداً".

"حصل الأمر بسرعة. قبل ثانية، كان مجرد مطر غزير، وبعد ثانية

أصبحنا دوروثي المتوجهة إلى أوز".

"كان ذلك إعصاراً قمعياً".

"أي واحد؟".

"في كنساس".

"أوه".

ارتفع الضجيج كثيراً، واستطاع تيدي سماع الريح تصل إلى الجدار الحجري السميك خلفه، وتضربه مثل الملائكم الجبار، إلى أن أحسّ بصدمات خفيفة في ظهره.
كرّر: "العاصفة تزداد قوة".
"ماذا يفعل كل المجانين الآن برأيك؟".
"يصرخون على العاصفة".

جلسا صامتين لبرهة، وأشعل كل منهما سيجارة. تذكر تيدي ذلك اليوم، على مركب والده، وأول إدراك له أن الطبيعة لا تبالي به، وهي أقوى منه بكثير، وتصور الريح كأنها شيء له وجه صقر مع منقار معقوف ينقضّ على الضريح، ويزعق بصوت عالٍ. شيء غاضب حول الموجات إلى أبراج، وابتلع المنازل مثل عيدان ثقاب، ويستطيع رفعه بقبضته، ورميه في الصين.

قال تشاك: "كنت في شمال أفريقيا عام اثنين وأربعين. شهدنا عاصفتين رمليتين. لكن، ما من شيء يشبه هذا. إلا أنك تنسى مجدداً. ربما كانت العاصفة بهذا السوء".

قال تيدي: "لا أستطيع تحمل ذلك. أقصد، لا أستطيع الصمود أمام ما يجري الآن، والتحول خارجاً، لكن هذا أسهل من البرد يا الله! في الأردن كنت تشعر بالجليد يخرج من فمك. حتى هذا اليوم، لا أزال أستطيع الإحساس به. كانت أصابعي باردة جداً كما لو أنها على نار. كيف تتصور ذلك؟!"

"في شمال أفريقيا، واجهنا الحرّ. سقط الرجال نتيجة الحرّ. كنا نقف هناك دقيقة واحدة فقط، ثم على ظهر المركب في الدقيقة التالية. عانى الرجال من تصلب الشرايين نتيجة ذلك. أطلقت النار على ذلك الرجل، وكان لحمه طرياً جداً نتيجة الحرّ، فاستدار، وشاهد الرصاصة

تخرج من الجهة الأخرى من جسمه". نقر تيدي على المقعد بإصبعه.
قال بهدوء: "شاهدته يطير. أقسم بالله".

"قتلت رجلاً واحداً فقط؟!"

"تقريباً. وأنت؟".

"بالعكس. قتلت الكثير، ورأيت معظمهم". أرجع تيدي رأسه إلى الخلف، نحو الجدار، ونظر إلى السقف. "لو أنجبت ولداً، لا أعرف أبداً، إذا كنت سأسمح له بالذهاب إلى الحرب. حتى إلى حرب مثل تلك التي لا نملك فيها خياراً. لا أظن أنه يجب طلب ذلك، من أي كان".

"ماذا؟".

"القتل".

رفع تشاك ركبته إلى صدره. "أهلي، صديقتي، بعض أصدقائي الذين لا يستطيعون عيش التجربة، كلهم يسألون. هل تفهم؟".

"نعم".

"كيف كان ذلك؟ هذا ما يريدون معرفته. وأنت تقول: "لا أعرف. لقد حصل الأمر لشخص آخر. كنت فقط أشاهد من فوق، أو من مكان ما". رفع يديه. "لا أستطيع شرح الأمر بطريقة أفضل. هل هذا منطقي، نوعاً ما؟".

قال تيدي: "في داتشاو، حاصرنا رجال العدو، خمسمئة منهم. كان هناك مراسلون، لكنهم رأوا كل الجثث مكومة عند محطة القطار أيضاً. استطاعوا أن يشموا تماماً ما كنا نشمه نحن. نظروا إلينا، وأرادونا أن نفعل ما فعلناه. لذا، أعدمنا كل واحد من أولئك الرجال اللعينين. وجهنا البنادق إلى ثلاثمائة رجل دفعة واحدة. عبرنا الخط الفاصل، ووضعنا الرصاصات في رأس كل واحد بقي يتنفس. هذه جريمة. لو كان هناك أحد. صحيح؟ ولكن، تشاك، كان هذا أقل ما نستطيع

فعله. راح أولئك المراسلون اللعينون يصفقون. كان سجناء المخيم سعداء جداً لدرجة أنهم راحوا يكون. لذا، أعطيناهم بعض الأسرى. ومزقوهم إلى قطع. في نهاية ذلك اليوم، انتشلنا خمسمئة جثة عن وجه الأرض. قتلناهم جميعاً. ما من دفاع ذاتي، وما من حرب. كانت تلك مجزرة جماعية. وبالرغم من ذلك، لم يلما أحد. كانوا يستحقون أسوأ من ذلك. كيف تخبر الزوجة والأهل والأولاد، أنك فعلت مثل هذا الشيء؟ أنك أعدمته أشخاصاً غير مسلحين؟ أنك قتلت صبيانا؟! صبيانا يحملون أسلحة، ويرتدون بذلات، وإنما صبيان صغار! الجواب هو أنك لا تستطيع إخبارهم. لن يفهموا أبداً. لأن ما فعلته، كان للسبب الصحيح. لكن ما فعلته خطأ أيضاً. ولن تستطيع نسيانه أبداً".

بعد برهة، قال تشاك: "كان ذلك على الأقل للسبب الصحيح. هل نظرت يوماً إلى بعض أولئك المساكين العائدين من كوريا؟ لا يزالون لا يعرفون سبب ذهابهم إلى هناك. أوقفنا أدولف. أنقذنا ملايين الأشخاص. صحيح؟ فعلنا شيئاً، تيدي".

اعترف تيدي: "نعم، صحيح. يكون هذا كافياً أحياناً".
"لا بد من ذلك. صحيح؟".

وقعت شجرة بأكملها أمام الباب، رأساً على عقب، وتناثرت جذورها إلى الأعلى، مثل الأشواك.
"هل رأيت ذلك؟".

"نعم. لقد استيقظت العاصفة وسط المحيط لتقول: "انتظروا ثانية. ليس هذا صحيحاً".

"يفترض بي أن أكون هناك".

"احتجت إلى أعوام، لجعل تلك الهضبة تبدو بالطريقة التي أريدها".

ضحكا مهدوء في الظلمة، وراقبا الجزيرة تدور في العاصفة مثل كابوس.

"إذا، كم تعرف عن هذا المكان سيدي؟".

هزّ تيدي كتفه. "أعرف القليل. ليس ما يكفي. كفاية ليخيفني".

"أوه، رائع. أنت خائف. ماذا يفترض بالإنسان العادي أن يشعر إذا؟".

ابتسم تيدي: "بالرعب الحقيقي".

"حسناً، اعتبرني مدعوراً".

"إنه مرفق تجريبي. أخبرتك؛ العلاج الجذري. يحصل على تمويله

جزئياً من الكومونويلث، وجزئياً من مكتب السجون الفدرالية، ولكن

الأغلبية تأتي من صندوق أنشئ عام واحد وخمسين من قبل لجنة

نشاطات الكونغرس الأمريكي HUAC.

قال تشاك: "مذهل. محاربة جماعة الشيوعيين من جزيرة في مرفأ

بوسطن. ماذا يفعل المرء حيال ذلك؟".

"يجرون التجارب على العقل. أظن ذلك. يدونون ماذا يعرفون،

ويحوّلونه إلى زملاء كاولي السابقين في مكتب الخدمات الاستراتيجية،

في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ربما. هل سمعت يوماً

بالفينسيكليدين؟".

هزّ تشاك رأسه.

"ميزالين؟".

"لا، لا".

قال تيدي: "إنها أدوية مهلوسة. عقاقير تدفعك إلى المهلوسة".

"حسناً".

"حتى بجرعات خفيفة، يبدأ الأشخاص العاقلون تماماً - مثلك

أنت أو مثلي أنا - برؤية أشياء".

"كرؤية أشجار مقلوبة رأساً على عقب أمام الباب؟".

"آه، هذا هراء. لقد رأيناها كلانا. ليست هذه هلوسة. كل شخص يرى أشياء مختلفة. لنقل إنك تنظر إلى الأسفل وترى ذراعيك تتحولان إلى كوبرا، وترتفع الكوبرا، وتفتح فمها لابتلاع رأسك".
"أقول: إن هذا يكون فعلاً يوماً سيئاً".

"أو قطرات الماء التي تتحول إلى لهب؟ أو شجيرة تتحول إلى نمر مفترس؟".

"يكون هذا يوماً أكثر سوءاً. لا يجدر بي مغادرة السرير أبداً. لكنك، تقول: إن عقاراً قد يستطيع أن يجعلك تظن أن هذا يحصل فعلاً".
"ليس فقط قد. وإنما حتماً. وإذا تم إعطاؤه بالجرعة الصحيحة، تبدأ فعلاً بالهلوسة".

"إنها بعض العقاقير".

"نعم، صحيح. الكثير من هذه العقاقير، يفترض أن يكون تأثيرها ماثلاً، لحال المصاب بانفصام شخصية وخيم. ما كان اسمه، كين؟ ذلك الرجل. البرد في قدميه. يصدق ذلك. ليونورا غرانت، لم تكن تراك. كانت ترى دوغلاس فايربانكس".

"ولا تنسَ؛ تشارلي شابلين أيضاً، يا صديقي".

"قد أحاول التقليد، لكنني لا أعرف الأصل".

"هاي، ليس سيئاً، سيدي. يمكنك تقديمي في الكاتسكيلز".

"كانت هناك حالات موثقة عن مصابين بانفصام الشخصية، سلخوا وجوههم بأنفسهم، لأنهم ظنوا أن أيديهم هي شيء آخر، حيوانات، أو أي شيء. يرون أشياء غير موجودة، يسمعون أصواتاً لا يسمعونها أحد غيرهم، يقفزون من سطح المبنى لأنهم يظنون أن المبنى يحترق، وما إلى ذلك. الأدوية المسببة للهلوسة تفضي إلى تخيلات مماثلة".

أشار تشاك بإصبعه إلى تيدي. "تحدث فجأة بمعرفة كبيرة أكثر بكثير من المعتاد".

قال تيدي: "ما الذي أستطيع قوله لك؟ أنجرت بعض الفروض المنزلية. تشاك، ماذا يحصل، برأيك، إذا، أعطيت أدوية مهلوسة لأشخاص مصابين بانفصام وخيم في الشخصية؟".
"ما من أحد يفعل ذلك".

"إنهم يفعلونها، وهذا قانوني. وحدهم البشر يصابون بانفصام الشخصية. لا يحصل ذلك للفئران، أو الأرانب، أو الأبقار. كيف ستُجرب إذاً، العلاجات لهذا المرض؟".
"على البشر".

"أعط ذلك الرجل سيجاراً".
"لكن، سيجار مجرد سيجار، صحيح؟".
قال تيدي: "إذا شئت".

وقف تيدي، ووضع يديه على المقعد الحجري، ونظر إلى العاصفة. "إنهم يعطون إذاً، المصابين بانفصام في الشخصية، عقاقير، تجعلهم أكثر انفصاماً في الشخصية؟".
"هذه مجموعة اختبارية".

"وما المجموعة الأخرى؟".
"الأشخاص غير المصابين بانفصام في الشخصية، لرؤية كيف يتفاعل دماغهم".
"هراء".

"إنها مسألة تسجيل عام، زميلي. احضر يوماً اجتماعاً لأطباء نفسيين. لقد فعلت".
"لكنك قلت إن هذا قانوني".

قال تيدي: "إنه قانوني. وهكذا هي أيضاً أبحاث تحسين النسل".
"لكن إذا كان الأمر قانونياً، لا يمكننا فعل أي شيء حياله".
انحنى تيدي على المقعد. "لا جدال. لست هنا لأعتقل أي شخص. تم إرسالني لجمع المعلومات. هذا كل شيء".
"انتظر دقيقة، تم إرسالك؟ يا الله، تيدي، كم نحن متورطان هنا!".

تنهد تيدي ونظر إليه. "بقوة".
"لحظة". رفع تيدي يده. "منذ البداية. كيف تورطت في كل ذلك؟".

قال تيدي: "بدأت القصة مع لايديز. قبل عام. ذهبت إلى شاتاك بحجة أنني أريد إجراء مقابلة معه. اخترعت قصة عن شريك له، مطلوب من القضاء الفدرالي، وأعتقد أن لايديز يستطيع إلقاء بعض الضوء على مكان وجوده. لكن، تبين أن لايديز لم يكن هناك. تم نقله إلى آشكيليف. اتصلت بالمكان هنا، لكنهم زعموا أنهم لا يملكون سجلاً له".
"و؟".

"جعلني ذلك أشعر بالفضول. أجريت بعض الاتصالات الهاتفية، ببعض المستشفيات النفسية في المنطقة، وكان الجميع مدركين لآشكيليف. لكن أحداً لم يرغب في التحدث عن ذلك. تحدثت إلى آمر السجن، في مستشفى رنستون للمجانين المجرمين. كنت قد التقيت به مرتين قبلاً وقلت له بوببي ما القصة؟ إنه مستشفى وسجن، وليس مختلفاً عن المكان الذي أنت فيه، لكنه هزّ رأسه وقال تيدي، ذلك المكان شيء مختلف تماماً. إنه شيء مصّنف. كيس أسود. لا تذهب إلى هناك.
قال تشاك: "لكنك فعلت. وتم تعييني للمجيء معك".

قال تيدي: "لم يكن هذا جزءاً من الخطة. قال لي المسؤول إنه يجدر بي اصطحاب شريك معي، فأخذت شريكاً".

"كنت تنتظر إذًا، أي عذر للمجيء إلى هنا؟".

قال تيدي: "تقريباً. واللعنة، لم أظن أبداً، أن ذلك سيحصل فعلاً! أقصد أنه حتى لو حدث هروب لسجين، ما كنت لأعرف أنني سأكون في المدينة، حين يحدث ذلك. أو إذا كان سيتم تعيين شخص آخر. أو، أو، يا الله، هناك مليون أو... أنا محظوظ".

"محظوظ! اللعنة!".

"على ماذا؟".

"هذا ليس حظاً سيدي. الحظ لا يعمل بهذه الطريقة. العالم لا يعمل بهذه الطريقة. تظن أنه حصل بالصدفة، أن تم تعيينك لهذه القضية؟".

"طبعاً. يبدو هذا جنوناً، نوعاً ما، ولكن...".

"عندما اتصلت بأشكليف للمرة الأولى بشأن لايديز، هل عرفت عن نفسك؟".

"طبعاً".

"حسناً إذًا...".

"تشاك، حصل ذلك قبل عام كامل".

"إذًا، ألا تظن أنهم يحتفظون بالأسرار؟ خصوصاً في حالة مريض يزعمون أنهم لا يملكون سجلاً له".

"مرة جديدة؟ قبل اثني عشر شهراً".

"بالله عليك تيدي". أخفض تيدي صوته، ووضع راحتي يديه على المقعد، وأخذ نفساً طويلاً. "فنقل: إنهم يقومون ببعض العمل السيئ هنا. ماذا لو كانوا يلاحقونك، حتى قبل أن تطأ قدمك هذه الجزيرة؟ ماذا لو أحضروك هم إلى هنا؟".

"أوه، هذا هراء".

"هراء! أين راشايل سولاندو؟ أين أدنى دليل على وجودها أصلاً؟ رأينا صورة امرأة وملفاً، يمكن لأي كان أن يغير كهما".

"لكن تشاك، حتى لو اختلقوا القصة، حتى لو ركبوا كل المسألة، لا مجال أبداً لأن يعرفوا أنه كان سيتم تعييني أنا لهذه القضية".

"أجريت تحقيقات، تيدي. تحررت عن هذا المكان واستفسرت. وضعوا سوراً مكهرباً، حول مرفق لمعالجة المجانين. وضعوا جناحاً، داخل حصن. وضعوا مئة مريض في مرفق، يمكن أن يتسع لثلاثمئة. هذا المكان مخيف جداً، تيدي. لا يريد أي مستشفى آخر أن يتحدث عنه، ولا يخبرك ذلك أي شيء؟ لديك مسؤول له روابط بمكتب الخدمات الاستراتيجية، وتمويل من صندوق، من لجنة نشاطات الكونغرس الأميركي. كل شيء، في هذا المكان، يصرخ عمليات حكومية سرية. وأنت متفاجئ، أنه بدلاً من أن تبحث أنت عنهم، طوال العام الماضي، كانوا هم يبحثون عنك؟".

"كم مرة عليّ أن أقول لك تشاك، كيف كانوا ليعرفوا أنه سيتم تعييني لقضية راشايل سولاندو؟".

"هل أنت غبي؟".

استقام تيدي، ونظر إلى تشاك.

رفع تشاك يده. "آسف، آسف. أنا متوتر، حسناً؟".

"حسناً".

"كل ما أقوله، سيدي، هو أنهم عرفوا أنك ستستفيد من أدنى عذر للمجيء إلى هنا. قاتل زوجتك موجود هنا. كل ما عليهم فعله هو الادعاء أن شخصاً ما هرب. يعرفون بعدها أنك ستذهب بسرعة لاحتياز المرفأ والوصول إلى هنا".

انشق الباب من مفصلته الوحيدة، ووقع أرضاً عند المدخل، ورأياه يرتطم بالصخرة، ومن ثم يطير في الهواء، ويحلّق فوق المقبرة، ويختفي في السماء.

حقاً إلى مدخل الباب، ثم قال تشاك: "كلانا رأينا ذلك، صحيح؟".
قال تيدي: "إنهم يستخدمون البشر للتجارب. ألا يزعجك ذلك؟".
"إنه يزعجني تيدي. لكن كيف تعرف ذلك؟ قلت إنه تم إرسالك لجمع المعلومات. من أرسلك؟".
"في لقائنا الأول مع كاولي، سمعته يسأل عن السيناتور؟".
"نعم".

"السيناتور هورلي، ديمقراطي، نيوهامبشاير. يرأس لجنة فرعية للتمويل العمومي لمسائل الصحة العقلية. رأى مقدار المال الذي يتم إرساله إلى هذا المكان، ولم يعجبه الأمر. بعدها، صادفت رجلاً اسمه جورج نويس. أمضى نويس بعض الوقت هنا في الجناح ج. كان قد مضى على خروجه من الجزيرة أسبوعان، حين دخل إلى مشرب، في أتلنبورو، وبدأ يطعن الناس بالسكين. غرباء، في السجن، بدأ يتحدث عن تين في الجناح ج. أراد محاميه زعم الجنون. إذا كان هناك شخص مجنون فعلاً، يكون هنا. إنه مخبول. لكن نويس طرد محاميه، ووقف أمام القاضي، وطلب الإدانة، وتوسله كثيراً ليتم إرساله إلى سجن، أي سجن، ولكن ليس إلى مستشفى. أمضى سنة، تقريباً، في السجن، لكنه راح يستعيد عقله، وفي النهاية، بدأ يخبر قصصاً عن أشكليف، قصصاً تبدو مجنونة، لكن السيناتور يظن أنها ليست مجنونة، بقدر ما يراها الآخرون".

جلس تشاك على المقعد، وأشعل سيجارة، ودخنها قليلاً، فيما كان يتأمل تيدي.

"لكن كيف عثر السيناتور عليك، وكيف فبحتما في العثور على نويس؟".

لبرهة، ظن تيدي أنه رأى أضواء تومض عبر العاصفة في الخارج. "في الواقع، حصلت الأمور بالطريقة المعكوسة. عثر عليّ نويس وأنا عثرت على السيناتور. اتصل بي ذات صباح بوبي فريس، آمر السجن في رنتون. وسألني إذا كنت لا أزال مهتماً بأشكيليف. قلت له طبعاً وأخبرني عن هذا المحكوم في ديدهام، الذي يحدث الكثير من الضجة حول أشكيليف. هكذا، ذهبت إلى ديدهام مرات عدة، وتحديث إلى نويس. قال نويس إنه حين كان في الكلية، ذات سنة أصبح يتوتر قرابة موعد الامتحانات. صرخ في وجه أستاذ، وضرب النافذة بيده في مبنى نوم الطلاب. انتهى بالتحدث إلى أحدهم، في قسم الطب النفسي. الشيء التالي الذي تعرفه هو، أنه وافق على أن يكون جزءاً من اختبار، بحيث يستطيع الحصول على بعض المال الجيبه. بعد سنة، ترك الكلية، وأصبح مصاباً بانفصام كامل في الشخصية، يهذي في زوايا الشوارع، يرى أشياء، ويهلوس".

"هذه قصة رجل بدأ عادياً..."

رأى تيدي الضوء مجدداً عبر العاصفة، واقترب أكثر من الباب، وحدّق إلى الخارج. برق! افترض أن هذا منطقي، بالرغم من أنه لم يرَ أي شيء من ذلك قبلاً.

"عادي مثل، أي شخص. ربما كانت لديه - ماذا يسمونها هنا؟ مسائل السيطرة على الغضب. لكن، في الإجمال، كان إنساناً عاقلاً تماماً. بعد سنة، فقد عقله. صادف هذا الرجل في بارك سكووير شخصاً ما ذات يوم، وظن أنه البروفسور، الذي أوصاه للمرة الأولى برؤية أحد في القسم النفسي. إنها باختصار قصة طويلة، وأشبعه نويس ضرباً. تم

إرساله إلى آشكيليف. الجناح أ. لكنه لم يبقَ هناك لوقت طويل. أصبح الرجل عنيفاً جداً في ذلك الوقت، وأرسلوه إلى الجناح ج. أعطوه الأدوية المهلوسة، وتراجعوا إلى الخلف، وراحوا يراقبون الوحوش، وهي تأكله، وهو يجنّ جنونه. كان مجنوناً أكثر قليلاً، مما أرادوا، حسبما أظن، لأنه في النهاية، أجروا له جراحة لجرد تهدته".

قال تشاك: "جراحة!"

أوماً تيدي برأسه. "جراحة فصية في الدماغ. هذا مضحك، تشاك. يعرضونك لصدمة كهربائية ثم يدخلون في عينك عوداً جليدياً. لا أمزح. من دون تخدير. يدخلون العود هنا وهناك ويستخرجون بعض الألياف العصبية من دماغك، ثم تنتهي العملية. بهذه البساطة".

قال تشاك: "لكن قانون نورمبرغ يمنع..."

"... إجراء التجارب على البشر، لجرد خدمة العلم. نعم. ظننت أن لدينا قضية مرتكرة على نورمبرغ أيضاً. وكذلك فعل السيناتور. لكننا أخطأنا. فالتجارب مسموح بها، إذا تم استخدامها لمعالجة مرض الشخص مباشرة. هكذا، طالما يقول الطبيب: "هاي، نحن نحاول فقط مساعدة هذا المسكين اللعين، ونعرف ما إذا كانت هذه العقاقير قادرة على تخفيف انقسام الشخصية، فيما تستطيع تلك الأدوية وقفها؛ تكون المسألة قانونية تماماً".

قال تشاك: "انتظر ثانية. انتظر ثانية. تقول إن نويس خضع

لجراحة..."

"نعم، جراحة فصية في الدماغ".

"لكن إذا كان الهدف من ذلك تهدئة شخص ما، كيف وصل

ذلك الشخص إلى بارك سكووير؟"

"يبدو جلياً، أن الأمر لم ينجح".
"هل هذا شائع؟".

شاهد تيدي الأضواء مجدداً، وكان واثقاً تماماً هذه المرة، أنه سمع صوت محرك وراء كل هذا الضجيج.
"أيها المارشالان!". كان الصوت ضعيفاً في الريح، لكنهما سمعاه.

أنزل تشاك ساقيه عن المقعد الحجري، وقفز، وانضم إلى تيدي عند مدخل الغرفة، واستطاعا رؤية الأضواء الأمامية لسيارة، في الطرف البعيد من المقبرة، وسمعا صوت مكبر للصوت يقول:
"أيها المارشالان! إذا كنتما هنا، أرسلنا لنا إشارة من فضلكما. أنا نائب آمر السجن ماكفرسون. أيها المارشالان!".
قال تيدي: "ما رأيك في ذلك؟ عثروا علينا".
"إنها جزيرة سيدي. سيعثرون دوماً علينا".
نظر تيدي في عيني تشاك، وأوماً له برأسه. للمرة الأولى منذ أن التقيا، لاحظ الخوف في عيني تشاك، فيما حاول فكّه الانكماش لكبت الخوف.

"ستجري الأمور على ما يرام، شريكي".

"أيها المارشالان! هل أنتما هنا؟".

قال تشاك: "لا أعرف".

"أنا أعرف". قال تيدي ذلك بالرغم من أنه لا يعرف. "ابقَ معي".

سنخرج من هذا المكان اللعين، تشاك. لا ريب أبداً في ذلك".

ثم خرجا من المدخل والمقبرة. ارتطمت الريح بجسميهما بقوة كبيرة لكنهما بقيا واقفين على قدميهما، يشبكان ذراعيهما، ويتشبثان بكتفي بعضهما، فيما توجهتا متمايلين نحو الضوء.

"هل أصبتما بالجنون؟".

قال ماكفرسون، وهو يصرخ في الريح، فيما اندفعت سيارة الجيب بسرعة، بمحاذاة الحافة الغربية للمقبرة.

كان جالساً في مقعد الركاب، ينظر إليهما بعينين حمراوين، وقد اختفت في العاصفة كل ملامح الجاذبية لابن تكساس الريفي. لم يتم تعريفهما إلى السائق. كان شاباً، صاحب وجه نحيل مع ذقن ناتئة إلى الأمام. هذا كل ما استطاع تيدي رؤيته، تحت قلنسوة المعطف الواقى من المطر. إلا أنه قاد سيارة الجيب، مثل محترف، وتجاوز الشجيرات ومُخلفات العاصفة، كما لو أنها لم تكن موجودة.

"تمت، للتو، ترقية العاصفة. من عاصفة استوائية إلى إعصار. ستصل سرعة الرياح إلى مئة ميل في الساعة الآن. وفي منتصف الليل، يتوقع أن تصل السرعة إلى مئة وخمسين ميلاً. وأنتما تتجولان في خضم هذه العاصفة؟!".

قال تيدي: "كيف عرفت، أنه تم الإعلان عن ترقية قوة العاصفة؟".

"عبر اللاسلكي أيها المارشال. توقع أن نفقد الإرسال، خلال ساعتين أيضاً".

قال تيدي: "طبعاً".

"يجدر بنا تفقد المجمّع في الوقت الحاضر، لكننا نبحث عنكما بدلاً من ذلك". ضرب متن مقعده، ثم استدار إلى الأمام، بعد أن انتهى من الحديث معهما.

قفزت سيارة الجيب فوق مطبّ، ولفترة وجيزة لم يرَ تيدي إلا السماء، ولم يشعر بشيء تحت العجلات، ثم ارتطمت العجلات بالوحد، والتفت عبر منعطف قاسٍ، انحدر بقوة كبيرة مع الطريق، واستطاع تيدي رؤية المحيط إلى يسارهم، فيما المياه تتحرك باهتياج، بحيث أفرزت رغوات بيضاء وكبيرة، شبيهة بالغيوم الفطرية.

تجاوزت سيارة الجيب مجموعة من الهضاب الصغيرة، ثم عبرت مجموعة من الأشجار، وكان تيدي وتشاك يتشبثان بالمقاعد، فيما ارتطما ببعضهما بعضاً في المقعد الخلفي، ثم أصبحت الأشجار خلفهما، ووجدتا نفسيهما أمام الجهة الخلفية لقصر كاولي، ثم خفف السائق سرعة السيارة، وتوجه نحو الباب الرئيس.

قال ماكفرسون، وهو ينظر إليهما: "سنأخذكما لرؤية الدكتور كاولي، يتحرق شوقاً للتحدث إليكما أيها الرجلان". قال تشاك: "أكاد أظن أن أُمي عادت إلى سياتل".

استحما في الطابق الأرضي من المبنى المخصص لنوم الموظفين، وتم منحهما ملابس من مجموعة ملابس المرضى. تم إرسال ملابسهما الخاصة إلى مصبغة المستشفى. في الحمام، مشط تشاك شعره إلى الخلف، ونظر إلى قميصه الأبيض وسرواله الأبيض وقال: "هل ترغب في رؤية لائحة الطعام؟ طبقنا الخاص لليلة هو عجل ويلنغتون. إنه لذيذ جداً".

أقبل تراسي واشنطن إلى الحمام. بدا وكأنه يكبح ابتسامته، فيما تأمل ملابسهما الجديدة، ثم قال: "أنا هنا لإيصالكما إلى الدكتور كاولي".

"هل نحن في ورطة كبيرة؟".
"نعم، حسبما أتوقع".

قال كاولي، فيما دخلا الغرفة: "سررت برؤيتكما أيها الرجلان".
بدا في مزاج جيد، فيما أشرقت عيناه، وترك يدي وتشاك تراهي
عند الباب، فيما دخلا إلى غرفة كبيرة، في الطابق العلوي من
المستشفى.

كانت الغرفة مليئة بالأطباء، الذين ارتدى بعضهم الأردية
البيضاء، فيما ارتدى بعضهم الآخر بذلات رسمية، وجلسوا جميعاً حول
طاولة طويلة من خشب التك، مع مصابيح خضراء أمام كراسيهم،
ومنافض قائمة امتلأت بالسجائر أو السيجار، فيما الغليون الوحيد، كان
لنايهرينغ الذي جلس عند رأس الطاولة.
"أيها الأطباء، هذان هما المارشالان الفدراليان اللذان تحدثنا عنهما.
المارشالان دانيالز وأول".

سأل أحد الرجال: "أين ملابسكما؟".
"سؤال جيد". قال كاولي وهو يستمتع بالسؤال، برأي يدي.
قال يدي: "كنا خارجاً، في العاصفة".
استار الطبيب إلى النوافذ الطويلة قائلاً: "خارجاً في هذا الطقس!".
تم تشيبتها بشرط لاصق كبير وبدت أنها تتنفس قليلاً، وتزفر الهواء في
الغرفة. طقطقت ألواح الزجاج، بفعل قطرات المطر، ورزح المبنى كله،
تحت ضغط الرياح.

قال تشاك: "أخشى ذلك".
قال نايهرينغ: "من فضلكما، اجلسا. نكاد ننتهي".
عثرا على كرسيين في نهاية الطاولة.

قال نايهرينغ لكاولي: "جون، نحتاج إلى إجماع حول هذا".
"تعرف موقفى".

"وأظن أننا نحترم جميعاً ذلك، لكن، إذا كان باستطاعة الأدوية المهدئة للأعصاب توفير الانخفاض الضروري في الخلل الحاصل في توازن السيروتونين، لا أشعر أننا نملك خياراً كبيراً. علينا متابعة البحث. وأول مريضة اختبارية، أوه، دوريس والش، تتطابق مع كل المعايير. لا أرى مشكلة هنا".

"أنا قلق بشأن الكلفة".

"إنها أقل بكثير من كلفة الجراحة، وأنت تعرف ذلك".

"أنا أتحدث عن مخاطر التلف في الكتلة العصبية الأساسية والقشرة المحية. أنا أتحدث عن دراسات أولية في أوروبا كشفت عن مخاطر لتلف الأعصاب، مماثلة للمخاطر التي تنجم عن التهاب الدماغ، والسكتات الدماغية".

تجاهل نايهرينغ الاعتراض برفع يده. "كل الذين يؤيدون طلب الدكتور بروتيغان فليرفعوا أيديهم".

شاهد تيدي كل يد ترتفع في الهواء باستثناء يد كاولي ويد رجل آخر.

قال نايهرينغ: "أقول إن هذا إجماع. سنطلب إذًا، من مجلس الإدارة تمويل بحث الدكتور بروتيغان".

أوماً رجل شاب، يفترض أنه الدكتور بروتيغان، برأسه علامة شكر لكل شخص جالس حول الطاولة. كشف عن خدّين طويلتين هزيلتين، وبدا أميركياً صرفاً. رأى تيدي أنه من نوع الرجل الذي يحتاج إلى المراقبة، ويشعر بثقة كبيرة في تحقيقه لأحلام أهله الكبيرة.

قال ناهيرينغ: "حسناً، إذاً". وأغلق الملف الذي أمامه، فيما نظر عبر الطاولة إلى تيدي وتشاك، "كيف هي الأمور أيها المارشلان؟".
نفض كاولي عن كرسيه، وسكب فنجان قهوة لنفسه على طاولة مجاورة. "يقال إنه تم العثور عليكما في مقبرة".
صدرت بضع قهقهات ناعمة من الطاولة، ورفع الأطباء أيديهم لوضعها فوق أفواههم.

قال تشاك: "وهل تعرف مكاناً أفضل للاختباء من إعصار؟".
قال كاولي: "هنا. ومن الأفضل في الطابق الأرضي".
"سمعنا أن سرعة الإعصار قد تصل إلى مئة وخمسين ميلاً في الساعة".
أوماً كاولي برأسه وهو يدير ظهره إلى الغرفة. "هذا الصباح، نيويورك، رود آيلند، خسرت ثلاثين بالمئة من منازلها".
قال تشاك: "آمل ألا يكونوا الفاندريلت".

جلس كاولي على كرسيه. "وصل الإعصار إلى بروغنستاون وترورو بعد الظهر. لا يعرف أحد فداحة الأضرار التي حصلت، لأن الطرقات قطعت، وكذلك الاتصال اللاسلكي. لكن يبدو أن الإعصار يتوجه مباشرة إلينا".
قال أحد الأطباء: "إنه أسوأ إعصار يضرب الساحل الشرقي، منذ ثلاثين عاماً".

قال كاولي: "يحوّل الهواء إلى كهرباء ساكنة صرف. لهذا السبب تعطل مركز الاتصالات الليلة الفائتة. لهذا السبب لم يكن الاتصال اللاسلكي في أحسن أحواله. وإذا أصابنا الإعصار مباشرة، فلا أعرف ما الذي سيبقى على حاله".

قال ناهيرينغ: "لهذا السبب، أكرر إصراري على أن يوضع كل مرضى المنطقة الزرقاء في قيود يدوية".

قال تيدي: "المنطقة الزرقاء؟!"

قال كاولي: "الجناح ج. المرضى الذين يشكلون خطراً على أنفسهم، وعلى هذه المؤسسة، وعلى الناس عموماً". استدار نحو نايفرينغ. "لا يمكننا فعل ذلك. إذا فاض هذا المرفق، فسيغرقون. أنت تعرف ذلك".

"سيمرّ وقت طويل قبل حصول فيضان".

"نحن في المحيط. على وشك التعرض لرياح إعصار بسرعة مئة وخمسين ميلاً في الساعة. لذا، فإن الفيضان يبدو محتملاً. نضاعف عدد الحراس. نراقب كل مرضى المنطقة الزرقاء باستمرار. من دون استثناءات. لكننا لا نستطيع تثبيتهم بأسرّهم. إنهم محبسون أصلاً في زنزاناتهم. يكون ذلك إجراماً بحقهم".

"إنها مغامرة غير مضمونة النتائج جون". قال هددوء، رجل بني الشعر، جالس في وسط الطاولة. إضافة إلى كاولي، كان الرجل الوحيد الذي امتنع عن التصويت على المسألة التي كانت تناقش، حين دخل تيدي وتشاك. كان ينقر على قلم حبر بشكل متكرر، وحدّق إلى الطاولة، لكن تيدي عرف من نبرة صوته أنه صديق لكاولي. "إنها مغامرة حقيقية. ماذا لو تعطلت الكهرباء".

"ثمة مولد احتياطي".

"وإذا تعطل؟ ستفتح الزنزانات".

قال كاولي: "إنها جزيرة. إلى أين سيذهب أي كان؟ يستبعد أن يركب أحد في مركب، ويتوجه إلى بوسطن، ويسبب الفوضى. إذا كانوا مقيدين بأغلال يدوية، وفاض هذا المرفق، أيها السادة، سيموتون جميعاً. هناك أربعة وعشرون شخصاً. ماذا لو حصل أي شيء في المجمّع؟ أعني للاثنتين وأربعين شخصاً الآخرين؟ يا الله! هل يمكنكم تحمل هذا؟! أنا لا أستطيع التحمل".

نظر كاوي إلى الطاولة، من طرفها إلى طرفها، وأحسّ تيدي فجأة بقدرة على الشفقة، لم يشعر أنها موجودة لديه من قبل. لا يملك أدنى فكرة عن سبب سماح كاوي لهما بالدخول إلى هذا الاجتماع، لكنه بدأ يفكر، في أن هذا الرجل لا يملك الكثير من الأصدقاء في الغرفة.

قال تيدي: "حضرة الطبيب، لا أقصد التدخل".

"على الإطلاق، أيها المارشال. أحضرناكما إلى هنا".

كاد تيدي يقول: "بلا مزاح؟".

"عندما تحدثنا هذا الصباح، عن رموز راشايل سولاندو...".

"يعرف الجميع عما يتحدث عنه المارشال".

"قانون الأربعة". قال بروتيجان، مع ابتسامة أراد تيدي الإمساك بها بكماشة. "أحب ذلك".

قال تيدي: "عندما تحدثنا هذا الصباح، قلت: إنك لا تملك أي فكرة بشأن التلميح الأخير".

قال نايهرينغ: "من هو السابع والستون؟ نعم؟".

أوما تيدي برأسه، وتراجع إلى الخلف على كرسيه، منتظراً.

وجد الجميع ينظرون إليه بذهول.

قال تيدي: "هل صحيح أنكم لا تفهمونه؟".

قال صديق كاوي "نفهم ماذا، أيها المارشال؟". ونظر تيدي إلى

ثوبه الأبيض، ولاحظ أن اسمه ميلر.

"لديكم ستة وستون مريضاً هنا".

حدّثوا جميعاً إليه، مثل الأولاد في ذكرى الميلاد، الذين ينتظرون

مفاجأة المهرج التالية.

"اثنا وأربعون مريضاً، في الجناحين أ وب. أربعة وعشرون في

الجناح ج. يعني ذلك ستة وستين مريضاً".

لاحظ تيدي ملامح الفهم على بعض الوجوه، لكن الأغلبية بقوا مصعوقين.

قال تيدي: "سته وستون مريضاً. يوحي ذلك أن الجواب على من هو السابع والستون؟ هو وجود مريض سابع وستين هنا". صمت. نظر عدد من الأطباء إلى بعضهم بعضاً، عبر الطاولة. في النهاية، قال نايهرينغ: "لا أفهم".

"لماذا؟ أوحث راشايل سولاندو بوجود مريض سابع وستين". قال كاولي، وهو يمدّ يديه أمامه على الطاولة: "لكن هذا المريض لا وجود له، إنها فكرة رائعة أيها المارشال، وكانت حتماً لتفك الرمز، لو كانت صحيحة. ولكن إذا أضفنا اثنين إلى اثنين فهما لا يساويان، أبداً، خمسة، حتى لو أردت ذلك. إذا كان هناك ستة وستون مريضاً فقط في الجزيرة، فإن السؤال المتعلق بمريض سابع وستين هو غير واقعي. هل فهمت ما أقصده؟". قال تيدي، وقد أبقى صوته هادئاً: "لا، لا أوافقك الرأي في هذه المسألة".

بدا كاولي أنه اختار كلماته بعناية قبل التحدث، كما لو أنه انتقى الأكثر بساطة. "لو افترضنا أن هذا الإعصار، لم يصل إلينا، لكننا استقبلنا مريضين جديدين هذا الصباح. ولكان وصل المجموع إلى ثمانية وستين. ولو مات مريض، لا سمح الله، في نومه الليلة الماضية، لوصل عدد المرضى إلى خمسة وستين. يمكن أن يتغير العدد كل يوم، أو كل أسبوع، حسب عدد من العوامل المتغيرة".

قال تيدي: "لكن، في الليلة التي كتبت فيها سولاندو رمزها...". "كان هناك ستة وستون مريضاً، بمن فيهم هي. أضمن لك ذلك أيها المارشال. لا يزال هناك واحد ناقص لبلوغ سبعة وستين، أليس كذلك؟ أنت تحاول وضع دائرة داخل مربع".

"لكن هذا هو رأيها".

"أفهم ذلك، نعم. لكن رأيها غير صحيح، إنه وهم. لا يوجد مريض سابع وستون هنا".

"هل تسمح لي أنا، وشريكي بالاطلاع على ملفات الموظفين؟".
أفضى هذا السؤال إلى عبوس العديد من الوجوه، وظهور النظرات المنزعجة، من حول الطاولة.
قال نايفرينغ: "طبعاً لا".

"لا يمكننا فعل ذلك أيها المارشال. أنا آسف".

أخفض تيدي رأسه لدقيقة، ونظر إلى قميصه الأبيض السخيف وسرواله الأبيض. بدا مثل أحرق حقيقي. ربما بدا جازماً. ربما يجدر به توزيع أكواب البوظة في الغرفة، لمعرفة ما إذا كان يستطيع استمالتهم بهذه الطريقة.

"لا نستطيع التنفيذ إلى ملفات الموظفين. لا نستطيع النفاذ إلى ملفات المرضى. كيف يفترض بنا أن نعثر على المريضة المفقودة أيها السادة؟".

تراجع نايفرينغ إلى الخلف على كرسيه، وأمال رأسه.
تجمّدت ذراع كاوي، وبقيت السيجارة نصف مرفوعة أمام شفتيه.

همس عدد من الأطباء لبعضهم بعضاً.

نظر تيدي إلى تشاك.

همس تشاك: "لا تنظر إليّ. أنا مذهول".

قال كاوي: "ألم يخبرك أمر السجن؟".

"لم نتحدث أبداً، إلى أمر السجن. استقبلنا السيد ماكفرسون".

قال كاوي "أوه، يا الله!".

"ماذا؟".

نظر كاولي إلى الأطباء الآخرين، واتسعت عيناه.

كرر تيدي: "ماذا؟".

أطلق كاولي دفقةً من الهواء خارج فمه، ونظر إلى الطاولة.

"لقد وجدناها".

"ماذا؟".

أومأ كاولي برأسه ومجّ سيجارته. "راشايل سولاندو. وجدناها بعد ظهر اليوم. إنها هنا أيها السادة. مباشرة خارج هذا الباب، في آخر الممر".

نظر تيدي وتشاك فوق كتفیهما إلى الباب.

"يمكنكما الاسترخاء الآن، أيها المارشلان. لقد انتهى بحثكما".

رافقهما كاولي ونايهرينغ في رواق مبلّط بالأسود والأبيض، وعبر مجموعة من الأبواب المزدوجة، وصولاً إلى جناح المستشفى الرئيس. مروا أمام مكتب الممرضات إلى اليسار، واستداروا إلى اليمين نحو غرفة كبيرة، فيها مصابيح فلورية طويلة، وقضبان ستائر على شكل U، متدلّية من علاقات في السقف، وها هي، جالسة على سرير، في ثوب أخضر شاحب يصل مباشرة إلى فوق ركبتها، فيما شعرها الداكن مغسول حديثاً، وممشط إلى الخلف، بعيداً عن جبينها.

قال كاولي: "راشايل. جاءنا بعض الأصدقاء. أتمنى ألا تمنعي".

سوّت حاشية ثوبها، تحت فخذها، ونظرت إلى تيدي وتشاك، مثل الولد الذي يتوقع شيئاً ما.

لا توجد علامة عليها.

بشرتها بلون الحجر الرملي. لا خدوش أبداً، على وجهها وذراعيها، وساقها. قدماها حافيتان. وكانت بشرتها خالية من الخدوش، غير محتكة بالأغصان، أو الأشواك، أو الصخور.

سألت تيدي: "كيف أستطيع مساعدتكما؟".

"سولاندو، نحن هنا لـ...".

"لبيع شيء ما؟".

"سيدتي!".

"أتمنى ألا تكونا هنا، لبيع شيء ما. لا أريد أن أكون فظة، لكن زوجي هو الذي يتخذ كل هذه القرارات".
"لا سيدتي. لسنا هنا لبيع أي شيء".
"حسناً، هذا جيد إذاً. ما الذي أستطيع فعله لكما؟".
"هل يمكنك أن تقولي لنا أين كنت البارحة؟".
"كنت هنا. كنت في المنزل". نظرت إلى كاولي. "من هما هذان الرجلان؟".

قال كاولي: "إنهما ضابطان في الشرطة، راشايل".
"هل حدث أي شيء لجيم؟".
قال كاولي: "لا. لا، جيم بخير".
"ولا للأولاد". نظرت حولها. "إنهم يلعبون في الحديقة. لم يرتكبوا أي حماقة، أليس كذلك؟".
قال تيدي: "آنسة سولاندو، لا. أولادك ليسوا في ورطة وزوجك بخير". نظر إلى كاولي وأوماً كاولي برأسه دليل الموافقة. "لقد سمعنا للتو، أوه، أن مخرباً معروفاً جاء إلى المنطقة البارحة. شوهد في شارعكم يوزع منشائر حول الشيوعية".
"أوه، يا الله، لا. للأولاد؟!".
"ليس حسب علمنا".

"لكن، في هذه المنطقة؟! في هذا الشارع؟!".
قال تيدي: "أخشى ذلك، سيدتي. أتمنى أن نخبرينا، أين كنت البارحة، بحيث نعرف إذا صادفت الرجل الذي نتحدث عنه؟".
"هل تتهمني أني شيوعية؟". ابتعد ظهرها عن الوسادات، وأمسكت الشرشف بقبضتي يديها.

وجه كاولي نظرة إلى تيدي تقول: لقد حفرت الحفرة. اعثر على طريقك للخروج منها.

"شيوعية، سيدي، أنت! أي رجل عاقل يمكن أن يفكر هكذا؟ أنت أميركية بقدر بيتي غرايل. وحده الرجل الأعمى، لا يدرك ذلك".
أفلتت الشرف من قبضة إحدى يديها، وفركت بها ركبتها.
"لكنني لا أبدو مثل بيتي غرايل".

"فقط في وطنيتك الواضحة. لا، أقول إنك تشبهين أكثر تيريزا رايت، سيدي. ما كان اسم الفيلم الذي تشاركت بطولته مع جوزف كاتون قبل عشرة أعوام، أو اثني عشر عاماً؟".

قالت "ظلال الشك". لقد سمعت به". وكانت ابتسامتها جذابة ومغرية في الوقت نفسه. "حارب جيم في تلك الحرب. عاد إلى المنزل، وقال إن العالم حرّ الآن، لأن الأميركيين حاربوا لأجله، ورأى العالم بكامله، أن الطريقة الأميركية هي السبيل الوحيد".

قال تيدي: "آمين. أنا أيضاً شاركت في تلك الحرب".

"هل تعرفت إلى جيم؟".

"أخشى أنني لم أتعرف إليه، سيدي. أنا واثق من أنه رجل رائع. كان في الجيش؟".

فركت أنفها، عند سماع ذلك وقالت: "في المارينز".

قال تيدي: "رائع. سولاندو، من المهم أن نعرف كل خطوة قام بها ذلك المخربّ البارحة. يحتمل أنك لم ترينه. إنه محتمل. لذا، نريد أن نعرف ماذا فعلت، بالتحديد، لكي تتمكن من مطابقة ذلك مع ما نعرفه عن مكان وجوده، بحيث نرى إذا صادفتما بعضكما".

"مثل السفن في الليل".

"بالضبط. فهمت إذا؟".

"أوه، طبعاً". جلست على السرير، ووضعت ساقها تحتها، وأحسّ تيدي بحرّكتها في معدته وبين...

قال لها: "أخبريني إذاً، عن يومك".

"حسناً، فلنرَ. حضّرت الفطور لجيم والأولاد، ثم وضّبت غداء جيم قبل أن يغادر، وبعدها أرسلت الأولاد إلى المدرسة، ثم قررت أن أسبح طويلاً في البحيرة".

"هل تفعلين ذلك غالباً؟".

"لا". قالت وهي تنحني إلى الأمام وتضحك، كما لو أنه غازلها: "لا أعرف، لكنني شعرت بالقليل من الكآبة. تعرف كيف تكون الحال أحياناً. تشعر فقط بالقليل من الكآبة".

"طبعاً".

"حسناً هكذا شعرت. لذا، خلعت ملابسي، وسبحت في البحيرة إلى أن تخشبت ذراعاي وساقاي. كانت ثقيلة جداً، فخرجت من الماء، وجففت جسمي، وارتديت ملابسي على الفور، وقمت بنسزهة على الشاطئ. والتقطتُ بعض الحجارة، وشيّدت بعض القصور الرملية الصغيرة. صغيرة".

سأل تيدي "هل تذكرين عددها؟". وشعر أن كاولي يحدّق إليه.

فكّرت في الأمر، ووجهت عيناها صوب السقف قائلة: "نعم".

"كم عددها؟".

"ثلاثة عشر".

"هذا عدد قليل".

قالت: "بعضها كان صغيراً جداً. بحجم فنجان الشاي".

"وماذا فعلت بعدها؟".

قالت له: "فكّرت فيك".

رأى تيدي نايفرينغ ينظر إلى كاوي، من الجهة الأخرى للسريـر. نظر تيدي إلى نايفرينغ، ورفع نايفرينغ يديه، كما لو أنه متفاجئ مثل الجميع.

قال تيدي: "لماذا أنا؟".

كشفت ابتسامتها عن أسنان بيضاء، مرصوفة قرب بعضها بعضاً، باستثناء طرف أحمر صغير للسان مقحوم بينها. "لأنك جيم، أيها السخيف. أنت جندتي". هضت على ركبتيها، وتمددت، وأمسكت يد تيدي بيدها، وداعبتها. "خشنة جداً. أحب خشونتها عند احتكاكها بشرتي. اشتقت إليك، جيم. لا تأتي أبداً إلى المنزل".

قال تيدي: "أنا أعمل كثيراً".

"اجلس". أمسكت بذراعه.

أوماً له كاوي بالتقدم نحوها، فسمح تيدي لنفسه بالجلوس على السريـر. جلس قريبا. لقد اختفى السبب الذي أثار الدهول في عينيها، في الصورة الفوتوغرافية، على الأقل مؤقتاً، ويستحيل، عند الجلوس قريبا إلى هذه الدرجة، عدم ملاحظة كم هي جميلة! كان الانطباع الإجمالي الذي تولّده عذباً. عيانا داكتان تسطعان، مع نظرة صافية مثل الماء، حركات بطيئة في جسمها، جعلت أطرافها تبدو وكأنها تسبح في الهواء، ووجه ممتلئ بنعومة في الشفتين والذقن.

قالت: "أنت تعمل كثيراً". ومررت أصابعها فوق المساحة الممتدة مباشرة، تحت حنجرته، كما لو أنها تسوّي طيّة، في عقدة ربطه عنقه.

قال تيدي: "توجب عليّ إحضار اللحم إلى المنزل".

قالت "أوه، نحن بخير". وأحسّ بتنفسها على عنقه. "لدينا ما يكفي".

قال تيدي: "لوقت الحاضر. أفكر في المستقبل".

قالت راشايل: "لم أره أبداً. هل تذكر ما كان والدي يقوله؟".
"لقد نسيت".

مشطت الشعر عند صدغه بأصابعها. "المستقبل هو شيء تدّخره،
كان يقول. أنا أدفع نقداً". وجّهت إليه ضحكة صغيرة، وانحنت
بالقرب منه، إلى درجة استطاع الإحساس بنهديها على متن كتفيه. "لا
صغيري، علينا العيش لليوم. للآن". هذا ما كانت تقوله دولوريس.
كما أن الشفتين والشعر لهما الشكل نفسه، لدرجة، أنه لو اقترب وجه
راشايل أكثر، لتمت مساحته على الظن أنه يتحدث إلى دولوريس.
حتى إنهما تملكان الجاذبية المرتعشة نفسها، والتي لا يعرف تيدي -
بالرغم من كل سنواتهما معاً - ما إذا كانت زوجته مدركة حتى
لتأثيرها.

حاول تذكر ما يفترض به سؤالها. عرف أنه يفترض به إعادتها إلى
السكة. وجعلها تخبره عن يومها البارحة، كيف كان، وماذا حصل
بعدها مشت على الشاطئ وشيّدت القصور.

قال لها: "ماذا فعلت بعدما سرت قرب البحيرة؟".
"تعرف ماذا فعلت".
"لا".

"أوه، تريد سماعه مني وأنا أقوله؟ أليس كذلك؟".
انحنت إلى الأمام بحيث بات وجهها قليلاً، تحت وجهه، وحدّقت
تلك العينان الداكنتان إلى الأعلى، فيما الهواء الخارج من فمها دخل إلى
فمه.

"ألا تذكر؟".
"لا أذكر".
"كاذب".

"أنا جاد".

"لست كذلك. إذا نسيت ذلك، جايمس سولاندو، فإنك تبحث عن مشكلة".

همس تيدي: "إذاً، أخبريني".

"تريد فقط سماع ذلك".

"أريد فقط سماع ذلك".

مررت راحة يدها فوق عظم وجنته، وعلى ذقنه، وأصبح صوتها أكثر خشونة حين تحدثت:

"عدت مبللة من البحيرة، ولعقتني حتى جففتني".

وضع تيدي يديه على وجهها، قبل أن تغلق المسافة الفاصلة بينهما. انزلقت أصابعها على صدغيه، وأحس برطوبة شعرها على إبهاميه فنظر إلى عينيها.

همس لها: "أخبريني أيضاً، ماذا فعلت البارحة؟". ورأى شيئاً يكافح الصفاء في عينيها. الخوف، إنه واثق تماماً. ثم ظهر الخوف على شفرتها العلوية، والبشرة التي بين حاجبيها. أحس بالارتعاشات في لحمها.

فتشت في وجهه، واتسعت عيناها، وتحركتا من جهة إلى أخرى في محجريهما.

قالت: "لقد دفتك".

"لا، أنا هنا".

"دفتك. في تابوت فارغ، لأن جسمك تطاير فوق كل شمال الأطلسي. دفت صفائحك المعدنية لأنها كل ما استطاعوا العثور عليه. جسمك، جسمك الجميل، احترق، وأكلته أسماك القرش".

قال كاولي: "راشايل".

قالت: "مثل اللحم".

قال تيدي: "لا".

"مثل اللحم الأسود، المحترق جداً".

"لا، لم يكن هذا أنا".

"لقد قتلوا جيم. جيم خاصتي مات. فمن أنت، إذًا؟".

أفلتت من قبضته، وتراجعت على السرير نحو الجدار، واستدارت للنظر إليه.

"من هذا بربكم؟". أشارت إلى تيدي وبصقت عليه.

لم يستطع تيدي التحرك. حدّق إليها، في الغضب الذي اجتاح عينيها، مثل الموجة.

"كنت ستقيم علاقة حميمة معي، أيها البحار! أليس كذلك؟ فيما أولادي يلعبون في الفناء الخارجي. هل كانت هذه خطتك؟ اخرج من هنا أيها اللعين! هل تسمعي؟ اخرج من هنا...".

اقتربت منه بسرعة، مع يد فوق رأسها، فقفز تيدي عن السرير، ومرت بسرعة أمامه حارسان يضعان أحزمة جلدية، سميكة على كتفيهما، وأمسكا براشايل من تحت ذراعيها، وألقيا بها على السرير.

أحسّ تيدي بالارتعاشات في جسمه، بالعرق المتصبب من مسامه، وانفجر صوت راشايل عبر الجناح:

"أيها المغتصب! أيها الوحش المغتصب! سيأتي زوجي ويقتلع حنجرتك! هل تسمعي؟ سيقطع رأسك اللعين وسنشرب دمك! سنستحمّ به، أيها الحقير اللعين!".

انقضّ حارس فوق صدرها، فيما أمسك الحارس الآخر بكاحليها بقبضة قوية وثّبتا الأحزمة في مشابك حديدية في قضبان السرير، ثم شبكا الأحزمة فوق صدر راشايل وكاحليها، وأدخلها في المشابك

الموضوعة في الجهة الأخرى من السرير، وشداً الأحزمة بإحكام وثبتها، وأصدرت المشابك صوتاً قوياً عند إقفالها، وتراجع الحارسان إلى الخلف.

قال كاولي: "راشايل". وكان صوته رقيقاً وأبويّاً.
"أنتم جميعاً مغتصبون لعينون. أين هم أطفالي؟ أين هم أطفالي؟
أعيدوا إليّ أطفالي، يا أولاد العاهرات! أعطوني أطفالي!".
أطلقت صرخة عالية، اخترقت العمود الفقري لتيدي، مثل الرصاص، وثارت في قيودها بقوة كبيرة، لدرجة اهتزت قضبان السرير، وقال كاولي: "سنعود لنراك لاحقاً، راشايل".

بصقت عليه، وسمع تيدي صوت سقوط البصقة على الأرض، ثم صرخت مجدداً، وكان هناك دم على شفتها، في المكان الذي يفترض أنها قضمته، وأوماً لهما كاولي، وبدأ بالمشي فانطلقا وراءه، ونظر تيدي إلى الخلف، فوق كتفه، فرأى راشايل تراقبه، تنظر إليه مباشرة إلى العينين، وقوّست كتفها بعيداً عن الفرشاة، وانتفخت الشرايين في عنقها، وامتلأت شفتها بالدم واللعب، فيما صرخت فيه، صرخت، كما لو أنها رأت رأس ميت يتسلق نافذتها ويتوجه نحو سريرها.

ثمة مشرب في مكتب كاولي، توجّهوا إليه. ما إن دخلوا، حتى استدار كاولي إلى اليمين، فأضاعه تيدي، لفترة وجيزة. اختفى وراء غشاء من الضباب الأبيض، وقال تيدي لنفسه:
لا، ليس الآن. ليس الآن بالله عليكم.
قال تيدي: "أين عثرتم عليها؟".

"على الشاطئ، قرب المنارة. ترمي الحجارة في المحيط".

عاد كاولي للظهور مجدداً، لأن تيدي أدار رأسه إلى اليسار، فيما تابع كاولي طريقه، إلى اليمين. حين برم تيدي رأسه، غطى الضباب مكتبة في الجدار، ومن ثم النافذة. فرك عينه اليمنى، محاولاً دحض كل الأدلة، لكن الأمر لم يجد نفعاً، ثم شعر به، في الجهة اليسرى من رأسه - واد ضيق مليء بالحمم المتدفقة عبر الجمجمة، مباشرة تحت شعره - ظن أنه سمع صراخ راشايل هنا، الضحيج الغاضب، لكن الأمر تعدى ذلك، وانفجر الألم، مثل عشرات السيوف التي انغرزت ببطء في جمجمته، فجفل ورفع أصابعه إلى صدغيه.

"أيها المارشال؟". نظر إلى الأعلى ليرى كاولي، في الجهة الأخرى من مكتبه، مع ضباب إلى يساره.
نجح تيدي في القول: "نعم؟".
"تبدو شاحباً جداً".

"هل أنت بخير سيدي؟". أصبح تشاك قربه فجأة.
قال تيدي: "بخير". ووضع كاولي كأس الشراب الاسكتلندي على المكتب، فكان الصوت أشبه بصوت طلقة المسدس.
قال كاولي: "اجلس".

قال تيدي: "أنا بخير". لكن الكلمات شقت طريقها من دماغه إلى لسانه، عبر سلم مليء بالأشواك.
قطقطعت عظام كاولي مثل الخشب المحترق، فيما انحنى على المكتب أمام تيدي. "صداع الشقيقة؟".

نظر تيدي إلى شكله الضبابي. أراد الإيماء برأسه، لكن التجربة السابقة علّمته ألا يومئ أبداً خلال هذه النوبات. "نعم". نجح في القول.

"عرفت ذلك، من طريقة فركك لصدغيك".

"أوه".

"هل تعاني منها غالباً؟".

"نصف دزينة...". أصبح فم تيدي جافاً، واحتاج إلى بضع ثوانٍ لإعادة بعض الرطوبة إلى لسانه. "... في السنة".

قال كاولي: "أنت محظوظ في جانب واحد، على كل حال".

"وكيف ذلك؟".

"الكثير من المصابين بصداع الشقيقة يعانون من الصداع العنقودي، مرة أسبوعياً تقريباً". أصدر جسمه صوت الخشب المحترق، مجدداً، فيما نهض عن المكتب، وسمعه تيدي يفتح خزانة.

سأل تيدي: "ماذا تعاني؟ فقداناً جزئياً للرؤية، جفافاً في الفم، ناراً في الرأس؟".

"برافو".

"درسنا الدماغ، طوال قرون عدة، ولم يعرف أحد من أين تأتي. هل تصدق ذلك؟ نعرف أنها تهاجم الفص الجداري عادة. نعرف أنها تسبب تخثراً للدّم. إنها أمور متناهية الصغر، لكنها تحصل في شيء دقيق، وصغير، هو الدماغ. ويعاني المرء من انفجارات. لكن، طوال هذا الوقت، ومع كل هذه الدراسات، لا يعرف أحد السبب، أو التأثيرات طويلة الأمد للتصرفات التي نعتمدها لوقف الزكام الشائع".

أعطاه كاولي كوباً من الماء، ووضع حبتين صفراوتين في يده. "يفترض بهاتين أن تجديا نفعاً. قد تنام لساعة أو ساعتين، لكن حين تستيقظ، يفترض أن تكون بخير. عقلك صاف تماماً".

نظر تيدي إلى الحبتين الصفراوتين، وإلى كوب الماء العالق في قبضة مخوفة بالمخاطر.

نظر إلى كاولي، وحاول التركيز بعينه الجيدة، لأن الرجل بات
مغطى بضوء أبيض جداً وقاس كثيراً، بحيث غطى كتفيه وذراعيه.
مهما فعلت، بدأ صوت يقول في رأس تيدي...
انغرزت مسامير في الجهة اليسرى من جمجمته، وسُكَب دفقٌ من
المسامير الصغيرة هناك، وصفر تيدي فيما استنشق الهواء.
"يا الله، سيدي!"

"سيكون بخير أيها المارشال".
جرب الصوت مجدداً: مهما فعلت، تيدي...
أدخل أحدهم قضيباً فولاذياً في كومة المسامير الصغيرة، وضغط
تيدي بيمين يده على عينه الجيدة فيما ألهمت الدموع منها، وتمايلت معدته.
... لا تأخذ هذه الحبوب.

توجهت معدته جنوباً، وانزلقت عبر وركه الأيمن، فيما لعق
الذهب جوانب الشقوق في رأسه، وإذا ساءت الأمور أكثر، كان واثقاً،
من أنه سيعضّ لسانه.

لا تأخذ تلك الحبوب اللعينة، صرخ الصوت، وركض جيئة
وذهاباً في الوادي المحترق، ملوّحاً بعلم، راکضاً أمام الحشود.

أخفض تيدي رأسه، وتقيأ على الأرض.

"سيدي، سيدي. هل أنت بخير؟".

قال كاولي: "أوه، أوه. تعاني من نوبة سيئة".

رفع تيدي رأسه.

لا...

أصبحت وجنتاه مبللتين بدموعه.

... تأخذ...

غرز أحدهم شفرة بالطول في الوادي.

... تلك...

بدأت الشفرة تتحرك جيئة وذهاباً.

... الحبوب.

صك تيدي أسنانه، وأحسّ بمعدته تثور مجدداً. حاول التركيز على الكوب في يده، ولاحظ شيئاً غريباً على إبهامه، وقال إنه، بلا شك، صداغ الشقيقة الذي يؤثر في إدراكه.

لا تأخذ هذه الحبوب.

تمرير جديد لأسنان المنشار عبر طيات دماغه، وتوجب على تيدي كبت صرخة، وسمع صراخ راشايل هناك، مع النار، ورآها تنظر في عينيه، وأحسّ بنفسها على شفثيه، وأحسّ بوجهها بين يديه فيما داعب إبهاماه صدغيها، وعاد ذلك المنشار اللعين للتتحرك جيئة وذهاباً عبر رأسه؛ لا تأخذ هذه الحبوب.

ووضع راحة يده على فمه، وأحسّ بالحبتين تدخلان إلى هناك، فيما تدفق الماء خلفهما وابتلعهما، وأحسّ بهما تنزلقان عبر المريء، وشرب من كوب الماء حتى فرغ.
قال كاولي: "ستشكرني".

كان تشاك بقربه مجدداً، وأعطى تيدي منديلاً، فمسح تيدي جبينه به، ثم مسح فمه، وأفلته على الأرض.
قال كاولي: "ساعدني على حمله أيها المارشال".

رفعاً تيدي عن الكرسي، ويرماه بحيث استطاع رؤية باب أسود أمامه.

قال كاولي: "لا تخبر أحداً، لكن، ثمة غرفة هناك، آخذ فيها قيلولاتي أحياناً. أوه، حسناً، مرة يومياً. سنضعك هناك أيها المارشال، وستنام. بعد ساعتين من الآن، ستكون بأفضل حالاتك".

رأى تيدي يديه تنزلقان عن كتفیهما. بدوا مضحکین؛ وتدلّت
یداه فوق عظم صدره. والإهّامان، کشفّا عن ذلك التّمویة البصري. ما
هذا؟ تمنى لو أنه یستطیع حکّ البشرة، لكن کاولی بات یفتح الباب
الآن، ونظر تيدي مرة أخرى إلى البقع على الإهّامین.

بقع سوداء!

ملمّع أحذية، قال لنفسه، فیما أدخله إلى الغرفة الداكنة.

کیف وصل ملمع الأحذية إلى إهّامي؟

كانت من أسوأ الكوايس التي عرفها.

بدأت مع تيدي يمشي عبر شوارع هال، شوارع اجتازها مرات لامتناهية، من الطفولة إلى الرجولة. مرّ أمام مدرسته القديمة. مرّ أمام المتجر الصغير، الذي كان يشتري منه العلكة، والصدودا القشدية. مرّ أمام منزل ديكرسون، ومنزل باكاسكي، وموراي، وبويد، وفينون، وكونستانتين. لكن، ما من أحد في منزله. لم يعد أي أحد موجوداً. أصبحت فارغة، البلدة بأكملها. وهادئة جداً. لم يستطع حتى سماع المحيط، بالرغم من أنه يمكنك دوماً سماع المحيط في هال.

هذا مريع؛ بلدته، ورحيل الجميع. جلس على السور البحري على طول جادة المحيط؛ وفتش في الشاطئ الفارغ، وجلس، وانتظر، ولكن لم يأت أحد. أدرك أنهم ماتوا جميعاً، قبل زمن طويل وبعيد. كان شبحاً، عاد عبر القرون إلى بلدته الشبح. لم تعد موجودة أصلاً. لم يعد موجوداً أصلاً. لا يوجد أحد هنا.

وجد نفسه بعد ذلك في قاعة رخامية كبيرة، مليئة بالأشخاص والحمّالات وأكياس المصل الحمراء فشعر فوراً بالتحسن. أينما كان هذا، ليس لوحده. ثلاثة أولاد - صبيان وفتاة - مرّوا أمامه. ارتدوا أثواب مستشفى، وكانت الفتاة خائفة. أمسكت بيدي أخويها. قالت: "إنها هنا. ستجدنا".

انحنى آندرو لايديز وأشعل سيجارة تيدي. "هاي، لا مشاعر سيئة، صحيح يا صديقي؟".

كان لايديز عينة مقبولة من البشرية - جسم مشوه، رأس متدل مع ذقن ناتئة، أطول مرتين مما كانت، أسنان مشوهة، بقع من الشعر الأشقر على جمجمة وردية - لكن تيدي سرّ برؤيته. كان الوحيد الذي يعرفه في الغرفة.

قال لايديز: "أحضروا لي قنينة، إذا، أردت الشرب لاحقاً". غمز تيدي، وأدار ظهره، واستدار نحو تشاك، وبدأ ذلك طبيعياً جداً. قال تشاك: "علينا الذهاب. بدأت الساعة تتكتك هنا يا صديقي".

قال تيدي: "بلدي فارغة. ما من أحد فيها".

وبدأوا بالركض لأنها أصبحت هنا، راشايل سولاندو، تصرخ فيما تركض عبر الغرفة الكبيرة مع ساطور كبير. وقبل أن يتمكن تيدي من الوصول إليها، أمسكت بالأولاد الثلاثة، وراح الساطور يتحرك صعوداً ونزولاً، صعوداً ونزولاً، وتحمّد تيدي، مذهولاً فعلياً، مدركاً أنه لا يستطيع فعل أي شيء في هذه المرحلة، لأن هؤلاء الأولاد ماتوا.

نظرت راشايل إليه. كان وجهها وعنقها ملطخين بالدماء. قالت: "ساعدني".

قال تيدي: "ماذا؟ سأقع في مشكلة".

قالت: "ساعدني وسأكون دولوريس. سأكون زوجتك. ستعود لك".

قال لها: "موافق" وساعدها. رفعوا الأولاد الثلاثة دفعة واحدة، نوعاً ما، ونقلاهم عبر الباب الخلفي إلى الأسفل نحو البحيرة، ووضعاهم

في الماء. من دون رميهم. كانا لطيفين. وضعوا الأولاد على الماء وغرق الأولاد. عاد أحد الصبيين للارتفاع مجدداً، مع يد معقوفة، وقالت راشايل: "لا بأس. لا يستطيع السباحة".

وقفوا على الشاطئ، وشاهدوا الصبي يغرق، ووضعت ذراعها حول خصر تيدي وقالت: "ستكون جيم خاصتي وسأكون دولوريس خاصتك. سننجب، أطفالاً جديداً".

بدا هذا حلاً مثالياً تماماً، وتساءل تيدي لماذا لم يفكر فيه أبداً من قبل.

لحق بها إلى آشكليف، والتقيا بتشاك ومشوا، هم الثلاثة في رواق طويل، امتد لمسافة ميل كامل. قال تيدي لتشاك: "إنها تأخذني إلى دولوريس. سأذهب إلى منزلي يا صديقي".

قال تشاك: "هذا رائع. أنا مسرور. لن أعاذر أبداً هذه الجزيرة".
"لا؟"

"لا، لكن لا بأس سيدي. فعلاً. أنا أنتمي إلى هنا. هنا موطني".

قال تيدي: "موطني راشايل".

"تقصد دولوريس".

"صحيح، صحيح. ماذا قلت؟".

"قلت راشايل".

"أوه، آسف بشأن ذلك. هل تظن فعلاً أنك تنتمي إلى هنا؟".

أوما تشاك برأسه. "لم أعاذر أبداً. لن أعاذر أبداً. أقصد، أنظر إلى يدي، سيدي".

نظر تيدي إليهما. رآهما ناعمتين تماماً. قال له ذلك.

هزّ تيدي رأسه. "لا تنطبقان. تتحول الأصابع أحياناً إلى فئران".

"حسناً، أنا مسرور إذاً، لأنك في موطنك".

"شكراً سيدي". أدار ظهره، ونظر إلى كاولي وراشايل اللذين أصبحا بعيدين عنهما، نوعاً ما، وبدأ تيدي يمشي بسرعة مضاعفة.

قال كاولي: "لا يمكنك أن تحب امرأة قتلت أولادها".

قال تيدي وهو يمشي أسرع: "بلى أستطيع. لكنك لا تفهم".

"ماذا؟". لم يكن كاولي يحرك ساقيه، لكنه بقي بمحاذاة تيدي تماماً. "ما الذي لا أفهمه؟".

"لا أستطيع أن أكون لوحدي. لا أستطيع مواجهة ذلك. ليس في هذا العالم اللعين. أحتاج إليها. إنها دولوريس خاصتي".

"إنها راشايل".

"أعرف ذلك. لكننا عقدنا اتفاقاً. ستكون دولوريس خاصتي. وسأكون جيم خاصتها. إنها صفقة جيدة".

قال كاولي: "أوه، أوه".

عاد الأولاد الثلاثة وهم يركضون في الرواق نخوهم. كانوا مبللين، وكانوا يصرخون، فيما رؤوسهم منسزوعة.

قال كاولي: "أي أم تفعل ذلك؟!".

شاهد تيدي الأولاد يركضون في مكافهم. مرّوا أمامه وأمام كاولي، ثم تغير الهواء، أو شيء ما لأنهم ركضوا، وركضوا، ولكنهم، لم يتحركوا أبداً إلى الأمام.

قال كاولي: "تقتل أولادها!".

قال تيدي: "لم تقصد ذلك. إنها فقط خائفة".

قال كاولي: "مثلي؟". لكنه لم يعد كاولي. أصبح بيتر برين. "إنها خائفة، ولذلك تقتل أولادها فتصبح الأمور جيدة؟".

"لا. أقصد نعم. لا أحبك بيتر".

"ماذا ستفعل حيال ذلك؟".

وضع تيدي مسدس الخدمة على صدغ بيتر.
قال تيدي: "هل تعرف عدد الأشخاص الذين أعدمتهم؟".
وكانت الدموع تنهمر على وجهه.
قال بيتر: "حسناً، لا تفعل. أرجوك".
ضغط تيدي على الزناد، ورأى الرصاصة تخرج من الجهة الأخرى
لرأس برين، وشاهد الأولاد الثلاثة كل شيء، وبدأوا يصرخون الآن
مثل المجانين فقال بيتر: "اللعة!". اتكأ على الجدار، وأمسك بيده على
جرح الدخول. "أمام الأولاد؟!".
وسمعوها، سمعوا صراحاً خرج من الظلمة أمامهم، صراخها هي،
إنها آتية. إنها هناك في مكان ما في الظلمة، كانت تركض نحوهم بكل
سرعتها، وقالت الفتاة الصغيرة: "ساعدنا".
"لست والدكم. ليس هذا مكاني".
"سأناديك بابا".

قال تيدي: "جيد". مع تنهيدة، وأخذ يدها.
مشيا في الأجراف المطلة على شاطئ الجزيرة، ثم تحولوا في المقابر،
ووجد تيدي رغيف خبز وبعض زبدة الفول السوداني والهام، فحضّر
سندويشات في المقبرة، وكانت الفتاة الصغيرة سعيدة جداً، جالسة في
حضنه، تأكل سندويشها، وأخذها تيدي معه إلى فناء المقبرة، وأشار إلى
مدفن والده ومدفن والدته ومدفنه:

إدوارد دانيالز

بجار سيئ

1957-1920

سألت الفتاة: "لماذا أنت بجار سيئ؟".

"لا أحب الماء".
"وأنا أيضاً لا أحب الماء. يجعلنا ذلك صديقين".
"أظن ذلك".
"أنت ميت. حصلت على لا أعرف ماذا".
"مدفن".
"نعم".
"إذاً، أظن أنني ميت. لا يوجد أحد في بلدي".
"أنا ميتة أيضاً".
"أعرف. آسف بشأن ذلك".
"لم تمنعها".
"وما الذي كنت أستطيع فعله؟ حين وصلت إليها، كانت قد،
تعرفين...".
"أوه، يا الله!".
"ماذا؟".
"لقد عادت مجدداً".
ثم ظهرت راشايل تمشي في فناء المقبرة قرب المدفن. لقد تاه تيدي
في العاصفة. أخذت وقتها. كانت جميلة جداً، فيما شعرها مبلل نتيجة
المطر، واستبدلت الساطور بفأس له مقبض طويل وجرتة قربها وقالت:
"هيا تيدي. إنهم لي".
"أعرف. لكنني لا أستطيع إعطائك إياهم".
"سأكون مختلفة هذه المرة".
"كيف؟".
"أنا بخير الآن. أعرف مسؤولياتي. أصبح رأسي جيداً".
بكى تيدي قائلاً: "أحبك كثيراً".

"وأنا أحبك أيضاً صغيري. فعلاً". جاءت وقبّلته، وقبّلته فعلاً، ووضعت يديها على وجهه، وانزلق لسانها فوق لسانه، وصدر تأوه خفيف من حنجرتها، ودخل إلى فمه، فيما قبّلته بقوة أكبر وأكبر وأحبها كثيراً.

قالت: "والآن أعطني الفتاة".

أعطاهما الفتاة، فأمسكت الفتاة بذراع واحدة، ورفعت الفأس باليد الأخرى وقالت: "سأعود فوراً، اتفقنا؟".
قال تيدي: "طبعاً".

لوّح للفتاة، مدرّكاً أنها لا تفهم. لكنها ستكون المرة الأخيرة. عرف ذلك. عليك اتخاذ قرارات صعبة حين تكون راشداً، قرارات ربما لا يستطيع الأولاد فهمها. لكنها تتخذها نيابة عن الأولاد. واستمرّ تيدي في التلويح، بالرغم من أن الفتاة لم تلوّح، فيما أخذتها أمها نحو المقبرة، ونظرت الفتاة الصغيرة إلى تيدي، وتوسلت الإنقاذ في عينيها، مستسلمة لهذا العالم، لهذه التضحية، فيما لا يزال فمها مليئاً بزبدة الفول السوداني والهلالم.

"أوه يا الله!". جلس تيدي. كان يبكي. شعر أنه أجبر نفسه على الاستيقاظ، مزق دماغه إلى الوعي لمجرد النهوض من هذا الحلم. أحسّ فيه، هناك، في دماغه، ينتظر، فيما الأبواب مشرّعة. كل ما عليه هو إغماض عينيه، وإرجاع رأسه إلى الخلف نحو الوسادة للعودة مباشرة إلى ذلك الحلم. "كيف حالك أيها المارشال؟".

غمز بعينه مرات عدة في الظلمة. "من يوجد هنا؟".
أشعل كاولي مصباحاً صغيراً. وقف قرب كرسيه في زاوية من الغرفة. "آسف. لم أقصد إخافتك".

جلس تيدي على السرير. "كم مضى على وجودي هنا؟".
وجّه إليه كاولي ابتسامة اعتذار. "كانت الحبوب أقوى قليلاً مما
ظننت. نمت لأربع ساعات".

"اللعة!". فرك تيدي عينيه بكعبي يديه.
"كنت تعاني من الكوابيس أيها المارشال. كوابيس حقيقية".
قال تيدي: "أنا في مصح عقلي على جزيرة وسط إعصار".
قال كاولي: "تأثرت. أمضيت شهراً كاملاً هنا قبل أن أنعم بنوم
هائئ في الليل. من دولوريس؟".

قال تيدي: "ماذا؟". وأنزل ساقيه عن طرف السرير.
"بقيت تلفظ اسمها".
"فمي جاف".

أوماً كاولي برأسه، وبرم جسمه على الكرسي، ورفع كوباً من
الماء عن الطاولة قربة. أعطى الكوب إلى تيدي. "أخشى أن يكون هذا
تأثيراً جانبياً. خذ".

أخذ تيدي الكوب، وشربه على دفعات.
"كيف حال رأسك؟".

تذكر تيدي سبب وجوده في هذه الغرفة أساساً، واحتاج إلى
بضع ثوان للاستيعاب. رؤية واضحة. لا ألم في الرأس. القليل من
الغثيان، ولكن الأمر ليس سيئاً جداً. ألم خفيف في الجهة اليمنى من
الرأس، مثل رضة تعود لثلاثة أيام، تماماً.

قال: "أنا بخير. كانت تلك حبوب".
"نسعى للإرضاء. من دولوريس؟".

قال تيدي: "زوجتي. إنها ميتة. ونعم، حضرة الطبيب، لا أزال لا
أستوعب الأمر. هل هذا طبيعي؟".

"طبيعي جداً حضرة المارشال. وأنا آسف لخسارتك. هل ماتت فجأة؟".

نظر تيدي إليه وضحك.

"ماذا؟".

"لست فعلاً في مزاج لأخضع لتحليل نفسي، حضرة الطبيب".
شبك كاولي ساقيه عند الكاحلين، وأشعل سيجارة. "وأنا لا أحاول إزعاجك أيها المارشال. صدق أو لا تصدق. لكن شيئاً ما حصل في تلك الغرفة الليلة مع راشايل. لم تكن فقط هي. أكون مهملاً في واجباتي، بصفتي معالجها، إذا لم أتساءل عن نوع الشياطين التي تحملها".
قال تيدي: "ماذا حصل في تلك الغرفة؟ كنت أؤدي الدور الذي أرادته مني".

قهقهه كاولي قائلاً: "أنت تعرف نفسك أيها المارشال. من فضلك. لو تركناكما لوحكما، هل تقول لي إننا كنا سنعود لرؤيتكما وأنتما ترتديان كل ثيابكما؟".

قال تيدي: "أنا أؤدي وظيفتي حضرة الطبيب. مهما ظننت أنك رأيت هناك، ليس هذا صحيحاً".

رفع كاولي يده قائلاً: "جيد. مثلما تريد".

قال تيدي: "مثلما أريد".

جلس، ودخن، وتأمل تيدي، ودخن المزيد، واستطاع تيدي سماع العاصفة خارجاً، واستطاع الإحساس بضغطها على الجدران، وشعر أنها تدخل عبر الفجوات تحت السقف، وبقي كاولي صامتاً ومتأملاً، وقال تيدي أخيراً:

"ماتت في حريق. أشتاق إليها مثلما... لو كنت تحت الماء، لما اشتقت إلى الأوكسيجين هكذا". رفع حاجبيه إلى كاولي. "راضٍ؟".

انحنى كاولي إلى الأمام، وأعطى تيدي سيجارة، وأشعلها له.
"أحببت امرأة ذات مرة في فرنسا. لا تخبر زوجتي، اتفقنا؟".
"طبعاً".

"أحببت هذه المرأة مثلما تحب... حسناً، لا شيء". قال وظهرت
نبرة مفاجئة في صوته. "لا يمكنك مقارنة هذا النوع من الحب بأي
شيء، هل يمكنك؟".
هزّ تيدي رأسه.

"إنه هدية فريدة". لحقت عينا كاولي الدخان المنبعث من
سيجارته، وقد خرج أثره من الغرفة، فوق المحيط.
"ماذا كنت تفعل في فرنسا؟".
ابتسم، وهزّ إصبعه أمام تيدي.
قال تيدي: "آه".

"على كل حال، كانت هذه المرأة آتية للقائي ذات ليلة. كانت
مستعجلة، حسبما أظن. كانت ليلة ممطرة في باريس. تعثرت. هذا هو".
"ماذا؟".
"تعثرت".
"و؟". حدّق تيدي إليه.

"ولا شيء. تعثرت. وقعت إلى الأمام. ضربت رأسها. ماتت. هل
تصدق ذلك؟ كنّا في حرب كل الطرائق ممكنة ليموت فيها شخص.
تعثرت".

استطاع تيدي ملاحظة الألم في وجهه، حتى بعد كل هذه
السنوات، وعدم التصديق أنّها ليست مزحة بشعة.

قال كاولي بهدوء: "أحياناً، أمضي ثلاث ساعات كاملة من دون
التفكير فيها. أحياناً، أمضي أسابيع كاملة من دون تذكر رائحتها، تلك

النظرة التي كانت توجهها إليّ حين تعرف أننا وجدنا الوقت لنكون،
وحدنا ذات ليلة، شعرها، الطريقة التي كانت تلعب به حين تقرأ.
أحياناً...". أطفأ كاولي سيجارته. "أينما كانت روحها، إذا كانت
هناك بوابة، لنقل، تحت جسمها، وانفتحت حين ماتت، وذهبت إلى
هناك، لعدت إلى باريس غداً، لو كنت أعرف أن تلك البوابة ستفتح
مجدداً وسأستطيع اللحاق بها".

قال تيدي: "ما كان اسمها؟".

قال كاولي: "ماري". واحتاج إلى جهد لمجرد قول ذلك.

مَجّ تيدي سيجارته، وأخرج الدخان بكسل من فمه.

قال: "دولوريس، كانت تتقلب في نومها كثيراً، وكانت يدها،
في سبعين بالمئة من الحالات، لا أمزح، ترتطم بوجهي. فوق فمي
وأنفي. ضربة مدوية وها هي. كنت أبعدها، هل تعرف؟ بصعوبة كبيرة
أحياناً. كنت نائماً بشكل رائع، ثم بوم، ها قد استيقظت. شكراً
حييتي. لكن أحياناً كنت أتركها هناك. أقبلها، أشمّها، أستنشقها. لو
أستطيع فقط إعادة يدها فوق وجهي، أيها الطبيب؟ أبيع العالم من أجل
ذلك".

قعقعت الجدران، وارتعد الليل بالريح.

راقب كاولي تيدي مثلما تراقب الأولاد في زاوية شارع مزدحم.
"أنا جيد تماماً في ما أفعله، حضرة المارشال. أعترف أنني أناني. معدل
ذكائي مرتفع جداً، ومنذ أن كنت ولداً صغيراً، أستطيع قراءة
الأشخاص أفضل من أي كان. أقول ما أريد قوله من دون أن أقصد
الإهانة، لكن، هل فكّرت يوماً في الانتحار؟".

قال تيدي: "حسناً، أنا مسرور لأنك لا تقصد إهانتني".

"لكن هل فكّرت فيه؟".

قال تيدي: "نعم. لهذا السبب، لم أعد أشرب الكحول أيها الطبيب".

"لأنك تعرف أن...".

"... أنها كانت قتلتي قبلاً لو ينفع ذلك".

أوما كاولي برأسه قائلاً: "على الأقل لا تضلل نفسك".

قال تيدي: "نعم. على الأقل استوعبت ذلك".

قال كاولي: "حين تغادر هذا المكان، أستطيع إعطاءك بعض

الأسماء، أسماء أطباء جيدين يستطيعون مساعدتك".

هزّ تيدي رأسه. "المرشالات الأميركيون لا يذهبون إلى أطباء

للرأس. عذراً، فإذا تسرب الخبر، سيتم طردي من الخدمة".

"حسناً، حسناً. منطقي كفاية. لكن حضرة المرشال؟".

نظر تيدي إليه.

"إذا استمررت في مسارك الحالي، ليست مسألة إذا. إنها مسألة

متى".

"لا تعرف ذلك".

"بلى، بلى، أعرف. أنا متخصص في صدمات الحزن والشعور

بالذنب لدى الناجين. أعاني من الشيء نفسه، ولذلك تخصصت في

الشيء نفسه. رأيك تنظر في عيني راشايل سولاندو قبل بضع ساعات،

ورأيك رجلاً يريد الموت. مديرك، المسؤول عن المكتب الميداني؟

أخبرني أنك أفضل رجل لديه. قال إنك عدت من الحرب مع كمية من

الميداليات كافية لملء صدره بأكمله. صحيح؟".

هزّ تيدي كتفه.

"قال إنك كنت في الأردن، وكنت جزءاً من قوة التحرير في

داتشاو".

هزّ كتفه مرة أخرى.

"وحيثما قُتلت زوجتك؟ كم هو برأيك أيها المارشال مقدار الضغط الذي يستطيع الرجل تحمله قبل أن ينكسر؟".
قال تيدي: "لا أعرف أيها الطبيب. أنا أيضاً أتساءل عن الشيء نفسه".

انحنى كاولي عبر المسافة الفاصلة بينهما، ونقر على ركبة تيدي.
"خذ هذه الأسماء مني قبل أن تغادر. اتفقنا؟ أودّ أن أجلس هنا بعد خمس سنوات من الآن، أيها المارشال، وأعرف أنك ما زلت في هذا العالم".

نظر تيدي إلى اليد الموضوعة على ركبته. ثم نظر إلى كاولي.
قال بهدوء: "وأنا أيضاً".

التقى بتشاك في الطابق الأرضي من مبنى نوم الرجال، حيث جمعوا أسرة للجميع للخروج سالمين من العاصفة. للوصول إلى هنا، توجب على تيدي عبور سلسلة من الممرات تحت الأرضية التي تربط كل المباني في المجمع ببعضها بعضاً. رافقه حارس اسمه بين، وهو عبارة عن كتلة ضخمة من اللحم الأبيض، واجتاز أربع بوابات مقفلة وثلاث نقاط تفتيش محروسة برجال، وهنا، في الأسفل، لا يمكنك معرفة أن هناك عاصفة تهب في الخارج. كانت الممرات طويلة ورمادية ومضاءة بطريقة خافتة، لم يحب تيدي كثيراً مقدار الشبه بينها وبين الممرات التي رآها في حلمه. صحيح أنها ليست طويلة بهذا القدر، وليست مليئة ببقع مفاجئة من الظلمة، ولكنها رمادية وباردة بالطريقة نفسها.

شعر بالإحراج عند رؤية تشاك. لم يعانِ أبداً من نوبة صداع الشقيقة بهذه القوة أمام الآخرين من قبل، وشعر بالخجل حين تذكر كيف تقياً على الأرض. كان عاجزاً جداً، مثل الطفل، واحتاج إلى من يرفعه عن الكرسي. لكن حين نادى تشاك: "هاي سيدي". من الجهة الأخرى في الغرفة، تفاجأ لإحساسه بالكثير من الارتياح للقاء به مجدداً. طلب إجراء هذا التحقيق بمفرده، وتم رفض طلبه. في ذلك الوقت، أزعجه الأمر، لكن الآن، بعد يومين في هذا المكان، بعد المقبرة ونفس راشايل في فمه، وتلك الأحلام اللعينة، عليه الاعتراف أنه مسرور لأنه ليس وحده في هذه القضية.

تصافحاً، وتذكر ما قاله له تشاك في الحلم: "لن أغادر أبداً هذه الجزيرة". وشعر تيدي بشبح عصفور أسود يمرّ أمام صدره ويصفق بجناحيه.

"كيف حالك سيدي؟". ربّت تشاك على كتفه.
وجّه إليه تيدي ابتسامة خجولة. "أنا أفضل. مضطرب قليلاً، ولكنني جيد بشكل عام".

"اللعنة!". قال تشاك وهو يخفض صوته، ويتعد قليلاً عن حارسين يدخنان السجائر قرب عمود دعم. "لقد أخفتني سيدي. ظننت أنك تعرضت لنوبة قلبية، أو سكتة دماغية، أو ما شابه".
"بمجرد صداع الشقيقة".

قال تشاك: "بمجرد". أخفض صوته أكثر، وتوجها إلى الجدار الإسمنيّ البيج، في الجهة الجنوبية من الغرفة، بعيداً عن بقية الرجال.
"تعرف، ظننتُ أنك تتظاهر بالأمر في البداية، كما لو أن لديك خطة للوصول إلى الملفات أو ما شابه".
"ليتني كنت بهذا الذكاء".

نظر في عيني تيدي، وقد تألأت عيناه. "لكن، خطرت لي فكرة".
"لا".

"بلى".

"ماذا فعلت؟".

"أخبرت كاولي أنني سأبقى معك. وفعلت. وبعد برهة، تلقى اتصالاً وغادر المكتب".

"هل فتشت في ملفاته؟".

أوما تشاك برأسه.

"ماذا وجدت؟".

انخفض وجه تشاك. "حسناً، في الواقع ليس الكثير. لم أستطع الوصول إلى خزانات الملفات. لديه بعض الأقفال التي لم أشاهدها أبداً من قبل. واخترت الكثير من الأقفال. كان في وسعي اختيار تلك الأقفال، لكنني كنت سأترك بصمات. تفهمني؟".
أوماً تيدي برأسه. "فعلت الشيء الصحيح".
"نعم، حسناً...". أوماً تشاك برأسه لحارس مرّ أمامهما، وأحسّ تيدي كما لو أنه تم نقلهما إلى فيلم قديم لكاغني، فيما الأشرار في الفناء الخلفي يخططون لهروبهم. "لكنني وصلت إلى مكتبه".
"ماذا؟".

قال تشاك: "هذا جنون، أليس كذلك؟ يمكنك لي معصمي لاحقاً".
"لي معصمك؟ إنك تستحق ميدالية!".
"لا ميدالية. لم أعثر على الكثير سيدي. فقط على روزنامته. لكن إليك ما وجدته؛ البارحة، اليوم، غداً، وبعد غد كلها مشطوبة، هل تعرف؟ شطبها بالأسود".
قال تيدي: "الإعصار. سمع أنه آت".
هزّ تشاك رأسه. "كتب فوق الخانات الأربع. هل تعرف ما أقصده. مثلما تكتب عطلة في الكاب كود. هل تفهمني؟".
قال تيدي: "طبعاً".

جاء تراسي واشتطن إليهما، مع بحة في صوته، وقد غطي المطر رأسه وملابسه وقال: "أنتما تحتبئان هنا، أيها المارشلان؟".
قال تشاك: "حزرت".

سأله تيدي: "هل كنت في الخارج؟".
"أوه نعم. العاصفة قوية الآن أيها المارشلان. كنا نطوق المجمع بأكمله بأكياس الرمل، وثبت كل النوافذ. اللعنة. كل الأشياء تتساقط

فوق بعضها في الخارج". أعاد ترائ إشعال سيجارة بواسطة قَدّاحة زيبو، واستدار نحو تيدي. "هل أنت بخير أيها المارشال؟ سرت شائعة في المكان أنك تعرضت لنوبة ما".

"أي نوع من النوبات؟".

"أوه، الآن، وقد مضى على وجودك كل الليل، تحاول تصور سيناريوهات عدة للقصة".

ابتسم تيدي: "أعاني من صداع الشقيقة. من نوبات سيئة".

"لديّ عمة كانت تعاني من نوبات مريعة. كانت تحبس نفسها في غرفة نوم، وتطفئ الضوء، وتغلق الستائر، ولم يكن أحد يراها طوال أربع وعشرين ساعة".
"أتعاطف معها".

نفخ ترائ دخان سيجارته. "حسناً، لقد ماتت قبل زمن بعيد، لكن، حين أصدد إلى الأعلى سأذكرها في صلواتي الليلية. كانت امرأة حقيرة، على كل حال، سواء أعانت من الصداع أم لا. كانت تضربني وأخني بواسطة قضيب كبير. أحياناً من دون سبب. كنت أقول لها: عمّتي ماذا فعلت؟ فتجيبني: لا أعرف، لكنك تفكر في القيام بشيء فظيع. ماذا تفعل مع امرأة كهذه؟".

بدا وكأنه ينتظر جواباً فعلاً، ولذلك قال تشاك: "الهروب بسرعة".
أطلق تيدي قهقهة خفيفة حول سيجاره. "أليست هذه الحقيقة؟ نعم، سيدي". تنهد. "سأذهب لأجفف نفسي. أراك لاحقاً".
"نراك".

كانت الغرفة مليئة بالرجال الآتين من العاصفة، الذين يحاولون نزع الرطوبة عن أثوابهم السوداء، وقبعاتهم الكبيرة السوداء، وكانوا يسعلون، ويدخنون، ويمررون لبعضهم قناني الشراب بشكل علني.

اتكأ تيدي وتشاك على الجدار البيج، وتحدثا بنبرة منخفضة وهما ينظران إلى الغرفة.

"إذاً، ما كانت الكلمات على الروزنامة...؟"

"نعم".

"لم تكن عطلة في الكاب كود".

"لا".

"ماذا كانت؟"

"كانت المريض السابع والستين".

"فقط؟"

"فقط".

"لكن هذا يكفي، أليس كذلك؟"

"أوه، نعم حسبما أظن".

لم يستطع النوم. أصغى إلى الرجال يشخرون، ويشهقون، ويزفرون صفيراً خفيفاً، وسمع بعضهم يتحدثون في نومهم، وسمع أحدهم يقول: "عليك إخباري. هذا كل شيء. فقط قل الكلمات...". وسمع رجلاً آخر يقول: "هناك بوشار في حنجرتي". ركل بعضهم الشراف، وبرم بعضهم الآخر مراراً وتكراراً، ونهض بعضهم لضرب الوسادات قبل الاستلقاء مجدداً على الفراش. بعد برهة، بلغ الضجيج نوعاً من الإيقاع المريح، الذي ذكر تيدي بنشيد مكبوت.

كان الصوت مكبوتاً أيضاً في الخارج، لكن تيدي استطاع سماع العاصفة تضرب بالأرض وتعصف بالأسس، وتمنى لو أنه توجد نوافذ هنا، ليتمكن فقط من رؤية وميض العاصفة، والبرق المرسوم في السماء. فكر في ما قاله له كاولي.

ليست مسألة إذا. إنها مسألة متى.

هل يفكر في الانتحار؟

افترض ذلك. لا يذكر يوماً منذ موت دولوريس لم يفكر فيه في الانضمام إليها، ووصل الأمر أحياناً إلى أبعد من ذلك. شعر أحياناً وكأن الاستمرار في العيش هو عمل جبان. فما الجدوى من شراء الحاجيات، أو ملء خزان وقود سيارة الكرايزلر، أو الحلاقة، أو انتعال الجوارب، أو الوقوف في صف آخر، أو اختيار ربطة عنق، أو كي قميص، أو غسل الوجه، أو تمشيط الشعر، أو دفع شيك، أو تجديد الرخصة، أو قراءة الجريدة، أو التبول، أو الأكل - بمفرده، دوماً بمفرده - أو الذهاب إلى السينما، أو شراء أسطوانة، أو دفع الفواتير، أو الحلاقة مجدداً، والغسيل مجدداً، والنوم مجدداً، والاستيقاظ مجدداً...

... إذا كان كل هذا لا يجعله أقرب إليها؟

عرف أنه يفترض به المضي قدماً، التعافي، وضع المسألة وراءه. لقد قال له ذلك أصدقاؤه القليلون وأقاربه القليلون، وعرف أنه لو كان في الخارج ينظر إلى الداخل، لقال لذلك التيدي أن يستوعب الأمر، ويتحلى بالشجاعة، ويمضي قدماً في بقية حياته.

لكن، لفعل ذلك، عليه العثور على طريقة لوضع دولوريس على رف، والسماح لها بالامتلاء بالغبار على أمل أن يتراكم غبار كافٍ عليها لتمويه ذكراه لها، تمويه صورتها. إلى أن تصبح، يوماً ما، أقل من شخص عاش وأكثر من حلم امرأة.

يقولسون، تغلب عليها، عليك التغلب عليها، ولكن التغلب على ماذا؟ على هذه الحياة اللعينة! كيف يفترض بي إخراجك من عقلي. لم ينجح الأمر لغاية الآن، فكيف يفترض بي فعل ذلك؟ كيف يفترض بي التخلي عنك، هذا كل ما أسأله، أريد الإمساك بك

مجدداً، شم رائحتك مجدداً، ونعم، أريدك أيضاً أن تختفي. من فضلك
أن تختفي...

تمنى لو أنه لم يتناول أبداً تلك الحبتين. استيقظ تماماً عند الثالثة.
كان مستيقظاً تماماً يسمع صوته، مع لكنة بوسطن الخفيفة التي لا
تكشف نفسها في حربي "أيه" و"آر" بقدر حربي "إي" و"آر" بحيث
أحبته دولوريس في كلمات مهموسة. ابتسم في الظلمة، وهو يسمعها،
يرى أسنانها، أهدابها، الشهوة الكسولة في نظراتها صباح يوم الأحد.

تلك الليلة التقى بها في الكوكونات غروف. كانت الفرقة
الموسيقية تعزف لحناً قوياً، وأصبح الهواء فضياً بفعل الدخان، وكان
الجميع يرتدون أجمل الثياب؛ البحارة والجنود في أجمل بذلاتهم البيضاء،
والزرقاء، والرمادية، فيما وضع المدنيون ربطات عنق متفجرة بالأزهار،
وبذلات مزدوجة الصدر مع مناديل مثلثة مقحمة بترتيب في الجيوب،
والنساء، كانت النساء في كل مكان. رقصن حتى خلال توجههن إلى
غرفة التبرج. رقصن وهن يتحركن من طاولة إلى طاولة، ودرن على
رؤوس أصابعهن، فيما أشعلن السجائر وفتحن علب التجميل الصغيرة،
وانزلقن إلى المشرب وأرجعن رؤوسهن إلى الخلف للضحك، وكان
شعرهن لامعاً مثل الساتين يلتقط الضوء كلما تحركن.

كان سيدي هناك مع فرانكي غوردون، ضابط آخر من إنتل،
وبعض الرجال الآخرين، الذين سيغادرون جميعاً خلال أسبوع، لكنه
تخلّى عن فرانكي لحظة رآها، فتركه وسط الكلام، وتوجّه إلى حلبة
الرقص، أضاعها لبرهة بين الناس الذين يفصلون بينهما، بحيث كان
الجميع يتدافعون إلى الجانبين لإفساح المجال لبحار وامرأة شقراء ترتدي
ثوباً أبيض، فيما برمها البحار على ظهره، ثم رفعها فوق رأسه، وبرمها
وعاد لالتقاطها وهي تقبض، فأنزلها نحو الأرض، فيما صفق له

الجمهور، ثم لمح تيدي وميض فستانها البنفسجي مجدداً.
كان فستاناً جميلاً وكان اللون أول شيء لفت انتباهه. لكن هناك
الكثير من الفساتين الجميلة تلك الليلة، الكثير منها، وبالتالي ليس
الفستان الذي لفت انتباهه، وإنما الطريقة التي ارتدته بها، بعصية،
بوعي، لمستته بتفهم، سوتّه، وأعادت تسويته. ضغطت براحتي يديها
على حشوتي الكتفين.

كان مستعاراً، أو مستأجراً. لم ترتد أبداً مثل هذا الفستان من
قبل. أروعها. لدرجة لم تعرف ما إذا كان الرجال والنساء ينظرون إليها
بسبب الشهوة، أو الحسد، أو الشفقة.

لاحظت تيدي وهو يراقبها، فيما كانت تسحب إهامها عن رباط
حمالة الثديين. أخفضت عينيها، وتدفع اللون إلى الأعلى من حنجرتها، ثم
نظرت إلى الأعلى نحو تيدي، ونظر تيدي إلى عينيها وابتسم وقال لنفسه،
أشعر بالغباء في هذا اللباس أنا الآخر. لو أن هذه الفكرة تنتقل عبر
الأرض. ويبدو أنها فعلت، لأنها ابتسمت، ابتسامة غزل وامتنان في الوقت
نفسه، وترك تيدي فرانكي غوردون هناك، فيما كان فرانكي يتحدث
عن متاجر الغذاء في أيوا أو ما شابه، وفي الوقت الذي مرّ فيه أمام سياج
الراقصين، أدرك أنه لا يملك شيئاً ليقوله لها. ماذا سيقول؟ هل سيقول
فستاناً جميلاً؟ هل أطلب لك مشروباً؟ أم تملكين عينيّ جميلتين؟
قالت: "تائه؟".

دوره في الدوران. وجد نفسه ينظر إلى الأسفل، إليها. كانت
امرأة قصيرة لا يتعدى طولها خمس أقدام وأربعة إنشات في الكعب
العالي. جميلة جداً. ليس بطريقة جامحة مثل العديد من النساء الأخريات
الموجودات هناك، مع أنوف وشعر وشفاه مثالية. ثمة شيء مهمّل في
وجهها، عيناها بعيدتان ربما قليلاً عن بعضهما، وشفاتها عريضتان جداً

بحيث بدتا غير متناسقتين مع وجهها الصغير، وذقن غير واثق من نفسه.
قال: "قليلاً".

"حسناً، عمّ تبحث؟".

قالها قبل أن يفكر في منع نفسه: "عنك".

اتسعت عيناها، ولاحظ بقعة صغيرة برونزية في بؤبؤها الأيسر،
وشعر بالرجب يحتاج جسمه، فيما أدرك أنه فجّر الموضوع، فتصرف
مثل روميو الواثق جداً من نفسه.
عنك.

من أين جاء بهذه الكلمة بالله عليكم؟ ماذا كان...؟.

"حسناً". قالت...

أراد الركض. لم يتحمل النظر إليها ثانية أخرى.

"... على الأقل لم تضطر للمشي بعيداً".

شعر بابتسامة صغيرة تحتاج وجهه، وشعر أنه منعكس في عينيها.
أبله. أحمق. سعيد جداً للتنفس.

"لا أنستي، لا أظن ذلك".

قالت "يا الله!". وتراجعت إلى الخلف للنظر إليه، وضغطت بكأس
شراب العنب على أعلى صدرها.

"ماذا؟".

"أنت خارج المكان هنا تماماً مثلي، أليس كذلك أيها الجندي؟".

اتكأت على نافذة سيارة الأجرة، فيما جلست في المقعد الخلفي
مع صديقتها ليندا كوكس، وكانت ليندا منحنية إلى الأمام لإعطاء
العنوان للسائق، وقال تيدي: "دولوريس".

"إدوارد".

ضحك.

"ماذا؟".

رفع يده. "لا شيء".

"لا. ماذا؟".

"لا أحد يناديني إدوارد باستثناء أُمي".

"إذاً، تيدي".

أحب سماعها تلفظ الكلمة.

"نعم".

قالت مجدداً: "تيدي". وهي تجرّب الكلمة.

قال: "هاي ما اسم عائلتك؟".

"شانال".

رفع تيدي حاجبه عند سماع ذلك.

قالت: "أعرف. لا يتماشي الاسم مع بقيتي على الإطلاق. يبدو

متعجرفاً جداً".

"هل أستطيع الاتصال بك؟".

"هل تملك ذاكرة جيدة للأرقام؟".

ابتسم تيدي. "في الواقع...".

قالت: "وينتر هيل، ستة، أربعة، ثلاثة، أربعة، ستة".

وقف على الرصيف، فيما انطلقت سيارة الأجرة، وذكرى

وجهها البعيد مسافة إنش واحد عن وجهه - عبر نافذة سيارة الأجرة،

وعلى حلبة الرقص - عطلت دماغه تقريباً، وكادت تخرج اسمها

ورقمها من هناك.

قال لنفسه: هذا هو الحب إذاً. لا منطق فيه، فهو بالكاد يعرفها.

لكنها القصة نفسها. لقد التقى للتو بالمرأة التي عرفها، نوعاً ما، قبل أن

يولد. مقياس كل حلم لم يجزؤ أبداً على حلمه.

دولوريس. كانت تفكر فيه الآن في المقعد الخلفي المظلم، وتحسّ به مثلما يحسّ بها.

دولوريس.

كل ما احتاج إليه يوماً، وقد بات له اسم الآن. استدار تيدي في سريره، وتمدد للوصول إلى الأرض، وبحث حوله إلى أن عثر على دفتره وعلبة أعواد ثقاب. أشعل أول عود وحمله فوق الصفحة التي خربش عليها في العاصفة. أشعل أربعة أعواد ثقاب قبل أن يطابق الأحرف الصحيحة بالأرقام

18-1-4-9-5-4-19-1-12-4-23-14-5

R-A-D-I-E-D-S-A-L-D-W-N-E

لكن بعد الانتهاء من ذلك، لم يحتاج إلى وقت طويل لفك الرمز. عودا ثقاب إضافيان، وراح تيدي يحدّق إلى الاسم، فيما شقت اللهبه طريقها عبر الخشب وصولاً إلى أصابعه. آندرو لا يديز.

حين أصبحت أعواد الثقاب أكثر سخونة، نظر إلى تشاك، الذي ينام بعد سريرين، وتمنى ألا تتأثر مهنته. لا يفترض ذلك. سيتحمل تيدي كل اللوم. يفترض أن يكون تشاك بخير. يملك تلك الهالة عموماً، مهما حصل، يخرج تشاك غير مخدوش. نظر مجدداً إلى الصفحة، وألقى عليها نظرة سريعة، أخيرة قبل أن ينطفئ عود الثقاب.

سأجذك اليوم، آندرو. وإذا كنت لا أدين لدولوريس بحياتي، فإنني أدين لها بهذا على الأقل. سأجذك. سأقتلك.

اليوم الثالث

المريض السابع والستون

المنزلان خارج الجدار - منزل أمر السجن ومنزل كاولي - أصيبا بأضرار مباشرة. اختفى نصف سقف كاولي، وطار القرميد فوق كل المستشفى، مثل درس في التواضع. دخلت شجرة عبر نافذة غرفة الجلوس في منزل أمر السجن، واخترقت الخشب الرقائقي المثبت هناك للحماية، وباتت الجذور، وكل شيء وسط المنزل.

كان الجمع مليئاً بالأصداف وأغصان الأشجار مع إنش ونصف الإنش من الماء. سقف كاولي، بعض الجرذان الميتة، كومات من التفاح، وكل ذلك مغطى بالرمل. بدت قاعدة المستشفى وكأن أحداً فتتها بآلة ثقب الصخور، وخسر الجناح أربع نوافذ، وعدة أقسام من الصفائح المعدنية كانت ملتفة إلى الخلف على السقف. تحول اثنان من أكواخ الموظفين إلى قضبان، فيما سقطت أكواخ أخرى على جانبها. خسر مبنياً نوم المرضات والحراس، العديد من النوافذ، وعانت من بعض أضرار الماء بينها. بقي الجناح ب. بمنأى عن الأضرار، من دون أي أثر فيه. وفي كل الجزيرة، استطاع تيدي رؤية أشجار مقتلعة الرؤوس، فيما برز خشبها العاري مثل الرماح.

كان الهواء ساكناً مجدداً، وكثيفاً، ومليئاً. هطل المطر على نحو مطّرد. غطت الأسماك الميتة الشاطئ. عندما خرجوا للمرة الأولى في الصباح، كانت هناك سمكة مفلطحة تنقلب في النسيم، مع عين حزينة ومتورمة تنظر إلى الخلف، نحو البحر.

راقب تيدي وتشاك، ماكفرسون وحارساً يقلبان سيارة جيب عن جانبها. حين شغلا المحرك، اشتغل في المرة الخامسة، أرجعا السيارة إلى الخلف عبر البوابات، ورآهما تيدي بعد دقيقة، يسرعان في الطريق خلف المستشفى باتجاه الجناح ج.

دخل كاوي إلى المجمع، وتوقف لالتقاط قطعة من سقفه والتحديد إلىها قبل رميها مجدداً على الأرض المليئة بالماء. مرّت عيناه أمام تيدي وتشاك مرتين قبل أن يتعرف إليهما في ثيابهما البيضاء الخاصة بالحراس والمعاطف السوداء والقبعات السوداء. وجّه إليهما ابتسامة ساحرة، وبدا أنه على وشك الاقتراب منهما، حين خرج من المستشفى طبيب يضع مسماً حول عنقه وركض إليه.

"اختفى الرقم اثنان. لا يمكننا إعادته. علينا العثور على هذين الاثنين. سيموتان، جون".

"أين هاري؟".

"هاري يعمل على الأمر، لكنه لا يستطيع الحصول على شحنة. ما نفع الاحتياط إذا كان لا يوفر احتياطاً لأي شيء؟".
"حسناً. فلندخل إلى هناك".

دخلوا بسرعة إلى المستشفى، وقال تيدي: "هل تعطل مولّد الكهرباء الاحتياطي؟".

قال تشاك: "يبدو أن مثل هذه الأمور تحدث في إعصار".

"هل ترى أي أضواء؟".

نظر تشاك حوله إلى النوافذ. "لا".

"هل تظن أن النظام الكهربائي كله تعطل؟".

قال تشاك: "احتمال كبير".

"يعني ذلك أسوأ".

التقط تشاك تفاحة طافت عند قدمه. قذفها في الهواء، ثم ركلها بساقه نحو الجدار. "الضربة الأولى!". استدار نحو تيدي. "يعني ذلك أسواراً، نعم".

"كل الجهاز الأمني الإلكتروني. بوابات. أبواب".

قال تشاك: "أوه، يا الله، ساعدنا!". التقط تفاحة أخرى، وقذفها فوق رأسه ليلتقطها وراء ظهره. "تريد الدخول إلى ذلك الحصن، أليس كذلك؟".

أحنى تيدي وجهه تحت المطر الخفيف. "يوم مثالي لذلك".

ظهر أمر السجن، وقد دخل في سيارة إلى المجمع مع ثلاثة حراس، فيما تطاير الماء من الدواليب. لاحظ أمر السجن تشاك وتيدي يقفان في الفناء الخارجي، وبدأ أن الأمر أزعجه. أدرك تيدي أنه اعتقد أنهما حارسان، تماماً مثلما فعل كاولي، وانزعج لأنهما لا يحملان رفسين، أو مضختي ماء في أيديهما. إلا أنه مرّ أمامهما ورأسه مندفَع إلى الأمام، للتركيز على أشياء أكثر أهمية. أدرك تيدي أنه عليه سماع صوت الرجل، وتساءل إذا كان أسود بقدر شعره، أو شاحباً بقدر بشرته.

قال تشاك: "يجدر بنا الذهاب إذاً. لن يستمر الوضع هكذا إلى الأبد".

بدأ تيدي المشي نحو البوابة.

لحق به تشاك. "أود الصغير، لكن فمي جاف جداً".

قال تيدي بصوت خافت: "خائف؟".

"أعتقد أن الكلمة الصحيحة هي مدعور سيدي". ألقى التفاحة إلى قسم آخر من الجدار.

اقتربا من البوابة، وكشف الحارس هناك عن وجه صبي صغير وعينين قاسيتين. قال: "يجدر بكل الحراس التوجه إلى السيد ويليس في المكتب الإداري. أنتم مسؤولان عن التنظيفات".

نظر تشاك وتيدي إلى قميصي وسروالي بعضهما البيضاء.

قال تشاك: "عجة بالبيض".

أوماً تيدي برأسه. "شكراً. كنت أتساءل. للغداء؟".

"شرائح لحم رفيعة".

استدار تيدي نحو الحارس، وأظهر له بطاقته. "لا تزال ملابسنا في

المصبغة".

ألقى الحارس نظرة على بطاقة تيدي، ثم نظر إلى تشاك وانتظر.

تهند تشاك، وأخرج محفظته، وفتحها تحت أنف الحارس.

قال الحارس: "ماذا تفعلان خارج الجدار؟ تم العثور على المريضة

المفقودة".

قرر تيدي أن أي شرح سيجعلهما يبدوان ضعيفين ويضع ميزان

القوة في يد ذلك الحقيق. عرف تيدي العشرات من هؤلاء الرجال

خلال الحرب. لم يعد معظمهم إلى منازلهم، وتساءل تيدي غالباً، إذا

اكثرث أحد فعلاً لأمرهم. لا يمكنك التعامل مع مثل هذا الأحق، ولا

يمكنك تعليمه أي شيء. لكنك تستطيع دعمه، إذا، فهمت أن الشيء

الوحيد الذي يحترمه هو القوة.

تقدم تيدي نحو الرجل، وفتش في وجهه، وارتسمت ابتسامة

صغيرة على زاوية شفتيه، وانتظر حتى نظر الرجل إلى عينيه.

قال تيدي: "نحن نقوم بجولة".

"لا تملكان تفويضاً".

"بلى غملك". اقترب تيدي منه أكثر بحيث توجب على الصبي

رفع عينيه إلى الأعلى. استطاع شم نفسه. "نحن مارشلان فدراليان في

مرفق فدرالي. هذا تفويض من... نفسه. لا نجيب عن أسئلتك، لا

نشرح لك. يمكننا توجيه الرصاص إلى قضيبك، أيها الصغير، وما من

محكمة في البلاد سترفع ضدنا قضية". اقترب تيدي مسافة نصف إنش إضافي. "لذا، افتح لنا البوابة اللعينة".

حاول الصبي التحديق إلى عيني تيدي. ابتلع لعابه. حاول جعل عينيه قاسيتين.

قال تيدي: "أكرر: افتح تلك...".
"حسناً".

قال تيدي: "لم أسمعك".
"حاضر سيدي".

استمر تيدي في النظر بقساوة إلى وجه الولد لثانية إضافية، وزفر الهواء بصوت عالٍ عبر منخريه.

"جيد كفاية أيها الصغير. هوو - آه".

قال الولد بطريقة عفوية: "هوو - آه". وانتفخت تفاحة آدم في عنقه.

برم مفتاحه في القفل، وفتح البوابة، ودخل تيدي عبرها من دون النظر إلى الخلف.

استدارا إلى اليمين، ومشيا بمحاذاة الجهة الخارجية للجدار لبعض الوقت وقال تشاك: "لمسة رائعة مع الهوو - آه".

نظر تيدي إليه. "أحببت ذلك أنا أيضاً".
"كنت ضابطاً مخيفاً، أليس كذلك؟".

"كنت أمر كتيبة مع مجموعة من الأولاد تحت أمرتي. مات نصفهم في ريعان الشباب. لا يمكنك التعاطي معهم بلطافة لكسب الاحترام، وإنما عليك إخافتهم".

"نعم حضرة الضابط. مفهوم تماماً". ضرب له تشاك التحية. "حتى مع وجود القوة، تذكر أن هذا حصن نحاول التسلل إليه، أليس كذلك؟".

"لم يغب الأمر عن بالي".
"هل لديك أي فكرة؟".
"لا".

"هل تظن أنهم يملكون خندقاً مائياً؟ لا بد من وجود شيء كهذا".

"بعض أنابيب الغاز الساخن ربما في الجدران ذات الفتحات".
قال تشاك: "القناطر. إذا كانت هناك قناطر، تيدي...".
"ونحن من دون السلاسل".

تجاوزا شجرة أسقطتها العاصفة، وكانت الأرض موحلة وزلقة بالأوراق المبللة. عبر النباتات المتناثرة أمامهما، استطاعا رؤية الحصن، وجدرانه الرمادية الكبيرة، ورؤية المسارات من خلال علامات إطارات السيارات رباعية الدفع التي كانت تتحرك جيئة وذهاباً طوال الصباح.
قال تشاك: "يملك ذلك الحارس وجهة نظر".
"وكيف ذلك؟".

"الآن بعد العثور على راشايل، لم يعد تفويضنا بالوجود هنا ساري المفعول. إذا تم كشفنا، سيدي، لا مجال أبداً للتوصل إلى تبرير منطقي".

أحسّ تيدي بشغب الخضار المفتت والمتناثر في عمق عينيه. شعر بالإرهاق، والقليل من الدوار. فلم يحصل الليلة الماضية إلا على أربع ساعات من النوم الناجم عن تناول العقاقير والمليء بالكوابيس. تساقط رذاذ المطر على أعلى قبعته، واجتمع حول الحافة. طنّ دماغه، بطريقة خفيفة، وإنما مستمرة. إذا وصل المركب اليوم - وهو يشك في ذلك - ثمة جزء فيه يريد القفز على المركب والذهاب بعيداً. الابتعاد عن هذه الصخرة اللعينة. ولكن من دون نتيجة واضحة لهذه الرحلة، سواء أتمثل

ذلك في دليل للسيناتور هورلي أو في شهادة موت لايديز، يكون أخفق في مهمته. لا يزال يفكر في الانتحار، ومع هذا العبء الإضافي على ضميره، لا يكون فعل أي شيء للتغيير.

فتح دفتره الصغير. "كومات الصخور تلك التي تركتها لنا راشايل البارحة. هذا هو الرمز المكسور". أعطى الدفتر إلى تشاك. طوق تشاك الدفتر بيده، وأبقاه قريباً من صدره. "إنه موجود هنا إذاً".

"إنه هنا".

"إن المريض السابع والستين هنا برأيك؟".
"هذا ما أظنه".

توقف تيدي وسط منحدر موحل. "يمكنك العودة تشاك. لست مجبراً على التورط".

نظر تشاك إليه، وأغلق الدفتر في يده. "نحن مارشلان، تيدي. ماذا يفعل المارشالات دوماً؟".

ابتسم تيدي. "يقتحمون الأبواب".

قال تشاك: "أولاً، نفتحم الأبواب ثانياً، لا ننتظر حتى يدعمنا بعض رجال شرطة المدينة إذا كان هذا تبديداً للوقت. نفتحم ذلك الباب اللعين".

"نعم، صحيح".

قال تشاك: "حسناً، إذاً". وأعاد له الدفتر، وتابعاً طريقهما نحو الحصن.

عند النظر إليه عن قرب، لم يعد أي شيء يفصلهما عنه باستثناء صف شجيرات وحقل صغير، وقال تشاك ما كان تيدي يفكر فيه:

"لقد قضى علينا".

جدار السايكلون الذي كان يحيط عادة بالحصن تحطم إلى أجزاء عدة على الأرض. وقعت أجزاء منه على الأرض، فيما تطايرت أجزاء أخرى فوق الأشجار البعيدة، وارتاحت الأجزاء الأخرى في مواقع أخرى متناثرة.

إلا أن الحراس المسلحين تحولوا حول محيط الحصن. قام العديد منهم بجولات منتظمة في السيارات رباعية الدفع. قام عدد من العمال بجمع النفايات المكسدة حول الحصن من الجهة الخارجية، فيما قامت مجموعة أخرى منهم بإزالة شجرة كبيرة وقعت على جدار. لا يوجد خندق مائي، لكن هناك باباً واحداً فقط، باباً أحمر صغيراً من الحديد المثبت وسط الجدار. وقف الحراس أمام الباب، وحملوا البنادق على أكتافهم وصدورهم. كانت النوافذ القليلة الصغيرة المفتوحة في الحجر مطوقة بالقضبان. لا يوجد مرضى مكبلون أو غير مكبلين خارج الباب، سواء أكانوا هناك فقط حراس وعمال بأعداد متساوية.

رأى تيدي اثنين من الحراس يتنحيان جانباً، فيما وقف عدد من العمال على الشرفات ذات الفرجات، ونادوا أولئك الواقفين على الأرض للابتعاد قليلاً. حملوا نصف شجرة إلى حافة السقف، ثم دفعوها جيئةً وذهاباً إلى أن تمايلت هناك. اختفوا بعدها، ووقفوا خلف الشجرة ودفعوها إلى الأمام، فتمايل نصف الشجرة إلى الأمام بضع أقدام، ثم انطلقت الشجرة إلى الأمام وصرخ الرجال، فيما وقعت إلى الأسفل، وتحطمت على الأرض. عاد العمال للوقوف عند حافة السقف، ونظروا إلى الأسفل ثم تصافحوا، وربتوا على أكتاف بعضهم بعضاً.

قال تشاك: "لا بد من وجود قناة من نوع ما، أليس كذلك؟ للتخلص من الماء أو النفايات ورميها في البحر، يمكننا الدخول بهذه الطريقة".

هزّ تيدي رأسه. "ولم نزرع أنفسنا؟ سندخل مباشرة".
"أوه، مثلما خرجت راشايل من الجناح ب؟ فهمت. نحصل على
بعض تلك البودرة العجيبة التي لديها. فكرة جيدة".
قطب تشاك حاجبيه، ولمس تيدي ياقة معطفه. "نحن لا نرتدي
ثياب المارشالات، تشاك. هل فهمت ما أقصده؟".
نظر تشاك إلى العمال الواقفين حول محيط الحصن، وراقب
أحدهم يخرج من الباب الحديدي مع فنجان قهوة في يده، فيما الدخان
يتصاعد من الكوب على شكل أفاعٍ ملتوية.
"آمين". قال. "آمين يا أخي".

دخنا السحائر وتحدثنا عن أمور تافهة لبعضهما بعضاً، فيما مشيا
في الطريق المؤدية إلى الحصن.
في منتصف الحقل، التقيا بحارس، يحمل بندقيته بكسل تحت ذراعه
ويوجهها نحو الأرض.
قال تيدي: "لقد أرسلونا إلى هنا. ثمة شجرة على السقف".
نظر الحارس إلى الخلف فوق كتفه. "لا. لقد اهتموا بأمرها".
"أوه، رائع". قال تشاك، وبدأ يمشي في طريق العودة.
"أوه، انتظرا". قال الحارس. "لا يزال هناك الكثير من العمل
الواجب إنجازه".
استدارا مجدداً.

قال تيدي: "هناك ثلاثون رجلاً يعملون في ذلك الجدار".
"نعم، لكن توجد في الداخل فوضى رهيبية. لا تستطيع عاصفة
تدمير مثل هذا المكان، لكنها استطاعت بالرغم من ذلك الوصول إلى
داخله. تعرفان؟".

قال تيدي: "أوه طبعاً".

قال تشاك للحارس المتكى على الجدار قرب الباب. "أين تفاصيل التنظيف؟".

أشار بإيمامه، وفتح الباب، ودخلا عبره إلى قاعة الاستقبال.
قال تشاك: "لا أريد أن أبدو ناكراً للجميل، لكن، هذا كان سهلاً جداً".

قال تيدي: "لا تستخف بالأمر. أحياناً يخالفك الحظ".
أغلق الباب وراءهما.
قال تشاك مع ارتجاج بسيط في صوته: "الحظ، هل نسميه هكذا؟".

"نعم، نسميه هكذا".
أول شيء لفت انتباه تيدي كانت الروائح. رائحة مطهر
اصطناعي قوي يعمل بأقصى فاعليته لإخفاء رائحة التقيؤ والبراز
والعرق، وخصوصاً، البول.

ثم صدح الضجيج من القسم الخلفي للمبنى، وصوت أقدام
تنزل الدرج، من الأسفل ركضاً، أصوات صراخ مدوية عبر الجدران
السميكة والهواء الرطب، صرخات قوية ومفاجئة تنقب الأذن، ثم
تموت، العويل لعدة أصوات مختلفة تصدر كلها دفعة واحدة.

صرخ أحدهم: "لا يمكنك أيها اللعين! لا يمكنك فعل ذلك! هل
تسمعي؟ لا يمكنك. ابتعد...". ثم تلاشت الكلمات.

في مكان ما فوقهم، عند منبسط الدرج الحجري تقريباً، أنشد
رجل ما: "مئة قنينة من شراب الشعير على الجدار". انتهى بالقنينة
السابعة والسبعين، وبدأ بالقنينة السادسة والسبعين.

ثمة آلتان للقهوة على طاولة جانبية مع كومات من الأكواب الورقية، وبعض أكواب الحليب. جلس حارس على طاولة أخرى قرب قاعدة الدرج، ونظر إليهما وابتسم.
"المرّة الأولى، أليس كذلك؟".

نظر تيدي إليه بطريقة عادية، فيما استبدلت الأصوات القديمة بأخرى جديدة، وصدح المكان بأكمله بنوع من الفوضى الصوتية التي تصم الآذان في كل اتجاه.
"نعم، سمعنا قصصاً ولكن...".

قال الحارس: "ستتأدّان على ذلك. تتأدّان على كل شيء".
"أليست هذه الحقيقة؟".

قال: "إذا كان الرجال لا يعملون على السقف، يمكنكم تعليق المعطفين والقبعتين في الغرفة التي ورائي".
قال تيدي: "قالوا لنا إن عملنا على السطح".

قال الحارس: "ومن سيرشدكم؟ اتبعوا هذه السلام. لقد كبّلنا معظم المجانين بأسرّهم، لكن بعضهم لا يزالون طليقين. إذا رأيتم أحداً، تصرّحان، اتفقنا؟ ومهما فعلتما، لا تحاولا أبداً تقييده لوحّدكما. ليس هذا الجناح أ. هل تعرفان؟ يستطيع هؤلاء المجانين قتلكما. مفهوم؟".
"مفهوم".

صعدا السلام، وقال الحارس: "انتظرا دقيقة".
توقفا، ونظرا نحوه إلى الأسفل.
كان يبتسم، وأشار بإصبعه إليهما.
انتظرا.

"أعرفكما أيها الرجلان". ثمة لحن ناعم في صوته.

لم يتفوه تيدي بكلمة. لم يتفوه تشاك بكلمة.
كرر الحارس: "أعرفكما أيها الرجلان".
نبح تيدي في القول: "حقاً".
"نعم. أنتما الرجلان اللذان علقا بتنظيف السقف في المطر
اللعين". ضحك، ومدد الإصبع، ونقر على الطاولة بيده الأخرى.
قال تشاك: "هذا نحن. هاها".
قال الحارس: "ها، اللعنة، ها!".
أشار تيدي إليه وقال: "لقد نلت منا أيها الصديق". ثم استدار نحو
السلام. "لقد عرفتنا فعلاً".

رافقتهما ضحكة الغبي على السلام.
توقفا عند أول منبسط درج. واجها قاعة كبيرة مع سقف مقوَّس
من النحاس المطروق، وأرضية داكنة مصقولة لدرجة تحولت إلى مرآة.
عرف تيدي أنه يستطيع رمي كرة بايسبول أو واحدة من تفاحات
تشاك من حيث هو، وعدم بلوغ الطرف الآخر من الغرفة. كانت
الغرفة فارغة والبوابة التي أمامهما مفتوحة جزئياً، وشعر تيدي بحركة
فئران بين ضلوعه، فيما دخل إلى الغرفة لأنها ذكَّرتَه بالغرفة في حلمه،
تلك التي قدَّم إليه فيها لايديز كأساً وذبحت راشايل أولادها. إنها الغرفة
نفسها تقريباً، تلك التي في حلمه كانت لها نوافذ عالية، مع ستائر
سميكة، وأشعة ضوء، وأرضية خشبية، وثريات ثقيلة، لكنها شبيهة جداً
بهذه.

رَبَّت تشاك يده على كتفه، وأحسَّ تيدي بنقاط العرق المتصبية
على جانب عنقه.

"أكّرر". همس تشاك مع ابتسامة ضعيفة: "هذا سهل جداً. أين
الحارس عند هذه البوابة؟ ولماذا هي غير مقفلة؟".

استطاع تيدي رؤية راشايل، بشعرها المتطاير وصراخها، فيما ركضت عبر الغرفة مع ساطور.
"لا أعرف".

انحنى تشاك إلى الأمام، وهمس في أذنه: "هذه مهمة سهلة جداً سيدي".

بدأ تيدي اجتياز الغرفة. ألمه رأسه من قلة النوم، من المطر، من الصراخ، وأصوات الأقدام المتسارعة فوقه. أمسك الصبيان والفتاة بأيدي بعضهم بعضاً، ونظروا فوق أكتافهم، مذعورين.

استطاع تيدي سماع المريض يغني مجدداً: "... تنزل واحدة إلى الأسفل، تمررها، أربع وخمسون قنينة شراب شعير على الجدار".

ومضت الصورة أمام عينيه. الصبيان وتلك الفتاة، يسبحون في الهواء الطافي، واستطاع تيدي رؤية تلك الحبوب الصفراء التي وضعها كاولي في يده الليلة الماضية، وشعر بالقليل من الغثيان في معدته.
"أربع وخمسون قنينة شراب شعير على الجدار، أربع وخمسون قنينة...".

"علينا العودة فوراً، تيدي. علينا المغادرة. هذا سيئ. يمكنك الإحساس بذلك. يمكنك الإحساس بذلك".

في الطرف الآخر من القاعة، قفز رجل من الباب.
كان حافي القدمين وعاري الصدر، يرتدي فقط سروال بيجاما أبيض اللون. كان حليق الرأس، لكن استحالت رؤية بقية قسماته في الضوء الخفيف.

قال: "مرحباً".

مشى تيدي بوتيرة أسرع.

قال الرجل: "التقطتك! أنت هو!". وقفز من الباب.

لحق تشاك بتيدي: "سيدي، بالله عليك".

كان هنا، لايديز، في مكان ما. استطاع تيدي الإحساس به. وصلاً إلى نهاية القاعة، ووجدا منبسطةً حجرياً عريضاً وسلاماً ينحدر بقوة في الظلمة، وسلاماً آخر يرتفع نحو الصراخ والثرثرة، التي باتت عالية جداً الآن، واستطاع تيدي سماع أصوات طقطقة السلاسل والمعادن. سمع أحدهم يقول: "الفواتير! الآن، أيها الرجل! اهدأ! لا يمكنك الهروب. هل تسمعي؟".

سمع تيدي شخصاً يتنفس قربه. أدار رأسه إلى اليسار، وأصبح حليق الرأس بعيداً عنه مسافة إنش واحد الآن. قال الرجل: "أنت هو!". ونقر على ذراع تيدي بالسبابة. نظر تيدي إلى وجه الرجل.

قال تيدي: "أنا هو".

قال الرجل: "طبعاً. أنا قريب جداً. يمكنك فقط برم معصمك، وأكون أنا هو مجدداً، ثم أبرم معصمي وتكون أنت هو مجدداً، ونستطيع الاستمرار هكذا لساعات، أو حتى طوال النهار، ويمكننا التناوب على التحول إلى هو، مراراً وتكراراً، من دون حتى استراحة للغداء، أو حتى استراحة للعشاء، ويمكننا المضي قدماً وقدماً".

قال تيدي: "وأي متعة في ذلك؟".

"هل تعرف من يوجد هناك؟". أشار الرجل برأسه إلى السلام. "في البحر؟".

قال تيدي: "السماك؟".

أوماً الرجل برأسه. "السماك. جيد جداً. السمك، نعم. الكثير من السمك. ولكن، نعم، السمك، جيد جداً، السمك، نعم، ولكن أيضاً، أيضاً؟ غواصات. نعم. هذا صحيح. غواصات سوفياتية. على

مسافة مئتي ميل أو ثلاثمائة ميل من شواطئنا. نسمع ذلك، صحيح؟ أخبرونا. طبعاً. واعتدنا على الفكرة. ننسى، طبعاً. أقصد حسناً، هناك غواصات. شكراً على المعلومات. تصبح جزءاً من وجودنا اليومي. نعرف أنها هناك، لكننا نتوقف عن التفكير في ذلك. صحيح؟ لكنها موجودة هناك، وهي مسلّحة بالصواريخ. وهي توجه صواريخها نحو نيويورك، وواشنطن، وبوسطن. وهي هناك. قابعة. هل يزعجك ذلك؟".

استطاع تيدي سماع تشاك قربته يتنفس ببطء، وينتظر تلميحات منه. قال تيدي: "مثلما قلت، أفضل عدم التفكير في الأمر كثيراً". "مم". أوماً الرجل برأسه. مشط الشعيرات في ذقنه. "نسمع أشياء هنا. لا تظنان ذلك، صحيح؟ لكننا نسمع. يأتي رجل جديد، يخبرنا بأشياء. يتحدث الحراس، أنت، العمال يتحدثون. نحن نعرف، نحن نعرف. عن العالم الخارجي. عن اختبارات القنبلة الهيدروجينية، والجزر المرجانية. هل تعرف كيف تعمل القنبلة الهيدروجينية؟". قال تيدي: "باليهيدروجين؟".

"جيد جداً. ذكي جداً. نعم، نعم". أوماً الرجل برأسه مرات عدة. "باليهيدروجين، نعم. ولكن أيضاً، أيضاً، ليس مثل القنابل الأخرى. تسقط قنبلة، حتى القنبلة الذرية، وتنفجر. صحيح؟ تماماً حيث أنت. لكن القنبلة الهيدروجينية تنفجر داخلياً. تقع على نفسها وتشهد سلسلة من التفككات الداخلية، والانفجارات والانفجارات. لكن، كل هذا الانفجار يولّد كتلة وكثافة. هل تفهم؟ إن غضب التدمير الذاتي يولّد وحشاً جديداً بالكامل. فهمت ذلك؟ صحيح؟ كلما كان التفكك أكبر، كان التدمير الذاتي أكبر، وأصبح أكثر قوة. وبعدها، حسناً، حسناً: الانفجار اللعين! فقط... بانغ، بوم، ووش. في غياب ذاتها،

تنتشر. تولّد انفجاراً خارجياً وانفجاراً ضمناً يكون مدمراً مئة مرة، ألف مرة، مليون مرة أكثر من أي قنبلة أخرى في التاريخ. هذا هو إرثنا. ولا تنسَ ذلك". ربّت على ذراع تيدي مرات عدة، تربّيات خفيفة، كما لو أنه ينقر على الطبلّة بأصابعه. "أنت هو! إلى الدرجة العاشرة. هيبّي!".

قفز على السلام المظلمة، وسمعه يصرخ بلامو في أثناء نزوله. "... تسعة وأربعون قنينة شراب شعير! تأخذ واحدة إلى الأسفل...".

نظر تيدي إلى تشاك. كان وجهه رطباً، وزفر الهواء بعناية عبر فمه. قال تيدي: "أنت محق. فلنخرج من هنا". "الآن اعترفت".

جاء الصوت من أعلى السلام:

"فليساعدي أحد هنا! بالله عليكم!".

نظر تيدي وتشاك إلى الأعلى، ورأيا رجلين ينزلان السلام بسرعة كبيرة. ارتدى أحد الرجلين ملابس الحراس الزرقاء، فيما ارتدى الرجل الآخر ملابس المرضى البيضاء، وتوقفا عند منحني السلام، عند أعرض درجة.

رفع المريض يده، وأقحمها في وجه الحارس مباشرة تحت عينه اليسرى، وانتزع قطعة من اللحم، فصرخ الحارس، وأرجع رأسه إلى الخلف.

ركض تيدي وتشاك على السلام. رفع المريض يده مجدداً، لكن تشاك أمسكها عند المعصم.

مسح الحارس عينه، ولطّخ ذقنه بالدم. استطاع تيدي سماع تنفسهم هم الأربعة، وسمع أغنية شراب الشعير البعيدة، علماً أن المريض

أصبح في القنينة الثانية والأربعين الآن، وبدأ ينتقل إلى القنينة الواحدة والأربعين، ثم رأى الرجل تحته وقد فتح فمه كثيراً، وقال: "تشاك، انتبه". وضرب بكعب يده جبين المريض قبل أن يتمكن هذا الأخير من قضم معصم تشاك.

قال للحارس: "عليك الابتعاد عنه، هيا، ابتعد عنه".

أفلت الحارس نفسه من ساقى المريض وتراجع درجتين إلى الخلف. جاء تيدي فوق المريض وضربه بقوة على كتفيه، وثبته على الحجر، ونظر إلى الخلف فوق كتفه إلى تشاك، وطارت العصا بينهما، فحلقت في الهواء مع صوت صفير، وانكسرت على أنف المريض. أحسّ تيدي أن الجسم الذي تحته ينهار وقال: "يا الله!". تمايل الحارس مجدداً، واستدار تيدي نحو جسم المريض، وثبت الذراع بمرفقه.

نظر إلى وجهه الملطخ بالدم. "هاي! هاي! إنه بارد. هاي!".
إلا أن الحارس استطاع شمّ رائحته دمه. رفع العصا إلى الأعلى.
قال تشاك: "انظر إلي! انظر إلي!".
نظر الحارس بعينه إلى وجه تشاك.

"اصمد. هل تسمعي؟ اصمد. تمت السيطرة على المريض". أفلت تشاك معصم المريض، ووضع ذراعه على صدره. اتكأ تشاك على الجدار، وبقي يحدّق إلى الحارس. قال بهدوء: "هل تسمعي؟".
أخفض الحارس عينيه، وأنزل العصا. لمس الجرح في جبينه بقميصه، ثم نظر إلى الدم المتناثر على القماش. "لقد مزّق وجهي".
انحنى تيدي إلى الأمام، ونظر إلى الجرح. لقد رأى أسوأ منه بكثير. لن يموت الرجل منه أو من أي شيء. لكنه جرح بشع. لن يستطيع أي طبيب تقطيعه جيداً.

قال: "ستكون بخير. مجرد قطبتين".
استطاع أن يسمع تحطم عدد من الأجسام وبعض المفروشات فوقهم.

قال تشاك: "أنتم تواجهون حالة شغب؟".
استنشق الحارس الهواء، وأخرجه عبر فمه إلى أن عاد اللون إلى وجهه. "تقريباً".

سأل تشاك بمرح: "هل يحاول المجانين الاستيلاء على المصح؟".
نظر الرجل إلى تيدي بعناية، ومن ثم إلى تشاك. "ليس بعد".
أخرج تيدي منديلاً من جيبه، وأعطاه للرجل.
أوماً الرجل برأسه، علامة شكر، وضغط بالمنديل على وجهه.
رفع تشاك معصم المريض مجدداً، وراقبه تيدي وهو يتحسس نبضه.
أخفض المعصم، وأنزل أحد جفني الرجل. نظر إلى تيدي. "سيعيش".
قال تيدي: "فلنساعده على النهوض".

وضعا ذراعي المريض حول كتفيهما، ولحقا بخطى الحارس. لا يزن كثيراً، لكن السلا لم طويلة، واستمرت أعلى قدميه بالارتطام بقوائم الدرجات. حين وصلوا إلى الأعلى، استدار الحارس، وبدأ أكبر سناً، وربما أكثر ذكاء.

قال: "أنتما المارشلان".

"ماذا؟".

أوماً برأسه. "أنتما المارشلان. رأيكما حين وصلتما". وجهه إلى تشاك ابتسامة صغيرة. "تلك الندبة على وجهك، تعرف؟".
تنهد تشاك.

قال الرجل: "ماذا تفعلان هنا؟".

قال تيدي: "ننقذ وجهك".

رفع الرجل المندبل عن جرحه، ونظر إليه، ثم ضغط به على وجهه مجدداً.

قال: "الرجل الذي أمسكتما به؟ بول فنجيس. من ويست فيرجينيا. قتل زوجة أخيه وابنتين، فيما كان أخوه يخدم في كوريا. وضعهن في الطابق الأرضي، ممتعاً نفسه، فيما كانت الجثث تتعفن".
قام تيدي رغبتة في إفلات ذراع فنجيس، وتركه يسقط على السلام.

"الحقيقة هي". قال الرجل ونحج حنجرته: "الحقيقة هي أنه سيطر علي". نظر إلى عيونهما وكانت عيناه حمراوين.
"ما اسمك؟".

"بايكر. فريد بايكر".

صافحه تيدي. "اسمع، فريد؟ هاي، نحن مسروران لأننا استطعنا المساعدة".

نظر الرجل إلى حذائه، ورأى بقع الدم هناك. "مجدداً، ماذا تفعلان هنا؟".

قال تيدي: "نقوم بجولة. لدقيقتين ثم نذهب".

أخذ الرجل بعض الوقت للتفكير في ذلك، واستطاع تيدي الإحساس بالسنتين الماضيتين من حياته؛ خسارة دولوريس، البحث عن لايديز، اكتشاف هذا المكان، مصادفة جورج نويس وقصصه عن المخدرات وتجارب جراحة الدماغ، والاتصال بالسيناتور هوري، وانتظار الوقت الصحيح لعبور المرفأ تماماً مثلما تم الانتظار، لعبور القناة الإنكليزية إلى النورماندي؛ تذكر كل ذلك، فيما انتظره الرجل.

قال الرجل: "تعرفان. عملت في عدد من الأماكن الأخرى، في سجون، حبس انفرادي، مكان آخر كان مستشفى للمجانين

المجرمين...". نظر إلى الباب، واتسعت عيناه، كما لو أنه يتشاءب لكنّ
فمه لم يفتح. "نعم. عملت في بعض الأماكن. لكن، هذا المكان؟".
وجّه إلى كل منهما نظرة طويلة. "يكتبون قصصهم الخاصة هنا".
حدّق إلى تيدي، وحاول تيدي قراءة الجواب في عيني الرجل،
لكن النظرة كانت متنوعة كثيراً، وباهتة وقديمة.
"لديقتين؟". أوماً الرجل لنفسه. "حسناً. لن يلاحظ أحد في هذه
الفوضى اللعينة. خذا دقيقتين ثم اخرجنا من هنا. اتفقنا؟".
قال تشاك: "طبعاً".
"وهاي". وجه إليه الرجل ابتسامة صغيرة، فيما وصل إلى الباب.
"حاولا ألا تموتا خلال هاتين الدقيقتين. اتفقنا؟ سأقدّر ذلك".

دخلا عبر الباب، ووصلا إلى غرفة لها جدران من الغرانيت الأسود وأرضية من الغرانيت امتدت على طول الحصن تحت قناطر عرضها عشر أقدام وطولها أربع عشرة قدماً. النوافذ الطويلة على جانبي الأرضية، وفرت الضوء الوحيد، وتساقط الماء من السقف، وكانت الأرضيات مليئة ببقع الماء. امتدت الزنانات على اليمين واليسار، وكانت مدفونة في الظلمة.

قال بايكر: "انفجر مولد الكهرباء الأساسي قرابة الساعة الرابعة اليوم. يتم التحكم بأقفال الزنانات بطريقة إلكترونية. هذا أحد أحدث ابتكاراتنا". فكرة رائعة، أليس كذلك؟ هكذا، فُتحت كل الزنانات عند الساعة الرابعة. لحسن الحظ أننا لا نزال نستطيع التحكم بهذه الأقفال يدوياً، ولذلك أعدنا معظم المرضى إلى الداخل وجبسنهم في الزنانات، لكن، ثمة شخص يملك مفتاحاً. ينجح في التسلسل والوصول إلى زنانة واحدة، على الأقل، قبل أن يهرب مجدداً".

قال تيدي: "ربما رجل أصلع؟".

نظر بايكر إليه. "رجل أصلع؟ نعم. إنه واحد لا نستطيع الاعتماد عليه. تصوّرت أنه قد يكون هو. اسمه ليتشفيلد".

"إنه يلعب في ذلك الدرج الذي صعدنا منه. في النصف السفلي".
أخذهما بايكر إلى الزنانة الثالثة على اليمين وفتحها. "ارمياه هنا".

احتاجا إلى بضع ثوانٍ للعثور على السرير في الظلمة، ثم نقر بايكر على ضوء ومضي، ووجه الضوء إلى الداخل، فيما وضعنا فنجيس على السرير وتأوه ألماً وتدفق الدم من منخريه.

قال بايكر: "عليّ إحضار بعض الدعم والبحث عن ليتشفيلد. الطابق الأرضي هو حيث نضع الرجال الذين لا نطعمهم إلا في حال وجود ستة حراس في الغرفة. إذا أفلتوا، تحصل ثورة حقيقية هنا".

قال تشاك: "أحضر مساعدة طبية أولاً".

عثر بايكر على قطعة غير ملطخة بالدم في منديله، وضغط بها على الجرح. "لا أملك الوقت".

قال تشاك: "لا".

نظر بايكر إلى الداخل عبر القضبان. "نعم. حسناً. سأعثر على طبيب. وأنتم الاثنان؟ تدخلان وتخرجان في وقت قياسي. اتفقنا؟".

قال تشاك فيما غادرا الزنزانة: "اتفقنا. أحضر طبيباً للرجل".

أقفل بايكر باب الزنزانة. "سأفعل ذلك".

ركض في رواق الزنزانات، ومرّ أمام ثلاثة حراس يجرون عملاقاً، له لحية، إلى زنزانتة، وتابع الركض.

قال تيدي: "ما رأيك؟". استطاع عبر القناطر رؤية رجل عند النافذة البعيدة، يتشبث بقضبان، فيما يحاول بعض الحراس جرّ خرطوم مياه. بدأت عيناه تتكيفان مع الضوء الخافت في الرواق الأساسي، لكن الزنزانات بقيت معتمة تماماً.

قال تشاك: "لا بد من وجود مجموعة من الملفات، في مكان ما، هنا. حتى ولو لأغراض طبية أساسية بحتة. أنت ابحث عن لايديز وأنا سأبحث عن الملفات؟".

"وأي هذه الملفات برأيك؟".

نظر تشاك إلى الباب. "حسبما تبدو الأمور، تصبح المسألة أقل خطورة كلما ارتفعنا أكثر هنا. أتصور أن الإدارة موجودة في الطابق العلوي".

"حسناً. أين ومتى نلتقي؟".

"بعد خمس عشرة دقيقة؟".

أحضر الحراس خرطوم الماء، وأطلقوا منه الماء على الرجل فوق عن القضبان، واندفع على الأرض.

صفق بعض الرجال بأيديهم في الزنزانات، فيما تأوه رجال آخرون، وكان الأئين عميقاً جداً كما لو أنه آت من أرض معركة. "خمس عشرة دقيقة تبدو جيدة. هل نلتقي مجدداً في تلك القاعة الكبيرة؟".

"طبعاً".

تصافحا وكانت يد تشاك مبللة وشفته العلوية دبة.

"انتبه إلى نفسك تيدي".

ثمة مريض خرج من الباب خلفهما، وركض أمامهما في القاعة. كان حافي القدمين، وركض، كما لو أنه يتدرب على مباراة ملاكمة محترفة، بحيث كانت خطوات القدمين تعمل بالتناسق مع الذراعين. ابتسم تيدي إلى تشاك وقال: "سأرى ما أستطيع فعله".

"إذاً، اتفقنا".

"اتفقنا".

توجه تشاك إلى الباب. توقف للنظر إلى الخلف. أوماً تيدي برأسه.

فتح تشاك الباب، فيما نزل حارسان على السلام، وقال أحد الحارسين لتيدي: "هل رأيت الأمل الأبيض الكبير يمرّ من هنا؟".

نظر تيدي إلى الخلف، عبر ممر القناطر، ورأى المريض يرقص في مكانه على كعبي قدميه، ويضرب الهواء بمعصميه. أشار تيدي إليه، وانطلق الرجال الثلاثة نحوه.

قال تيدي: "هل كان ملاكاً؟".

قال الرجل الموجود إلى يساره، وكان رجلاً أسود طويلاً ومتقدماً في العمر: "أوه، لقد أتيتما من الشاطئ، هو؟ من أجنحة الإجازة. أوه. نعم. حسناً، ويلي، الذي هناك، يظن أنه يتدرب لإجراء مباراة ملاكمة مع جو لويس. والمشكلة هي أنه ليس سيئاً جداً".

باتوا قرييين من الرجل، وراقب تيدي معصمي المريض يضربان في الهواء.

"سيتطلب الأمر أكثر منا نحن الثلاثة".

قهقه الحارس، الكبير في السن. "لن يحتاج إلا إلى شخص واحد. أنا المسؤول عنه، ألا تعرف؟". نادى بصوت عال: "هاي ويلي. لدي رسالة لك أيها الرجل. لم يبقَ إلا ساعة واحدة لموعد المباراة".

"لا أريد أي رسالة". بدأ ويلي ينقر الهواء بلكمات سريعة.

قال الحارس: "لا أستطيع إحضار بطاقة وجبة طعامي معي. هل تسمعي؟".

"أحضرتها فقط في المرة التي تباريت فيها مع جيرسيه جو".

"وانظر كيف كانت النتيجة".

نزلت ذراعاً ويلي على جانبيه. "لديك وجهة نظر".

"غرفة التدريب، مباشرة هنا". لوّح الحارس بذراعه إلى اليسار مع ابتسامة.

"لا تلمسني. لا أريد أن يلمسني أحد قبل المباراة. تعرف ذلك".

"أوه، أعرف، أيها القاتل". فتح باب الزنزانة. "تعال الآن".

مشى ويلي نحو الزنزانة. "يمكنك فعلاً سماعهم، أليس كذلك؟ الجماهير؟".

"طبعاً، طبعاً".

استمر تيدي والحارس الآخر في المشي، ورفع الحارس يداً سمراء وقال: "أنا آل".

صافحه تيدي. "أنا تيدي يا آل. سررت بلفائك".

"لماذا توجهتم جميعاً إلى الخارج، تيدي؟".

نظر تيدي إلى معطفه الواقى من المطر. "يوجد شيء ما على السطح. إلا أننا صادفنا مريضاً على السلم وطاردناه حتى هنا. تصورنا أنكم قد تستفيدون من مساعدة إضافية".

وقعت كتلة من البراز على الأرض قرب قدم تيدي، وثرثر أحدهم من ظلمة زنزانة، وأبقى تيدي عينيه أمامه ولم يتوقف أبداً.

قال آل: "عليك البقاء قريباً من الوسط قدر الإمكان. وبالرغم من ذلك، قد تتعرض لضربة من نوع ما، مرة على الأقل كل أسبوع. هل رأيت رجلك؟".

هزّ تيدي رأسه. "لا، أنا...".

قال آل: "أوه، اللعنة!".

"ماذا؟".

"أرى رجلي".

كان متوجهاً نحوهما، وهو مبلى تماماً، ولاحظ تيدي الحراس يفلتون خرطوم الماء ويبدأون المطاردة. ثمة رجل قصير القامة مع شعر أحمر، وله وجه مثل قفير النحل، مغطى بالثور السوداء، مع عيين حمراوين تتطابقان مع لون شعره. غيّر اتجاهه فجأة في اللحظة الأخيرة،

وارتطم بفجوة رآها، فيما التفت ذراعاً آل فوق رأسه، وانزلق الرجل الصغير على ركبتيه، ويرم، ثم انطلق يركض.

ركض آل خلفه، ثم أسرع الحراس يركضون أمام تيدي، وهم يحملون العصي فوق رؤوسهم، وكانوا مبللين مثل الرجل الذي يطاردونه.

انطلق تيدي في عملية المطاردة، بدافع الفطرة على الأقل، حين سمع: "لايديز".

وقف وسط الغرفة، منتظراً سماع الكلمة مجدداً. الأنين الجماعي، الذي توقف للحظة بفعل مطاردة صاحب الرأس الأحمر، بدأ يرتفع مجدداً، وانطلق بمثابة أزيز بين خشخشة الأسرة. ففكر تيدي في تلك الحبوب الصفراء مجدداً. إذا كان كاولي يشك، فعلاً يشك، أنه هو وتشاك...".

"لايد. ديز".

استدار، ورأى ثلاث زنانات إلى يمينه. كانت كلها مظلمة. انتظر تيدي، وهو يعرف أن المتحدث يستطيع رؤيته، متسائلاً إذا كان الشخص هو لايديز نفسه. "كان يفترض بك إنقاذي".

جاء الصوت من الزنانة التي في الوسط، أو تلك التي إلى يسارها. ليس صوت لايديز. حتماً لا. لكن الصوت بدا مألوفاً أيضاً.

اقترب تيدي مسن قضبان الزنانة التي في الوسط. فتش في جيوبه. عثر على علبة أعواد الثقاب وأخرجها. مرر عود ثقاب فوق جانب العلبة، وأشعله، ورأى منخفضاً صغيراً ورجلاً مع ضلوع ناتئة جالساً على السرير، يكتب على الجدار. نظر إلى الخلف فوق كتفه إلى تيدي. ليس لايديز. ليس رجلاً يعرفه.

"هل تمنع؟ أفضل العمل في الظلام. أوه شكراً كثيراً لك".

تراجع تيدي إلى الخلف بعيداً عن القضبان، واستدار إلى يساره، ولاحظ أن كل الجدار الأيسر في زنزانه الرجل مغطى بالخربشات، من دون أي إنش فارغ، مع آلاف الخطوط المكتنزة عليه، وكانت الكلمات صغيرة جداً بحيث لا يمكن قراءتها، إلا إذا ألصقت عينيك بالجدار.

انتقل إلى الزنزانه التالية، وانطفأ عود الثقاب، وقال الصوت، القريب جداً الآن: "لقد خذلتني".

ارتجفت يد تيدي، وأشعل عود الثقاب التالي لكن العود انكسر في أثناء الإشعال.

"قلت لي إنني سأتححر من هذا المكان. وعدتني".

أخذ تيدي عود ثقاب آخر، لكنه طار، ووقع داخل الزنزانه من دون أن يشتعل.
"كذبت".

أشعل عود ثقاب ثالث، وحلّق اللهب عالياً فوق إصبعه فجعله قرب القضبان، وحدّق إلى داخل الزنزانه. كان الرجل جالساً على السرير في الزاوية اليسرى وقد أخفض رأسه، وأقحم وجهه بين ركبتيه، ولف ذراعيه حول ربلتيّ ساقيه. كان أصلع الرأس في الوسط، مع شعر أشيب على الجانبيين. كان عارياً باستثناء سروال أبيض قصير. ارتعدت عظامه داخل لحمه.

لحق تيدي شفتيه وسقف فمه. حدّق فوق عود الثقاب وقال:
"مرحباً؟".

"لقد أرجعوني. يقولون إنني لهم".

"لا أستطيع رؤية وجهك".

"يقولون إنني الآن في مكاني الصحيح".

"هلاً رفعت رأسك؟".

"يقولون إن هذا مكاني. لن أغادره أبداً".

"دعني أرى وجهك".

"لماذا؟".

"دعني أرى وجهك".

"ألم تعرف إلى صوتي؟ كل المحادثات التي أجريناها؟".

"ارفع رأسك".

"ظننت أن الأمر بيننا لم يعد مهنيًا بحثًا. ظننت أننا أصبحنا

صديقين، نوعاً ما. بالمناسبة، سينطفئ عود الثقاب هذا قريباً".

حدّق تيدي إلى البشرة الصلعاء والأطراف المرتجفة.

"أقول لك يا صديقي...".

"تقول لي ماذا؟ تقول لي ماذا؟ ما الذي تستطيع قوله لي؟ المزيد

من الأكاذيب، هذا كل شيء".

"أنا لا...".

"أنت كاذب".

"لا. لست كذلك. ارفع...".

أحرق اللهب طرف السبابة وجانب الإهمام، فأقلت عود الثقاب.

اختفت الزنزانة في الظلام. استطاع سماع نوابض السريـر

تتحرك، مع خربشة قاسية للقماش على الحجر، وطقطقة للعظام.

سمع تيدي الاسم مجدداً.

"لايديز".

جاء الصوت من الجهة اليمنى للزنزانة هذه المرة.

"لم تكن هذه الحقيقة أبداً".

أخرج عودي ثقاب من العلبة وأشعلهما مع بعضهما.

"أبداً".

رفع عود الثقاب. كان السرير فارغاً. حرّك يده إلى اليمين، ورأى الرجل واقفاً في الزاوية وهو يدير ظهره له.
"أليس كذلك؟".

"ماذا؟".

"الحقيقة".

"نعم".

"لا".

"هذه هي الحقيقة. كشف...".

"هذه حقيقتك أنت. لا يديز. هذا كل شيء. كنت أنا مصادفة.
كنت عابراً".

استدار الرجل. مشى نحوه. كان وجهه مسحوقاً. كتلة متفتحة بالأرجواني والأسود والأحمر الكرزي. الأنف مكسور، ومغطى بشريط أبيض متشابك.

قال تيدي: "الله!".

"أحببت ذلك؟".

"من فعل هذا؟".

"أنت فعلت هذا".

"بالله عليك كيف يمكنني...؟!".

اقترب جورج نويس من القضبان، وكانت شفتاه سميكتين، مثل إطارات الدراجة الهوائية ومليئتين بالقطب. "كل كلامك. كل كلامك الأحمق، وأنا عدت إلى هنا. بسببك".

تذكر تيدي آخر مرة رآه فيها في غرفة الزيارات في السجن. بالرغم من ضوء الزنزانة، بدا بصحة جيدة، وحيوياً، وخالياً من

معظم همومه. أخبر نكتة، عن شيء له علاقة بإيطالي وألماني دخلا مشرباً في آل باسو.

قال جورج نويس: "انظر إليّ. لا تنظر بعيداً. لم تشأ أبداً فضع هذا المكان".

"جورج". قال تيدي وقد أبقى صوته منخفضاً وهادئاً: "ليس هذا صحيحاً".

"بلى".

"لا. برأيك، كنت أخطط لماذا خلال السنة الأخيرة من حياتي؟ هذا. الآن. هنا".

"اللعة عليك!".

أحس تيدي بالصرخة ترتطم بوجهه.

"اللعة عليك!". صرخ جورج مجدداً: "أمضيت السنة الأخيرة من حياتك وأنت تخطط؟ تخطط للقتل. هذا كل شيء. القتل. لا يديز. هذه لعبتك اللعينة. وانظر إلى أين وصلت أنا. إلى هنا. عدت إلى هنا. لا أستطيع تحمل ذلك. لا أستطيع تحمل منزل الرعب اللعين هذا. هل تسمعي؟ ليس مجدداً، ليس مجدداً، ليس مجدداً".

"اسمع، جورج. ماذا فعلوا للوصول إليك؟ لا بد من وجود أوامر نقل. لا بد من وجود استشارات نفسية. ملفات، جورج، أوراق".

ضحك جورج. ضغط بوجهه على القضبان، وحرك حاجبيه صعوداً ونزولاً. "هل تريد سماع سر؟".

اقترب تيدي منه أكثر.

قال جورج: "هذا جيد...".

قال تيدي: "أخبرني".

بصق جورج على وجهه.

تراجع تيدي إلى الخلف، وأفلت عود الثقاب، ومسح البصقة عن جبينه بواسطة كُمَّه.

في الظلام، قال جورج: "هل تعرف ما اختصاص العزيز الدكتور كاولي؟".

مرر تيدي راحة يده فوق جبينه وجسر أنفه، ووجده جافاً. "ذنب الناجين، صدمة الألم".

"لا، لا، لا، لا". انتهت الكلمة في فم جورج بقهقهة خافتة. "العنف. عند الرجال تحديداً. إنه يجري دراسة".

"لا، هذا نايهرينغ".

"كاولي". قال جورج. "كل شيء كاولي. يحضر المرضى والمجرمين الأكثر عنفاً من كل أنحاء البلاد. لماذا قاعدة المرضى صغيرة جداً هنا برأيك؟ وهل تظن، هل تظن فعلاً أن أحداً سينظر عن كتب إلى أوراق النقل الخاصة بشخص له تاريخ عنف، وتاريخ مشاكل نفسية؟ هل تظن فعلاً ذلك أيها الحقير؟!".

أشعل تيدي عودي ثقاب إضافيين.

قال نويس: "لن أخرج أبداً الآن. لقد هربت مرة. ولكن ليس مرتين. ليس مرتين".

قال تيدي: "اهداً. اهداً. كيف وصلوا إليك؟".

"لقد عرفوا. ألا تفهم؟ كل ما كنت تصمم له. كل خطتك. إنها لعبة. مسرحية مكتوبة بعناية. كل هذا" - لَوْح بذراعه في الهواء فوقه - "لك".

ابتسم تيدي وقال: "افتعلوا إعصاراً فقط لي، هوه؟ حيلة ذكية".
بقي نويس صامتاً.

قال تيدي: "اشرح ذلك".

"لا أستطيع".

"لا أظن ذلك. فلنرتح من الخوف. اتفقنا؟".

قال نويس، وهو يحدّق إليه عبر القضبان: "هل أمضيت الكثير من الوقت بمفردك؟".
"ماذا؟".

"بمفردك. هل كنت لوحذك مرة واحدة منذ أن بدأ كل ذلك؟".
قال تيدي: "طوال الوقت".

رفع جورج حاجبه. "بمفردك تماماً؟".
"حسناً، مع شريكي".
"ومن شريكك؟".

رفع تيدي إبهامه إلى الخلف خارج الزنزانة. "اسمه تشاك. إنه...".
قال نويس: "دعني أحزر. لم تعمل معه أبداً من قبل، أليس كذلك؟".

أحس تيدي أن الزنزانة تطوّقه. أصبحت العظام في ذراعيه باردة. عجز للحظة عن الكلام، كما لو أن دماغه نسي كيف يتصل بلسانه.

ثم قال: "إنه مارشال أميركي من سياتل...".
"لم تعمل معه أبداً من قبل، أليس كذلك؟".

قال تيدي: "هذا غير مهم. أعرف الرجال. أعرف هذا الرجل. أنا أثق به".
"استناداً إلى ماذا؟".

لا يوجد جواب بسيط على ذلك. كيف يعرف أي كان أين ينشأ الاعتقاد القوي؟ في لحظة، لا يكون الاعتقاد القوي موجوداً، وفي اللحظة التالية يصبح موجوداً. لقد عرف تيدي رجالاً في الحرب

اتمنهم على حياته في أرض المعركة لكنه لم يأتمنهم أبداً على أمواله. وعرف رجلاً اتمنهم على أمواله وزوجته، لكنه لم يسمح لهم أبداً بمراقبته في أرض المعركة، أو الدخول معه عبر باب.

كان باستطاعة تشاك رفض مرافقته، وكان باستطاعته البقاء لوحده في مبنى نوم الرجال، والاستراحة حتى تهدأ العاصفة، وانتظار وصول المركب. لقد انتهت مهمتهما، تم العثور على راشايل سولاندو. لا يملك تشاك سبباً، ولا أي اهتمام، لمجاعة تيدي في بحزم عن لايديز، في سعيه لإثبات أن آشكليف هي سخرية لقسم أبقرات. لكنه موجود هنا، بالرغم من كل شيء.

كرر تيدي: "أنا أثق به، هذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع فيها التعبير عن رأيي".

نظر إليه نويس بحزن عبر القضبان الحديدية. "لقد رجحوا". هزّ تيدي أعواد الثقاب، وأفلتها على الأرض. فتح علبة أعواد الثقاب مجدداً، وعثر فيها على عود أخير. سمع نويس، الذي لا يزال واقفاً عند القضبان، يشمّ الهواء.

"أرجوك". همس له، وعرف تيدي أنه ييكي. "أرجوك". "ماذا؟".

"لا تتركي أموت هنا".

"لن تموت هنا".

"سيأخذوني إلى المنارة. أنت تعرف ذلك".

"المنارة؟".

"سيقطعون دماغي".

أشعل تيدي عود الثقاب، ورأى في اللهب المفاجئ أن نويس أمسك بالقضبان، وانهمرت الدموع من عينيه المنتفختين على وجهه المنتفخ.

"لن...".

"اذهب إلى هناك. حاول رؤية ذلك المكان. وإذا عدتَ حياً،
أخبرني ماذا يفعلون هناك. اذهب لترى بنفسك".

"سأذهب، جورج. سأفعل ذلك. سأخرجك من هنا".

أخفض نويس رأسه، وضغط برأسه الأصلع على القضبان، وبكى
بصمت، وتذكر تيدي أنه في آخر مرة التقيا خلالها في غرفة الزوار، قال
جورج: "إذا أجبرت يوماً على العودة إلى ذلك المكان، فسأقتل نفسي"،
وقال تيدي: "لن يحصل ذلك".

إنها كذبة على ما يبدو.

لأن نويس موجود هنا. مضروب، محطم، مليء بالخوف.
"جورج، انظر إليّ".

رفع نويس رأسه.

"سأخرجك من هنا. اصمد. لا تفعل أي شيء لا يمكنك العودة
منه. هل تسمعي؟ اصمد. سأعود إليك".

ابتسم جورج نويس عبر دموعه، وهزّ رأسه ببطء شديد. "لا
يمكنك قتل لايديز وكشف الحقيقة في الوقت نفسه. عليك الاختيار.
أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟".

"أين هو؟".

"قل لي إنك تفهم".

"أفهم ذلك. أين هو؟".

"عليك الاختيار".

"لن أقتل أحداً جورج! لن أفعل".

عند النظر عبر القضبان إلى جورج، شعر أن هذه هي الحقيقة. إذا
كان هذا هو المطلوب لإنقاذ هذا الرجل المسكين، هذه الضحية المرعبة،

سيدفن تيدي ثأره. من دون تنفيذه. سيؤجله لوقت آخر. ومعنى أن تفهم دولوريس.

كرر: "لن أقتل أحداً".

"كاذب".

"لا".

"إنها ميتة. انسَ أمرها".

كبت ابتسامته، ومسح وجهه بين القضبان، ونظر إلى تيدي بعينه الناعمتين المتورمتين.

شعر تيدي بما في داخله، وضغط على قاعدة حنجرتة. استطاع رؤيتها تجلس في ضباب يوليو الباكر، في ذلك الضوء البرتقالي الداكن الذي يخيم فوق المدينة في ليالي الصيف، مباشرة بعد غروب الشمس، ناظراً إلى الأعلى، فيما اقترب من الحافة، وعاد الأولاد إلى لعبة الكرة في وسط الشارع، وتطاير الغسيل فوقهم، وراقبته يقترب، فيما ذقنها متكئ على متن يدها والسيجارة مرفوعة قرب أذنها، وقد أحضر لها الأزهار ذات مرة، وكانت هي، ببساطة، حبه، امرأته، تراقبه يقترب كما لو أنها تتذكره مع تلك المشية، وتلك الأزهار، وتلك اللحظة، وأراد سؤالها عما يعنيه تحطم قلب من السعادة، أو الإحساس بالرضى الكامل لمجرد رؤية شخص ماء، بطريقة يعجز عنها الطعام أو الدم أو الهواء، أو الإحساس كأنك ولدت للحظة واحدة فقط، وهذه هي حاله، مهما كان السبب.

قال له نوبس: "انسَ أمرها".

قال تيدي: "لا أستطيع". وخرجت الكلمات من فمه بصوت عالٍ واستطاع الإحساس بالصراخ يدور وسط صدره.

تراجع نوبس إلى الخلف قدر المستطاع، وأبقى قبضة يده على القضبان، وأمال رأسه بحيث اتكأت أذنه على كتفه.

"إذاً، لن تغادر أبداً هذه الجزيرة".

لم يقل تيدي أي شيء.

تنهد نويس، كما لو أن ما قاله جعله يشعر بالضجر لدرجة النوم على قدميه. "تم نقله من الجناح ج. إذا لم يكن في الجناح أ، ثمة مكان واحد فقط يمكن أن يوجد فيه".

انتظر حتى استوعب تيدي الأمر.

قال تيدي: "المنارة!".

أوماً نويس برأسه، وانطفأ عود الثقاب الأخير.

لدقيقة كاملة، وقف تيدي هناك، محدقاً إلى الظلمة، ثم سمع صوت نوابض السرير مجدداً فيما استلقى نويس على السرير. استدار للذهاب.

"هاي".

توقف، وهو يدير ظهره للقضبان، وانتظر.

"فليساعدك الله".

استدار ليمشي في رواق الزنانات، فوجد آل في انتظاره. كان يقف وسط رواق الغرائت، وينظر إلى تيدي بكسل وقال تيدي: "هـ وجدت رجلك؟".

جاء آل للوقوف قربه. "طبعاً. إنه حقير هارب، لكن هنا، لا يمكنك الهروب كثيراً بعد الخروج من غرفتك".

مشيا في طابق الزنانات، وبقي وسط الرواق، واستطاع تيدي سماع نويس يسأل إذا كان سيقى هنا لوحده. تساءل لكم من الوقت كان آل يراقبه. فكّر مجدداً في الأيام الثلاثة التي أمضاها هنا، وحاول العثور على لحظة واحدة كان فيها لوحده تماماً. حتى خلال استعمال الحمام، كان يستخدم حمامات الموظفين، مع رجل في الممام الذي قربه، أو مع رجل واقف مباشرة أمام الباب.

لكن، لا، لقد خرج وتشاك مرات عدة في الجزيرة لوحدهما. هو وتشاك.

ماذا يعرف بالضبط عن تشاك؟ تصوّر وجهه للحظة، واستطاع رؤيته في المركب وهو ينظر إلى المحيط...

رجل رائع، يتم استلطافه فوراً، ويتصرف بارتياح مع الأشخاص. إنه من نوع الرجال الذين ترغب في الوجود معهم. من سياتل. تم نقله حديثاً. لاعب بوكر ممتاز. يكره والده وهو الشيء الوحيد الذي يبدو غير متطابق معه. ثمة شيء آخر أيضاً، شيء مدفون في دماغ تيدي، شيء... ما هو؟

غريب. هذه هي الكلمة. لكن، لا، لا يوجد شيء غريب في تشاك. إنه إنسان لطيف. لطيف جداً مثل الإوزة، مثلما كان يقول والد تيدي. لا، ما من شيء غريب أبداً في الرجل. لكن ألا يوجد أي شيء؟ ألم تمر لحظة واحدة كان فيها تشاك غريباً في تصرفاته؟ نعم، تيدي واثق من حصول هذه اللحظة. لكنه لا يستطيع تذكر التفاصيل. ليس الآن. ليس هنا.

على كل حال، كانت الفكرة كلها سخيفة. إنه يثق بتشاك. في النهاية، فتش تشاك في مكتب كاولي.
هل رأيته يفعل ذلك؟

تشاك، في الوقت الحاضر، يخاطر بمهنته للوصول إلى ملف لايديز.
كيف تعرف؟

وصلاً إلى الباب وقال آل: "اذهب إلى السلام، واتبع هذه الدرجات إلى الأعلى. ستجد السقف بسهولة".
"شكراً".

انتظر تيدي، من دون أن يفتح الباب، إذ أراد أن يرى لكم من الوقت سيبقى آل يراقبه.

إلا أن آل أوماً برأسه، وعاد إلى طابق الزانزات وشعر تيدي بالتبرئة. طبعاً، لا يراقبونه. حسب علم آل، تيدي مجرد حارس آخر. نويس مصاب فقط بالرهاب. لكن الرهاب مبرر. ومن لا يكون هكذا مكان نويس؟

استمر آل في المشي، وبرم تيدي مقبض الباب، وفتحته، ولم يكن هناك أي حراس ينتظرون عند منبسط الدرج. إنه لوحده. لوحده تماماً. من دون مراقبة. وترك الباب يغلق وراءه، ثم استدار لنزول السلام، ورأى تشاك يقف عند المنعطف، حيث صادف بايكر وفنجيس. أشعل

سيجارتته، وبجّها بقوة، ونظر إلى تيدي وهو ينزل الدرج، ثم استدار، وبدأ يتحرك بسرعة.

"ظننتُ أننا سنلتقي في القاعة".

قال تشاك، فيما وصل إليه تيدي: "إنهما هنا". واستدارا نحو القاعة الكبيرة.
"من؟".

"أمر السحن وكاولي. تابع سيرك. علينا الهروب".
"هل رأيك؟".

"لا أعرف. كنت أخرج من غرفة السجلات فوق طابقين. رأيتهما في الطرف الآخر من القاعة. استدار رأس كاولي، ودخلت فوراً عبر باب المخرج في السلام".

"إذاً، لم ينتبها إليك على الأرجح".

كان تشاك يركض فعلياً. "حارس يرتدي المعطف الواقى من المطر، ويضع قبعة كبيرة، ويخرج من غرفة السجلات في الطابق الإداري؟ أوه، أنا واثق أننا بخير".

طقطقت الأضواء فوقهما في سلسلة متتالية، بدت أشبه بأصوات العظام المتكسرة تحت الماء. هدرت الشحنات الكهربائية في الهواء، وتبعها انفجار مدو من الصراخ والنحيب. بدا وكأن المبنى كله ينفجر حولهما للحظات، ثم عاد للسكون مجدداً. قرعت أجراس الإنذار عبر الجدران والأرضيات الحجرية.

قال تشاك واستدار نحو السلام: "لقد عادت الكهرباء. كم هذا جميل".

نزلا السلام، فيما كان أربعة حراس يصعدون، ووفقاً على جانب الدرج للسماح لهما بالمرور.

كان الحارس الجالس أمام الطاولة الجانبية لا يزال موجوداً، يتحدث عبر الهاتف، وينظر إلى الأعلى بعينين شاردتين قليلاً، ثم صفت عيناه وقال: "انتظر لحظة". ثم استدار نحوهما، فيما وصلا إلى الدرجة الأخيرة وقال: "هاي أنتما الاثنان انتظرا دقيقة".

ثمة مجموعة من الحشود في القاعة الكبيرة - حراس وعمال واثنان من المرضى المكبلين، مليان بالوحل - ومرّ تيدي وتشاك أمامهم، ثم مرّاً أمام رجل يقف قرب طاولة القهوة ويلوّح بكوبه بكسل، باتجاه صدر تشاك.

وقال الحارس: "هاي! أنتما الاثنان! هاي!".

لم يتوقفا أبداً، ورأى تيدي وجوهاً تنظر حولهما، ولم يعد يسمع إلا صوت الحارس، متسائلاً من يكون ليناديهما.

ثانية أخرى أو ثانيتان، ثم تتجه كل الأنظار إليهما هو وتشاك. "قلت لكما توقفا".

ضرب تيدي الباب بيده.

لم يفتح.

"هاي!".

لاحظ المقبض النحاسي، وهو على شكل ثمرة أناناس، كما في منزل كاولي، وأمسك به ووجده مليئاً برذاذ المطر.

"أريد التحدث معكما!".

برم تيدي المقبض، وفتح الباب، وشاهد حارسين يصعدان على الدرج. استدار تيدي في مكانه، وترك الباب مفتوحاً، فيما مرّ تشاك عبر الباب، وأومأ له الحارس الذي على يساره بإمحاء الشكر. مرّ وشريكه عبر الباب، وأفلت تيدي الباب، ونزلا الدرج.

شاهدا إلى يسارهما، مجموعة من الرجال الذين يرتدون الثياب نفسها، يقفون ويدخنون السجائر ويشربون القهوة، وكان بعضهم

متكئين على الجدار، يمزحون مع بعضهم، وينفخون الدخان بقوة في الهواء. عبر تيدي وتشاك المسافة الفاصلة بينهم، من دون أن ينظرا أبداً إلى الخلف، وانتظرا سماع صوت الباب يفتح وراءهما مع سلسلة من النداءات المتتالية.

قال تشاك: "هل عثرت على لايديز؟".

"لا. لكنني عثرت على نويس".

"ماذا؟".

"لقد سمعتني".

أوماً برأسيهما للمجموعة حين وصلا أمامهما. ابتسامات وتلويحات وتوقف تيدي للحظة أمام أحد الرجال، ثم تابعا المشي بمحاذاة الجدار، وبدا كأن الجدار امتد لمسافة ربع ميل تقريباً، وتابعا المشي، فيما صدح الصراخ في الهواء، وتابعا المشي وهما يريان البنادق النائية من فجوات الجدران، على مسافة خمسين قدماً فوقهما.

وصلا إلى نهاية الجدار، واستدارا إلى اليسار، ووصلا إلى حقل أخضر سبخ، ولاحظا أنه تم استبدال أجزاء من السور هنا، وكانت مجموعات من الرجال يملأون الفجوات الفارغة بإسمنت سائل، ولاحظا أن الرجال منتشرون في كل مكان، وعرفا أنه لا مجال أبداً للهروب من هنا.

استدارا، وعادا للمشي قرب الجدار، ودخلا عبر الفجوة، وقد أدرك تيدي أن السبيل الوحيد للهروب هو المضى قدماً. ستنتبه إليهم العديد من العيون إذا سارا في أي اتجاه آخر، بعيداً عن الحراس.

"سننجح في الهروب، أليس كذلك سيدي؟".

"تقدم مباشرة".

نزع تيدي قبعته، ولحق به تشاك، ثم خلعا معطفيهما، ومشيا في بقع الماء الناجمة عن المطر. كان الحارس نفسه في انتظارهما، وقال تيدي لتشاك: "لا تبطئي أبداً خطواتك".
"اتفقنا".

حاول تيدي قراءة وجه الرجل. كان من دون تعابير وتساءل ما إذا كان ذلك ناجماً عن الضجر أو لأنه يحضّر نفسه للقتال. لوّح له تيدي، فيما مرّ أمامه، وقال الحارس: "أحضروا الشاحنات الآن".

استمرا في المشي، واستدار تيدي ومشى إلى الخلف وقال: "شاحنات؟".

"نعم، لإعادتكما أيها الرجلان. عليكما الانتظار، إذ غادرت شاحنة قبل خمس دقائق. يفترض أن تعود في أي لحظة".
"لا. نحن بحاجة إلى ممارسة التمارين".

للحظة، لمع شيء في وجه الحارس. قد يكون الأمر مجرد تخيل من تيدي، أو عرف الحارس ربما وجود مشكلة ما، حين شمها.
"انتبه الآن". أدار تيدي ظهره، ومشى وتشاك نحو الأشجار وأحس أن الحارس يراقبهما، وأحس أن الحصن بكامله يراقبهما. قد يكون كاولي وأمر السجن على الدرجات الأمامية الآن، أو على السقف، يراقبان.

وصلا إلى الأشجار، ولم يصرخ أحد، ولم يطلق أحد طلقة إنذار، ثم تغلغلا أكثر واختفيا في كومة الجذوع السميكة والأوراق المبعثرة.
قال تشاك: "الله، الله، الله".

جلس تيدي على صخرة، وأحس بالعرق يملأ جسمه، يبلل قميصه وسرواله الأبيض، وشعر أنه على وشك الاختناق. لا يزال قلبه

ينفلق بقوة كبيرة، وأحس بالحكاك في عينيه، وبوخز في كتفيه وعنقه، وعرف أن هذا أعظم شعور في العالم، باستثناء الحب. لأنهما هربا.

نظر إلى تشاك، وثبت عينيه عليه إلى أن انفجرا في الضحك. قال تشاك: "استدرت حول ذلك المنعطف، ورأيت أن السور لا يزال في مكانه. اللعنة، تيدي، ظننتُ أن الأمر انتهى".

استلقى تيدي على الصخرة، وأحسّ بحرية لم يشعر فيها إلا حين كان ولداً. راقب السماء وقد بدأت تظهر وراء الغيوم الملبدة، وأحسّ بالهواء على بشرته. استطاع شمّ رائحة الأوراق الرطبة والتربة الرطبة واللحاء الرطب وسمع صوتاً آخر، رذاذ المطر. أراد إغماض عينيه والاستيقاظ، وهو في الجهة الأخرى من المرفأ، في بوسطن، في سريره.

كاد يغفو، وذكره ذلك كم كان متعباً، فانتصب وأخرج سيجارة من جيب قميصه، واستعار قَدَاحَة تشاك. انحنى إلى الأمام على ركبتيه وقال: "علينا الافتراض، من هذه النقطة، أنهم سيكتشفون أننا كنا في الخارج. هذا إذا كانوا لم يكتشفوا ذلك أصلاً".

أوما تشاك برأسه. "سيخضع بايكر حتماً للاستجواب".

"أظن أن الحارس الذي كان عند السلا لم أراد اللحاق بنا".

"أو أنه أراد منا فقط أن نوقع على سجل الخروج".

"في كلتا الحالتين، سيتم تذكرنا".

صاح صوت منارة بوسطن عبر المرفأ، وهو صوت سمعه تيدي كل ليلة في طفولته في هال. إنه الصوت الأكثر وحدة الذي عرفه. يجعلك ترغب في التشبث بشيء ما، بشخص، بوسادة، بنفسك.

قال تشاك: "نويس".

"نعم".

"هل هو فعلاً هنا؟".

"بلحمه ودمه".

قال تشاك: "بالله عليك تيدي، كيف؟".

وأخبره تيدي عن نويس، عن الضرب الذي تعرض له، عن حقه
تجاه تيدي، عن خوفه، وأطرافه المرتجفة، وبكائه. أخبر تشاك كل شيء
باستثناء ما أوحاه له نويس عن تشاك. أصغى تشاك إليه، وأوماً برأسه
بين الحين والآخر، وراقب تيدي، مثلما يراقب الولد مسؤول المخيم
حول النار، فيما يروي الأول قصة آخر الليل.

وما الحقيقة، بدأ تيدي يتساءل، إذا لم تكن هذه؟

حين انتهى، قال تشاك: "هل صدقته؟".

"أصدق أنه هنا. لا شك في ذلك".

"إنه ربما يعاني من الهيار عصبي. أقصد أنه مريض نفسي. يملك
التاريخ. قد يكون كل ذلك مشروعاً. ينهار في السجن ويقولون: هاي
هذا الرجل كان ذات مرة مريضاً في آشكليف. فلنعهده إلى هناك".

قال تيدي: "ممكّن. لكن في آخر مرة رأيته فيها، بدا لي عاقلاً

تماماً".

"متى كان ذلك؟".

"قبل شهر".

"يمكن أن يتغير الكثير خلال شهر".

"صحيح".

قال تشاك: "وماذا عن المنارة؟ هل تصدق أنه توجد مجموعة من

العلماء الجانين هناك، يزرعون الهوائيات في جمجمة لايديز، فيما
نتحدث نحن هنا؟".

"لا أظن أنهم يقومون بعمل سليم".

قال تشاك: "أوافقك الرأي، لكن كل هذا شبيه بالغينيول الكبير، أليس كذلك؟".

قطّب تيدي وجهه. "لا أعرف ما يعنيه ذلك".

قال تشاك: "مرعب. في القصة الخرافية، بو - غا - بو - غا - بو - غا نوعاً ما".

قال تيدي: "أفهم ذلك. ما كانت الكلمة التي لفظتها؟".

قال تشاك: "الغينيول الكبير. إنها كلمة فرنسية. سامحي".

راقب تيدي تشاك، وهو يحاول الابتسام على طريقته، وربما يفكر في طريقة لتغيير الموضوع.

قال تيدي: "درست الكثير من الفرنسية خلال وجودك في بورتلاند؟".

"سياتل".

"صحيح". وضع تيدي راحة يده على صدره. "سامحي".

قال تشاك: "أنا أحب المسرح. اتفقنا؟ إنها كلمة مسرحية".

"هل تعلم؟ أعرف رجلاً عمل في مكتب سياتل".

"حقاً؟". فتش تشاك في جيوبه وكان شارد الذهن.

"نعم. ربما أنت تعرفه أيضاً".

قال تشاك: "ربما. هل تريد أن ترى على ماذا حصلت من ملف

لايديز؟".

"كان اسمه جو... جو...". شبك تيدي أصابعه ونظر إلى تشاك.

"هيا ساعدي. الكلمة على رأس لساني. جو، أووم، جو...".

قال تشاك: "هناك الكثير من الذين اسمهم جو". وسو يفتش في

جيبه الخلفي.

"ظننت أنه مكتب صغير".

"ها قد وجدتها". خرجت يد تشاك من جيبه الخلفي وكانت يده فارغة.

استطاع تيدي رؤية الورقة المطوية التي انزلقت من قبضته وبقيت عالقة في الجيب.

"جو فيرفيلد". قال تيدي وضحك على الطريقة التي خرجت فيها يد تشاك من جيبه. بطريقة غريبة. "هل تعرفه؟".

بحث تشاك في جيبه مجدداً. "لا".

"أنا واثق من أنه تم نقله إلى هنا".

هزّ تشاك كتفه. "لا يعني لي هذا الاسم شيئاً".

"أوه، ربما كان في بورتلاند. يختلط عليّ الأمر أحياناً".

"نعم، لاحظت ذلك".

سحب تشاك الورقة من جيبه وتذكره تيدي يوم وصلا إلى الجزيرة وكان يسلم المسدس إلى الحارس بحركة بطيئة، وواجه مشكلة في إخراج المسدس من قرابه. ليس هذا أمراً مألوفاً بالنسبة إلى مارشال أميركي. في الواقع، يتم طرده من الوظيفة في حال تم اكتشاف ذلك.

أمسك تشاك بالورقة. "إنها استمارة دخوله. لا يديز. لم أعثر إلا على هذه الورقة وعلى سجلاته الطبية. لا تقارير عن حوادث، لا ملاحظات، لا صور. هذا غريب".

قال تيدي: "غريب. طبعاً".

بقيت يد تشاك ممدودة، وقطعة الورق متدلّية من أصابعه.

قال تشاك: "خذها".

قال تيدي: "لا. اتركها معك".

"ألا تريد رؤيتها؟".

قال تيدي: "سأراها لاحقاً".

نظر إلى شريكه. وترك الصمت يسود بينهما.
"ماذا؟". قال تشاك أخيراً. "لا أعرف من ذلك جو اللعين؟ لذلك
تنظر إليّ الآن بغرابة؟".
"أنا لا أنظر إليك بغرابة، تشاك. مثلما قلت لك، يختلط عليّ
الأمر أحياناً بين بورتلاند وسياتل".
"صحيح. إذاً...".

قال تيدي: "فلتتابع المشي".
وقف تيدي. بقي تشاك جالساً لبضع ثوان، ينظر إلى قطعة الورق
المتدلّية من يده. نظر إلى الأشجار حولهما. نظر إلى تيدي. نظر نحو
الشاطئ.

صدح صوت المنارة مجدداً.
وقف تشاك، وأعاد قطعة الورق إلى جيبه الخلفي.
قال: "حسناً". قال: "في كل الأحوال، قرر أنت الطريق".
بدأ تيدي المشي شرقاً نحو الغابة.
قال تشاك: "إلى أين تذهب؟ أشكّيك في الجهة الأخرى".
نظر تيدي إليه. "لست ذاهباً إلى أشكّيك".
بدأ تشاك منزعجاً، لا بل خائفاً ربما. "إلى أين تذهب إذاً، تيدي؟".
ابتسم تيدي.
"إلى المنارة، تشاك".

قال تشاك: "أين نحن؟".
"هنا".

خرجوا من الغابات وبدلاً من أن يجدا نفسيهما أمام السور المحيط
بالمنارة، أصبحا، نوعاً ما، إلى شمالها. تحولت الغابة إلى نهر صغير بفعل

العاصفة، وأجبراً على اتباع مسار مستقيم حددته مجموعة من الأشجار المتساقطة أو المنحنية. عرف تيدي أنهما انخرقا عن مسارهما قليلاً، لكن، بعد الحكم على حساباته الأخيرة، يبدو أنهما أصبحا بعيدين جداً بقدر المقبرة. استطاع رؤية المنارة تماماً. برز ثلثها العلوي بوضوح من وراء تلة طويلة مع سلسلة من الأشجار ومجموعة خضراء وبنية من النباتات. مباشرة وراء الحقل الذي وقفا فيه، كان هناك مستنقع طويل، ووراء ذلك، ثمة مجموعة من الصخور السوداء التي شكّلت حاجزاً طبيعياً للمنحدر، وعرف تيدي أن الطريقة الوحيدة الباقية أمامهما هي العودة عبر الغابة والعثور على المكان الذي أخذوا فيه المنعطف غير الصحيح، من دون الحاجة إلى العودة مجدداً إلى نقطة الانطلاق الأساسية. قال ذلك لتشاك.

استخدم تشاك عصا لضرب ساقى سرواله بعنف للتخلص من الأشواك. "أو يمكننا الدوران والتوجه من الشرق. هل تذكر ما حصل مع ماكفرسون الليلة الماضية؟ استخدم السائق ما يشبه الطريق. لا بد أنها المقبرة الموجودة فوق الهضبة هناك. هل نجرب ذلك الطريق؟". "إنها أفضل من الطريق التي جئنا منه للتو".

"أوه، لم تحب ذلك". مرر تشاك راحة يده فوق الجهة الخلفية لعنقه. "أنا أحب البعوض. في الواقع، أظن أن هناك بقعة أو بقعتين على وجهي لا تريدان الاختفاء".

إنه أول حديث بينهما منذ أكثر من ساعة، وأحسّ تيدي أنهما يحاولان تجاوز فقاعة التوتر التي نشأت بينهما.

لكن اللحظة انتهت حين بقي تيدي صامتاً لوقت طويل جداً وتحرك تشاك بمحاذاة الحقل، متوجهاً، نوعاً ما، نحو الغرب الشمالي، علماً أن الجزيرة كانت تدفعهما طوال الوقت باتجاه شواطئها.

راقب تيدي ظهر تشاك فيما مشيا، وتسلقا، ومشيا. إنه شريكه. هذا ما قاله لنويس. قال له إنه يثق به. ولكن لماذا؟ لأنه مجر على ذلك. لأنه لا يمكن التوقع من أي رجل أن ينجز هذه المهمة بمفرده. إذا اختفى، إذا لم يعد أبداً من هذه الجزيرة، يبقى السيناتور هورلي صديقاً جيداً. لا شك في ذلك. سيتم تدوين الاستعلامات. سيتم سماعها. لكن في المناخ السياسي الحالي، هل سيكون صوت ديمقراطي غير معروف، نسبياً من ولاية نيوانجلند الصغيرة، قوياً كفاية؟ اهتم المارشالات بأنفسهم. سيتم حتماً إرسال رجال. لكن السؤال هو متى. هل سيصلون إلى هناك قبل أن تقوم آشكيلف وأطباؤها بإيذاء تيدي بطريقة، لا يمكن إصلاحها، وتحويله إلى نويس جديد؟ أو إلى أسوأ، إلى رجل مجنون تماماً؟ أمل تيدي في ذلك، لأنه كلما وجد نفسه ينظر إلى ظهر تشاك، ازداد يقينه في أنه لوحده في هذه المهمة. لوحده تماماً.

قال تشاك: "المزيد من الصخور".

كانا على قمة جبل ضيقة ناتئة مباشرة فوق البحر الممتد إلى يمينهما مع سهل منبسط إلى يسارهما، فيما الرياح تعصف، وأصبحت السماء حمراء بنية مع مذاق مالح في الهواء. كانت كومات الصخور متباعدة في السهل المنبسط. تسع كومات منها في ثلاثة صفوف، محمية من كل الجوانب بمنحدرات تطوق السهل مثل وعاء.

قال تيدي: "ماذا؟ هل نتجاهل الموضوع؟".

رفع تشاك يده إلى السماء. "ستغيب الشمس بعد ساعتين تقريباً. لسنا أمام المنارة، في حال لاحظت ذلك. ولسنا حتى في المقبرة. ولسنا

واثقين حتى من أننا نستطيع الوصول إلى هناك من هنا. وأنت تريد نزول كل هذه المسافة للنظر إلى الصخور!".
"هاي، إذا كان هذا رمزاً...".

"وما الأهمية في هذه المرحلة؟ لدينا إثبات على أن لايديز هنا، رأيت نويس، كل ما علينا فعله هو العودة مع هذه المعلومات وهذا الدليل. ونكون أنجزنا مهمتك".
كان محقاً. عرف تيدي ذلك.

لكنه محق، لو كانا لا يزالان يعملان في الجانب نفسه.
هما لا يعملان، وهذا رمز لا يريد منه تشاك أن يراه...
قال تيدي: "عشر دقائق للنزول إلى الأسفل، وعشر دقائق للصعود مجدداً".

جلس تيدي بتعب كبير على سطح الصخرة الداكنة، وأخرج سيجارة من جيبه. "جيد. لكنني سأعفي نفسي من هذه المهمة".
"مثلما تريد".

طوّق تشاك يديه حول السيجارة، فيما أشعلها. "هذه هي الخطة".

راقب تيدي الدخان يتمايل عبر أصابعه المتوترة ويتجه نحو البحر.
قال تيدي: "أراك".

كان تشاك يدير له ظهره. "حاول ألا تكسر عنقك".
نزل تيدي المنحدر في سبع دقائق، أي أقل بثلاث دقائق من تقديره الأساسي، لأن الأرض كانت رخوة ورملية وانزلق فيها مرات عدة. تمنى لو أنه شرب المزيد من القهوة هذا الصباح لأن معدته كانت تكرر من فراغها، فيما أفضت قلة السكر في دمه، مع قلة النوم، إلى توليد أزيز في رأسه، وظهور بقع طافية أمام عينيه.

أحصى الصخور في كل كومة، ودوّنها في دفتره بالترافق مع نظائرها الأبجدية قربها:

13(M)-21(U)-25(Y)-18(R)-1(A)-5(E)-8(H)-15(O)-9(I)

أغلق الدفتر ووضعه في جيبه الأمامي، وبدأ يتسلق مجدداً المنحدر الرملي، وشقّ طريقه عبر الجزء الأكثر انحداراً، مقتلعاً كمشات من عشب البحر معه كلما انزلق. احتاج إلى خمس وعشرين دقيقة للصعود مجدداً وقد أصبحت السماء برونزية داكنة، وعرف أن تشاك كان محقّقاً، مهما كان رأيه فيه. إنهما يخسران النهار بسرعة، وكانت هذه مضيعة للوقت، أيّاً كان الرمز.

لن يستطيعا الوصول الآن ربما إلى المنارة، وإذا وصلا، ماذا بعدها؟ إذا كان تشاك يعمل معهم، سيكون ذهاب تيدي معه إلى المنارة أشبه بالعصفور الذي يطير نحو مرآة.

رأى تيدي أعلى الهضبة والقسم الناتئ من القنّة والسماء البرونزية المقوّسة فوقه، وقال لنفسه، لا بد أن الأمر كذلك، دولوريس. قد يكون هذا أفضل ما أستطيع تقديمه في الوقت الحاضر. سيحيا لا يديز. ستستمر أشكيليف. لكننا سنرضي أنفسنا بالمعرفة أننا بدأنا عملية، عملية يمكن أن تفضي في النهاية إلى انهيار كل شيء.

عثر على شقّ في أعلى الهضبة، على فتحة ضيقة تلتقي بالقنّة مع تاكل كبير بحيث خطرت لتيدي فكرة الوقوف في الشق، وجعل ظهره على الجدار الرملي، ووضع كلتا يديه على الصخرة المسطحة فوقه، ودفع نفسه إلى الأعلى كفاية بحيث يستطيع بسط صدره على القنّة، وسحب ساقيه مباشرة خلفه.

استلقى على جانبه، ونظر إلى البحر. كان أزرق جداً في هذا الوقت من اليوم، ونابضاً جداً بحيث تلاشى بعد الظهر حوله. استلقى

هناك، وأحسّ بالنسمات على وجهه وبالبحر المنبسط إلى الأبد تحت
السماء المظلمة، وشعر أنه صغير جداً، بشري عاجز، لكنه لم يكن
شعوراً موهنًا. إنه على العكس شعور فخر. أن يكون جزءاً من هذا.
بقعة، نعم. لكن جزءاً منه، واحداً معه، يتنفس.
نظر إلى الحجر الداكن المسطح، وضغط بوجهته عليه، وانتبه حينها
إلى أن تشاك ليس معه.

استلقت جثة تشاك في أسفل المنحدر، وغمرتها المياه.

انزلق تيدي فوق حافة القنّة، وفتش في الصخور السوداء بكعب
حذائه إلى أن أصبح واثقاً تماماً من أنها تستطيع تحمل وزنه. أخرج نفساً لم
يكن يعلم حتى أنه يحبسه في صدره، وجعل مرفقيه تنزلقان عن حافة
القنّة، وأحسّ بقدميه تغوصان في الصخور، وتحسس تغيراً في شكل
الصخور وانحنى كاحله اليمين إلى اليسار، وانزلق على وجه المنحدر،
وألقي بثقل أعلى جسمه عليه، وأصبحت الصخور تحت قدميه.

برم جسمه، وأخفض نفسه إلى أن أصبح مسحوقاً مثل السلطعون
على الصخور، وبدأ النزول. ما من طريقة لفعل ذلك بسرعة. بعض
الصخور ناتئة بقوة في المنحدر، وثابتة جداً مثل المسامير في خوذة
المعركة. ثمة صخور أخرى غير مثبتة بأي شيء باستثناء الصخور التي
تحتها، ولا يمكنك معرفتها إلا بعد وضع وزنك على إحداها.

بعد عشر دقائق تقريباً، رأى واحدة من سحائر لاكي الخاصة
بتشاك، نصف مدخنة، وقد أصبحت الجمرة سوداء ومستدقة مثل
طرف قلم الرصاص.

ما الذي سبب السقوط؟ صحيح أن الهواء هبّ، لكنه لم يكن قوياً
كفاية لرمي رجل عن منبسط.

فكّر تيدي في تشاك، هناك، لوحده، يدخن سيجارته في آخر
دقيقة من حياته، وفكّر في كل الأشخاص الآخرين الذين كان يهتم

بأمرهم وماتوا حين كان يخدم في الجندية. دولوريس، طبعاً، ووالده، في مكان ما في قعر هذا البحر نفسه. أمه، حين كان عمره ستة عشر عاماً. توتي فيسيلي، الذي تعرض لطلق ناري بين أسنانه في صقلية، وابتسم بغرابة لتيدي، كما لو أنه ابتلع شيئاً فاجأه مذاقه، ثم تدفق الدم عبر زاويتي فمه. مارتن فيلان، جايسون هيل، ذلك القنّاص البولندي من بيتسبورغ، ما كان اسمه؟ يارداك، هذا هو، يارداك غيلبيوفسكي. الولد الأشقر الذي جعلهم يضحكون في بلجيكا. تعرض لطلق ناري في الساق، وبدا كأنه لم يحدث أي شيء إلى أن استمر النزف إلى ما لا نهاية. وفرانكي غوردون، طبعاً، الذي تركه في الكوكونات غروف تلك الليلة. بعد عامين، رمى تيدي سيجارة على خوذة فرانكي، وقال له إنه أحرق لعين وقال فرانكي: "أنت تشتم أفضل من أي رجل آخر عرفته..." وداس على لغم. ما زال تيدي يحتفظ بشظية في ربله ساقه اليسرى.

والآن تشاك.

هل سيعرف تيدي يوماً إذا كان يجدر به الوثوق به؟ إذا كان يجدر به الشك فيه؟ تشاك، الذي جعله يضحك وجعل المهمة الشاقة في الأيام الثلاثة الماضية أسهل بكثير. تشاك، الذي قال هذا الصباح إنهما سيتناولان عجة البيض للفطور وشرائح اللحم الرفيعة للغداء.

نظر تيدي مجدداً إلى أعلى القنّة. حسب تقديره، أصبح الآن في منتصف الطريق وباتت السماء زرقاء داكنة مثل البحر وتزداد دكنتها كل ثانية.

ما الذي جعل تشاك يقع من فوق؟
لا شيء طبيعي.

إلا إذا أوقع شيئاً ما. إلا إذا لحق بشيء ما إلى الأسفل. إلا إذا،
كما هي حال تيدي الآن، حاول شق طريقه إلى أسفل الجرف وأمسك
بصخور غير ثابتة ربما.

توقف تيدي لالتقاط أنفاسه، وتصيب العرق من وجهه. رفع يداً
يحذر عن الجرف ومسحها بسرواله، إلى أن جفت تماماً. أعادها إلى
حيث كانت، ثم فعل الشيء نفسه باليد الأخرى، وحين أعاد تلك اليد
إلى صخرة ناتئة، رأى الورقة قربها.

كانت مقحمة بين صخرة، وبين كومة بنية من الجذور وتتطاير
قليلاً في هواء البحر. رفع تيدي يده عن الصخرة السوداء وأمسك
بالورقة بين أصابعه ولم تكن هناك حاجة إلى فتح الورقة لمعرفة محتواها.
إنها استمارة دخول لا يديز.

وضع الورقة في جيبه الخلفي، وتذكر كيف استقرت من دون ثبات
في جيب تشاك الخلفي، وعرف الآن سبب نزول تشاك إلى هنا.
من أجل هذه الورقة.
من أجل تيدي.

آخر عشرين قدماً من الجرف كانت مؤلفة من صخور ضخمة،
بيوض سوداء عملاقة، مغطاة بالطحالب، واستدار تيدي حين وصل
إليها، استدار بحيث أصبحت ذراعاه خلفه، ودعم بكعب يديه كل
وزنه، وشق طريقه عبر هذه الصخور ورأى جرذاناً مختبئة في صدوعها.
حين وصل إلى آخر الصخور، أصبح على الشاطئ، وبحث عن
جثة تشاك ثم مشى إليها وأدرك أنها ليست جثة على الإطلاق. مجرد
صخرة أخرى، أصبحت بيضاء بفعل الشمس، مغطاة بحبال سميكة من
الطحالب البحرية.

شكراً... نوعاً ما. تشاك ليس ميتاً. تشاك ليس هذه الصخرة الطويلة الضيقة المغطاة بالطحالب البحرية.

طوّق تيدي فمه بيديه ونادى اسم تشاك بأعلى ما يمكن عبر الجرف. نادى ونادى واستطاع سماع الصدى ينتقل في البحر ويرتدّ على الصخور وينتقل مع النسيمات، وانتظر لرؤية رأس تشاك يظهر فوق القنّة.

كان يستعد ربما للنزول للبحث عن تيدي. قد يكون هناك الآن، يستعد.

صرخ تيدي اسمه إلى أن تجرّحت حنجرتة به. ثم توقف وانتظر سماع تشاك يناديه. أصبحت الدنيا مظلمة جداً لرؤية ما هو موجود في أعلى ذلك الجرف. سمع تيدي صوت الهواء. سمع الجرذان في صدوع الصخور. سمع صوت نورس، صوت المحيط. وبعد دقائق قليلة، سمع صوت منارة بوسطن مجدداً. تكيف نظره مع الظلمة ورأى عيوناً تراقبه. عشرات العيون. استقرت الجرذان على الصخور الضخمة وحدقت إليه، من دون خوف. هذا شاطئها ليلاً، وليس شاطئه.

إلا أن تيدي كان خائفاً من الماء. وليس من الجرذان. اللعنة على تلك الكائنات الصغيرة الحقيرة. يستطيع قتلها بالرصاص. ليرى كم سيبقى منها بعد، أن ينفجر عدد من أصدقائها.

إلا أنه لا يملك مسدساً، وقد تضاعف عدد الجرذان، فيما كان يراقبها. تحركت ذبول طويلة جيئة وذهاباً فوق الحجارة. شعر تيدي بالماء يرتطم بكاحليه وشعر بكل تلك العيون على جسمه، وسواء بدافع الخوف أو غير الخوف، بدأ يشعر بوخز في عموده الفقري، وبإحساس حكاك في كاحليه.

بدأ يمشي ببطء على الشاطئ ورأى أن هناك المئات منها، تستقر على الصخور تحت ضوء القمر مثلما تفعل عجول البحر تحت الشمس. راقبها وهي تقفز عن الصخور إلى الرمل، حيث كان يقف قبل لحظات قليلة فقط، ويرم رأسه ونظر إلى ما بقي من الشاطئ الممتد أمامه. ليس كثيراً. ثمّة جرف آخر ناتئ في المياه لمسافة ثلاثين ياردة تقريباً، وقد قطع الشاطئ فعلياً إلى جزئين، وإلى يمينه، بعيداً في المحيط، استطاع تيدي رؤية جزيرة لم يعرف حتى إنها موجودة هناك. استقرت تحت ضوء القمر مثل لوح صابون بني، وبدت قبضتها في البحر ثابتة تماماً. كان على تلك الأجراف في اليوم الأول مع ماكفرسون. لا توجد جزيرة هناك. إنه واثق من ذلك.

من أين أتت إذا؟ هذه الجزيرة؟

استطاع سماعها الآن، بعضها تتشاجر مع بعضها، لكن معظمها الآخر تنقر بأظافرها على الصخور وتصرخ على بعضها بعضاً، وأحس تيدي بالحكاك الذي في كاحليه ينتشر إلى ركبتيه وداخل فخذيته.

نظر إلى الخلف، نحو الشاطئ والرمل الذي اختفى تحت الجردان. نظر إلى الأعلى إلى الجرف، شاكراً القمر، الذي كان بديراً تقريباً، والنجوم، التي كانت ساطعة ولامتناهية. ورأى لونا لا يبدو منطقياً أكثر من الجزيرة التي لم تكن موجودة قبل يومين.

إنه لون برتقالي. في منتصف الجرف الأكبر. برتقالي. في جرف أسود. عند الغسق.

حدّق تيدي إليه وراقبه وهو يومض، بحيث يختفي ثم يتوهج، ويختفي ويتوهج. مثل النبض، فعلاً. مثل اللهب.

أدرك أنه كهف. أو على الأقل صدع كبير الحجم. وثمة شخص فيه هناك. تشاك. لا بد من ذلك. لقد طارد ربما الورقة نزولاً في القننة. وتعرض ربما للأذى وانتهى في شق طريقه عبر الجرف بدلاً من النزول إلى الأسفل.

نزع تيدي قبعته واقترب من أقرب صخرة ضخمة. قامت نصف دزينة من أزواج العيون بمراقبته ولوّح لها تيدي بالقبعة فجفلت وبرمت أجسامها المقرفة على الصخرة الضخمة، وتقدم تيدي إلى هناك بسرعة وركل بعض الجرذان الموجودة على الصخرة التالية فتنتحت له جانباً، ثم ركض فوق الصخور، وقفز من واحدة إلى أخرى، مع عدد أقل من الجرذان كل مرة، إلى أن لم يعد هناك أي جرد في انتظاره فوق الصخور السوداء القليلة الأخيرة، ثم راح يتسلق وجه الجرف، فيما لا تزال يدها تنزفان من النزول.

إلا أن التسلق كان سهلاً. كان الجرف أعلى وأعرض كثيراً من الجرف الأول، وإنما مع تدرجات ملحوظة والمزيد من التواءات فيه.

احتاج إلى ساعة ونصف الساعة تحت ضوء القمر، وتسلق، فيما النجوم تراقبه تماماً مثلما فعلت الجرذان، وفقد دولوريس في أثناء التسلق، فلم يستطع تصورها، ولم يستطع رؤية وجهها أو يديها أو شففتيها العريضتين. شعر أنها خرجت منه بطريقة لم يشهدها قبلاً منذ أن ماتت، وعرف أن السبب هو كل الجهد الجسدي وقلة النوم وقلة الطعام، لكنها اختفت. اختفت، فيما تسلق هو الجرف تحت ضوء القمر.

إلا أنه استطاع سماعها. بالرغم من أنه لم يستطع تصورها، استطاع سماعها في دماغه وكانت تقول له، هيا، تيدي، تابع. يمكنك العيش مجدداً.

هل هذا كل ما في الأمر؟ بعد سنتين من المشي تحت الماء، من التحديق إلى مسدسه الموضوع على الطاولة في غرفة الجلوس، فيما هو جالس في العتمة يستمع إلى تومي دورسي وديوك إلنغتون، من التأكد أنه لا يستطيع المضي قدماً، ولو خطوة واحدة في هذه الحياة اللعينة، من الاشتياق لها بقوة لدرجة أنه جعل ذات مرة إحدى أسنانه القاطعة تسحق أسنانه بدافع الحاجة إليها. بعد كل ذلك، هل يمكن أن تكون فعلاً هذه هي اللحظة التي يتخلى فيها عنها؟

لم أكن أحلم بك، دولوريس. أعرف ذلك. لكن في هذه اللحظة، أشعر وكأنني فعلت.

ويفترض ذلك، تيدي. يفترض ذلك. دعني أذهب.
حقاً؟

نعم صغيري.

سأحاول. اتفقنا؟

اتفقنا.

استطاع تيدي رؤية الضوء البرتقالي بض فوقه. استطاع الإحساس بالحرارة، ولو بالكاد، ولكنه غير مخطئ في ذلك. وضع يده على التواء الصخري الذي فوقه، ورأى الانعكاس البرتقالي على معصمه فدفن نفسه إلى الأمام على مرفقيه ورأى الضوء منعكساً على الجدران المتصدعة. وقف. كان سقف الكهف أعلى بإنش واحد فقط من رأسه، ورأى أن الفتحة منحنية إلى اليمين فلاحق بها ووجد أن الضوء منبعث من كومة من الأخشاب في فجوة صغيرة، محفورة في أرض الكهف ووقفت المرأة عند الجهة الأخرى من النار ووضعت يديها وراء ظهرها وقالت له: "من أنت؟".

"تيدي دانيالز".

كشفت المرأة عن شعر طويل وارتدت القميص الوردي الفاتح
الخاص بالمرضى وسروالاً مربوطاً عند الخصر وانتعلت خفّاً.

قالت: "هذا هو اسمك. ولكن ماذا تفعل؟".

"أنا شرطي".

أمالت رأسها، وقد بدأ الشيب يظهر في شعرها. "أنت المارشال".

أوماً تيدي برأسه. "هلا أزحت يديك من وراء ظهرك؟".

قالت: "لماذا؟".

"لأنني أريد أن أعرف ماذا تحملين".

"لماذا؟".

"لأنني أريد أن أعرف إذا كنت تستطيعين إيدائي".

ابتسمت عندها ابتسامة صغيرة. "أفترض أن هذا عادل".

"أنا مسرور لك".

رفعت يديها من وراء ظهرها، وكانت تحمل مبضعاً جراحياً
طويلاً ورقيقاً. "سأستمر في حمله، إذا كنت لا تمنع".

رفع تيدي يديه. "لا مشكلة عندي".

"هل تعرف من أكون؟".

قال تيدي: "مريضة من آشكيليف".

أمالت رأسها مرة أخرى ولمست ثوبها. "ما الذي دفعني
للهرب؟".

"حسناً، حسناً. نقطة جيدة".

"هل كل المارشالات الأمر كيّين أذكاء هكذا؟".

قال تيدي: "لم أتناول الطعام منذ مدة. أنا الآن أبطأ من المعتاد".

"هل نمت كثيراً؟".

"ما هذا؟".

"منذ وجودك على الجزيرة. هل نمت كثيراً؟".
 "ليس جيداً إذا كان هذا يعني أي شيء".
 "أوه، يعني". رفعت سروالها إلى الركبتين وجلست على الأرض،
 وأشارت إليه لفعل الشيء نفسه.
 جلس تيدي وحدّق إليها فوق النار.
 قال: "أنت راشايل سولاندو. الحقيقية".
 هزّت كتفها.
 "هل قتلت أولادك؟".
 وخزت جذع خشبة بالمبضع. "لم أنجب أبداً أولاداً".
 "لا؟".
 "لا. لم أتزوج أبداً. ستدرك حين تعرف أنني كنت أكثر من
 مريضة هنا".
 "كيف يمكنك أن تكوني أكثر من مريضة؟".
 وخزت جذعاً آخر ودفعته إلى النار وتطايرت الشرارات فوق
 اللهب، ثم اختفت قبل أن تصل إلى السقف.
 قالت: "كنت من الموظفين. مباشرة بعد انتهاء الحرب".
 "هل كنت ممرضة؟".
 نظرت إليه من خلال النار. "كنت طبيبة أيها المارشال. أول
 طبيبة أنثى في مستشفى دراموند في ديلاوير. الأولى بين الموظفين هنا
 في أشكيليف. أنت يا سيدي تنظر إلى رائدة حقيقية".
 أو إلى مريضة عقلية مجنونة، قال تيدي لنفسه.
 نظر إلى الأعلى ووجد عينيها مسمرتين عليه، وكانت عيناها
 لطيفتين ومتعبتين وعارفتين. قالت: "تظن أنني مجنونة".
 "لا".

"وماذا سيكون رأيك في امرأة محتبئة في كهف؟".
"فكّرت في أن هناك سبباً لذلك".

ابتسمت بغموض وهزّت رأسها. "لست مجنونة. لست كذلك.
وماذا سيقول طبعاً أي شخص مجنون؟ هذه هي العبقرية المطلقة. إذا لم
تكن مجنوناً لكن الناس قالوا للعالم إنك مجنون، تصبح كل احتجاجاتك
لإثبات العكس مجرد أوهام باطلة. هل تفهم ما أعنيه؟".
قال تيدي: "نوعاً ما".

"انظر إلى المسألة وفق القياس المنطقي. فلنقل إن القياس المنطقي
يبدأ من هذه النقطة. الرجال المجانين ينكرون أنهم مجانين. هل تتبعني؟".
قال تيدي: "طبعاً".

"حسناً. الجزء الثاني: بوب ينكر أنه مجنون. الجزء الثالث: جزء
إذاً. إذاً، بوب مجنون". وضعت الموضع على الأرض قرب ركبتيها
وحركت النار بعود خشبي. "إذا تم اعتبارك مجنوناً، فإن كل الأفعال
التي تثبت للآخرين أنك لست كذلك، تصبح في الواقع في إطار أفعال
الشخص المجنون. تصبح احتجاجاتك السليمة إنكاراً. تصبح مخاوفك
المشروعة رهاباً. يطلق على غرائزك للصمود اسم آليات الدفاع. ليس
هذا وضعاً يمكنك الفوز فيه. إنه بالفعل حكم بالإعدام. حين تصل إلى
هنا، لا يمكنك الخروج أبداً. لا أحد يترك الجناح ج. لا أحد. حسناً، لقد
فعل بعضهم ذلك، أوكد لك. لكنهم خضعوا للجراحة. في الدماغ.
مباشرة عبر العين. إنها ممارسة طبية بربرية، خالية من الضمير، وقلت لهم
ذلك. حاربتهم. كتبت الرسائل. وكان في وسعهم إقالي، هل تعرف؟
كان في وسعهم طردي أو إقالي، أو نقلي إلى منصب تعليمي أو حتى
إجباري على ممارسة الطب خارج البلاد، لكن هذا لم يكن جيداً
كفاية. لم يكن في وسعهم تركي، لا يمكنهم ذلك. لا، لا، لا".

أصبحت أكثر وأكثر اضطراباً، فيما تحدثت، وحركت النار
بعودها، وتحدثت إلى ركبتيها أكثر مما تحدثت إلى تيدي.

قال تيدي: "هل كنت فعلاً طيبة؟".

"أوه، نعم. كنت طيبة". نظرت فوق ركبتيها وعودها. "في
الواقع، ما زلت. لكن، نعم، كنت من بين الموظفين هنا. بدأت أتساءل
عن الشحنات الكبيرة من صوديوم أميتال أو الأدوية المهلوسة المرتكزة
على الأفيون. بدأت أتساءل - وبصوت عال لسوء الحظ - عن
الإجراءات الجراحية التي تبدو اختبارية كثيراً إذا أردنا تلطيف العبارة".
قال تيدي: "ماذا يفعلون هناك؟".

وجهت إليه ابتسامة سخرية منكفئة. "ألا تعرف؟".

"أعرف أنهم يخرقون قانون نورمبرغ".

"يخرقونه؟ لقد انتهكوه كله".

"أعرف أنهم يجرون علاجات جذرية".

"جذرية نعم. علاجات لا. ما من علاج يُجرى هنا، أيها

المرشال. هل تعرف من أين تأتي الأموال الخاصة بهذا المستشفى؟".

أوماً تيدي برأسه. "من مكتب الخدمات الاستراتيجية".

قالت: "من دون أن نذكر مال الرُسنى. المال يتدفق بغزارة إلى

هنا. اسأل نفسك الآن: كيف يدخل الألم إلى الجسم؟".

"حسب المكان الذي تأذيت فيه".

"لا". هزت رأسها بتعاطف. "لا علاقة له أبداً باللحم. يرسل

الدماغ ناقلات عصبية عبر الجهاز العصبي. يتحكم الدماغ بالألم.

يتحكم بالخوف، النوم، التعاطف، الجوع، كل ما نربطه بالقلب أو

الروح أو الجهاز العصبي يخضع فعلياً لسيطرة الدماغ، كل شيء".

"حسناً...".

سقطت عينها في نار الموقد. "ماذا لو استطعت السيطرة عليه؟".

"الدماغ؟".

أومأت برأسها. "إعادة ابتكار رجل لا يحتاج إلى النوم، لا يشعر بالألم، أو الحب، أو التعاطف. رجل لا يمكن استجوابه، لأنه تم إخلاء مستوعبات ذاكرته". حرّكت النار ونظرت إليه. "إنهم يتكرون الأشباح هنا، أيها المارشال. يتكرون أشباحاً لتخرج إلى العالم وتنجز أفعالاً شبحية".

"لكن هذا النوع من القدرة، هذا النوع من المعرفة هو...".

وافقته الرأي: "يحتاج إلى سنوات عدة. أوه، نعم. إنها عملية ممتدة على عقود طويلة أيها المارشال. لقد بدأوا من مكان مماثل للذي انطلق منه السوفييات. غسل الدماغ، تجارب الحرمان. تماماً، مثلما أجرى النازيون اختبارهم على اليهود لرؤية تأثير الدرجات المفرطة من الحرّ والبرد وتطبيق هذه النتائج لمساعدة جنود الرايخ. لكن، ألا تفهم أيها المارشال؟ بعد نصف قرن من الآن، سينظر الناس إلى الخلف ويقولون: ضربت الأرض القذرة بسبابتها؛ "هنا بدأت كل القصة. استخدم النازيون اليهود. استخدم السوفييات السجناء في زنزاناتهم. وهنا، في أميركا، اخترنا المرضى في هذه الجزيرة".

لم يقل تيدي أي شيء. لم تخطر له أي كلمة.

نظرت مجدداً إلى النار. "لا يمكنهم أن يسمحوا لك بالمغادرة. أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟".

قال تيدي: "أنا مارشال فدرالي. كيف سيتمكنون من منعي؟".

أدى ذلك إلى رسم ابتسامة على وجهها وإلى تصفيق يديها. "كنت طيبة نفسية محترمة من عائلة محترمة. ظننتُ ذات مرة أن هذا

كاف. أكره إبلاغك بذلك، لكنه لم يكن كافياً. دعني أسألك أمراً؛ هل عانيت من أي صدمات سابقة في حياتك؟".
"ومن منا لا يملك مثل هذه الصدمات؟".

"آه، نعم. لكننا لا نتحدث عن العموميات، أو عن أشخاص آخرين. نحن نتحدث عن خصوصيات. أنت. هل لديك نقاط ضعف نفسية يمكن استغلالها؟ هل هناك حدث أو أحداث في ماضيك يمكن اعتبارها بمثابة عوامل منذرة لفقدانك صوابك؟ هكذا، حين يحكمون عليك هنا، وسيفعلون، يقول أصدقاؤك وزملاؤك: طبعاً. لقد انهار، أخيراً، ومن لا يفعل ذلك؟ إنها الحرب التي سببت له ذلك. وخسارة أمه، أو أي كان. ما رأيك؟".

قال تيدي: "يمكن قول ذلك عن أي شخص".
"حسناً، هذه هي النقطة. ألا ترى؟ نعم يمكن قول ذلك عن أي شخص، لكنهم سيقولونه عنك أنت. كيف حال رأسك؟".
"رأسي؟".

قضمت شفتها السفلية وأومأت برأسها مرات عدة. "نعم، الكتلة التي فوق رأسك. كيف حالها؟ هل من أحلام غريبة في الآونة الأخيرة؟".

"طبعاً".

"صداع؟".

"أنا عرضة لصداع الشقيقة".

"الله. لا".

"بلى".

"هل تناولت أي أدوية منذ مجيئك إلى هنا، حتى الأسيرين؟".

"نعم".

"هل تشعر أنك لست على ما يرام ربما؟ لست على بعضك مئة بالمئة؟ تقول لنفسك أوه ليست هذه مشكلة كبيرة، وإنما تشعر فقط ببعض الانزعاج. أو ربما لا ينجز دماغك الروابط بسرعة مثل المعتاد. لكنك تقول لنفسك إنك لا تنام جيداً. سرير غريب، مكان غريب، عاصفة. تقول هذه الأمور لنفسك. صحيح؟".
أوماً تيدي برأسه.

"وأفترض أنك تناولت الطعام في الكافيتيريا، وشربت القهوة التي قدموها لك. أخبرني على الأقل أنك تدخن سجائر الخاصة".
اعترف تيدي: "سجائر شريكي".

"لم تأخذ أبداً أي سيجارة من طبيب أو ممرض؟".
تذكر تيدي السجائر التي ربحها في البوكر تلك الليلة ووضعها في جيب قميصه. تذكر أنه دخن سيجارة من سجائر كاولي يوم وصلا، وكيف كان طعمها أطيب من كل السجائر الأخرى التي دخنها في حياته.

استطاعت رؤية الجواب في وجهه.
"تبرز الحاجة إلى ثلاثة أو أربعة أيام كي تصل المخدرات العصبية إلى مستويات قوية في الدم. خلال هذا الوقت، بالكاد تلاحظ تأثيراتها. في بعض الأحيان، يعاني المرضى من نوبات. لكن يظن خطأ أن هذه النوبات هي نوبات صداع الشقيقة، خصوصاً إذا كان المريض يملك تاريخاً لصداع الشقيقة. على كل حال، تكون هذه النوبات نادرة. في العادة، تكمن التأثيرات الوحيدة الملحوظة في أن المريض...".
"توقفي عن مناداتي بالمريض".

"... يلحم بيقظة متزايدة ولفترات أطول من الوقت، وتختلط الأحلام غالباً ببعضها، وتدعم بعضها بعضاً إلى أن تصبح شبيهة برواية

كتبها بيكاسو. أما التأثير الآخر الملحوظ فهو إحساس المريض، أوه، ببعض الارتباك. تكون أفكاره أقل وضوحاً. لكنه لا ينام جيداً، مع كل تلك الأحلام، ولذلك يمكن مساعدته على الإحساس قليلاً ببعض الارتباك. ولا، أيها المارشال، لم أكن أناديك بالمريض. ليس بعد. كنت أتحدث في العموميات".

"إذا تفاديت كل الطعام والسجائر، والقهوة، والأدوية، فما مقدار الضرر الذي يمكن أن يكون قد لحق بي؟".

أبعدت شعرها عن وجهها وبرمته في عقدة وراء رأسها. "أخشى أن يكون حصل الكثير".

"لنقل إنني لم أتمكن من الخروج من هذه الجزيرة قبل الغد. ولنقل إن المخدرات بدأت تعطي تأثيرها. كيف سأعرف؟".

"الأدلة الأكثر بروزاً هي فم جاف مترافق مع لعاب سائل، شلل ارتجافي. ستلاحظ ارتجافات صغيرة. تبدأ حين يلتقي معصمك بإبهامك وتمتد عادة على طول الإبهام لبعض الوقت قبل أن تصل إلى يديك".

هذا ما يحصل معه.

قال تيدي: "ماذا أيضاً؟".

"حساسية للضوء، صداع في القسم الأيسر من الدماغ، كلمات متلعثمة. ستتأني أكثر".

استطاع تيدي سماع المحيط في الخارج، والمدّ القادم، المرتطم بالصخور.

قال: "ماذا يحصل في المنارة؟".

هزّت كتفها وانحنت إلى الأمام نحو النار. "جراحة".

"جراحة؟ يمكنهم إنجاز الجراحة في المستشفى؟".

"جراحة دماغ".

قال تيدي: "يمكنهم فعل ذلك هناك أيضاً!".

حدّثت إلى اللهب المشتعل. "جراحة استكشافية. ليس من نوع
لنفتح الجحمة ونصلح ذلك وإنما من نوع لنفتح الجحمة ونرى ماذا
يحصل إذا سحبنا هذا. النوع غير الشرعي، أيها المارشال. النوع الذي
جرى تعلمه من النازيين". ابتسمت له. "هناك يحاولون ابتكار
أشباحهم".

"ومن يعرف عن ذلك؟ أقصد في الجزيرة؟".

"بشأن المنارة؟".

"نعم، المنارة".

"الجميع".

"هيا. حتى المرضى والمرضات".

نظرت إلى عيني تيدي عبر اللهب، وكانت نظرتها ثابتة
وصافية.

كررت: "الجميع".

لا يذكر أنه نام، لكن لا بد من ذلك لأنها كانت تهره.

قالت: "عليك الذهاب. يظنون أنني ميتة. يظنون أنني غرقت. إذا

جاؤوا للبحث عنك، سيعثرون عليّ. أنا آسفة. لكن عليك الذهاب".

وقف وفرك وجنتيه مباشرة تحت عينيه.

قالت: "ثمّة طريق إلى شرق أعلى هذا الجرف. اتبعها وستقودك

إلى الغرب. ستصبح وراء قصر القيادة السابق بعد ساعة مشي تقريباً".

قال: "هل أنت راشايل سولاندو؟ أعرف أن التي التقيت بها

كانت مزيفة".

"وكيف تعرف؟".

تذكر تيدي إهماميه الليلة الفائتة. كان يحرق إليهما حين وضعاه في السرير. وحين استيقظ، وجد أنه تم تنظيفهما. قال لنفسه: إنه طلاء أحذية، ثم تذكر أنه لمس وجهها...

قال: "كان شعرها مصبوغاً. حديثاً".

"عليك الذهاب". برمت كتفه برفق نحو فتحة الكهف.

قال: "إذا احتجتُ إلى العودة".

"لن أكون هنا. أتحرك خلال النهار. أماكن جديدة كل ليلة".

"لكنني قد أعتريك وأخذك من هنا".

وجهت إليه ابتسامة حزينة ومشطت الشعر عند صدغيه. "لم

تسمع كلمة واحدة مما قلته لك، أليس كذلك؟".

"نعم".

"لن تخرج أبداً من هنا. أنت واحد منا الآن".

ضغطت بأصابعها على كتفه ودفعته نحو فتحة الكهف.

توقف تيدي عند الفتحة ونظر مجدداً إليها. "لديّ صديق. كان

معي الليلة، ثم انفصلنا. هل رأيته؟".

وجهت إليه الابتسامة الحزينة نفسها.

قالت: "أيها المارشال، لا تملك أصدقاء".

حين وصل إلى الجهة الخلفية لمنزل كاولي، بالكاد كان يستطيع المشي.

شق طريقه من خلف المنزل وبدأ يمشي في الطريق المؤدي إلى الباب الرئيس، وهو يشعر أن المسافة تضاعفت أربع مرات منذ هذا الصباح، وخرج رجل من الظلام وأصبح على جانب الطريق قربهِ ومرر ذراعه تحت ذراع تيدي وقال: "كنا نتساءل متى ستظهر". إنه أمر السجن.

كانت بشرته بيضاء مثل الشمع، وناعمة، كما لو أنه جرى صقلها، وشفافة تقريباً. لاحظ تيدي أن أظافره طويلة وبيضاء مثل بشرته، وأطرافها على وشك الانعقاد ومبرودة تماماً. لكن عينيه كانتا الشيء الأكثر إرباكاً فيه. باللون الأزرق الحريري، مع تساؤل غريب. عينا طفل.

"سررت أخيراً بلقائك حضرة أمر السجن. كيف حالك؟".

قال الرجل: "أوه. بأفضل حالاً. وأنت؟".

"لم أكن يوماً أفضل حالاً".

ضغط أمر السجن على ذراعه. "سررت لسماع ذلك. هل كنت تقوم بنزهة تسلية؟".

"حسناً، بعد أن تم العثور الآن على المريضة، فكّرت في أن أقوم بجولة في الجزيرة".

"أنا واثق من أنك استمتعت".
"تماماً".

"رائع. هل صادفت السكان الأصليين عندنا؟".
احتاج تيدي إلى دقيقة. كان رأسه يئزّ باستمرار. بالكاد استطاعت ساقاه حمله.
قال: "أوه الجرذان!".

ربّت أمر السحن على ظهره. "نعم، الجرذان! ثمة شيء فخّم بطريقة غريبة فيها، أليس كذلك؟".
نظر تيدي إلى عيني الرجل وقال: "إنها جرذان".

"حيوانات مؤذية. نعم، أفهم. لكن طريقة جلوسها على الصخور وتحديقها إليك إذا رأت أنك على مسافة آمنة منها، وطريقة تحركها برشاقة، داخل الوكر وخارجه قبل أن تطرف حتى عينك..." . نظر إلى الأعلى، إلى النجوم. "حسناً، قد تكون كلمة فخّم غير صحيحة نوعاً ما. ماذا عن مفيدة؟ إنها كائنات مفيدة على نحو استثنائي".

وصلا إلى البوابة الرئيسة وأبقى أمر السحن قبضته على ذراع تيدي واستدار في مكانه، بحيث أصبحا ينظران إلى منزل كاولي والبحر في الخلف.

قال أمر السحن: "هل استمتعت بآخر هدية؟".
نظر تيدي إلى الرجل وأحسّ بالمرض في تلك العينين المثاليتين.
"عذراً؟".

قال أمر السحن: "الهدية". وحركت ذراعه الأرض الممزقة. "العنف. حين نزلت إلى الطابق السفلي في منزلي ورأيت الشجرة في غرفة الجلوس، أحسست أن يداً فعلت ذلك. ليس بصورة حرفية، طبعاً. وإنما بصورة مجازية. إنه يحب العنف. أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟".

قال تيدي: "لا. لا أفهم".

تقدم آمر السجن بضع خطوات إلى الأمام واستدار لمواجهة تيدي. "وما الشيء الآخر الذي يوجد منه بهذا القدر؟ إنه فينا. إنه يخرج منا. هذا ما نفعله بصورة طبيعية أكثر مما نتنفس. نسعى للحرب. نحرق الأضاحي. نمزق لحم إخوتنا. غملاً حقولاً كبيرة بموتانا، لماذا؟ لنظهر له أننا تعلمنا منه".

راقب تيدي يد الرجل وهي تربّت على غلاف الكتاب الصغير الذي حمله قرب بطنه.

ابتسم وكانت أسنانه صفراء.

"نعطى الهزات الأرضية، والأعاصير، والعواصف. نعطي جبال تطلق النار على رؤوسنا. محيطات تبتلع السفن. نعطي الطبيعة، والطبيعة هي قاتل مبتسم. نعطي المرض لكي نظن في مامتنا أننا أعطينا الفتحات فقط لكي نشعر أن الحياة تنزف منها. نعطي الشهوة والغضب والجشع وقلوبنا المليئة بالحق. بحيث نستخدم العنف بشرف. ما من قانون أخلاقي على الإطلاق. هناك فقط هذا السؤال: هل يستطيع عنفي التغلب على عنفك؟".

قال تيدي: "لست واثقاً من أنني...".

"هل يستطيع؟". اقترب آمر السجن أكثر واستطاع تيدي شم رائحة نفسه الكريهة.

سأل تيدي: "يستطيع ماذا؟".

"يستطيع عنفي التغلب على عنفك؟".

قال تيدي: "لست عنيفاً".

بصق آمر السجن على الأرض قرب قدميه. "أنت عنيف بقدرهم حين يأتون. أعرف، لأنني عنيف بقدرهم حين يأتون".

تبت تيدي قلميه، وأحسّ بالدم يتدفق عبر ذراعيه.
همس آمر السجن: "نعم، نعم. أصبحت وقيودي أصدقاء".
"ماذا؟". وجد تيدي نفسه يهمس، فيما جسمه ينبض بوحز
غريب.
قال آمر السجن: "إنه بايرون. ستذكر هذه العبارة، أليس
كذلك؟".

ابتسم تيدي، فيما تراجع الرجل خطوة إلى الخلف. "لقد خرقوا
فعلاً القانون معك، أليس كذلك يا آمر السجن؟".
ابتسامة رقيقة لتطابق ابتسامة تيدي.
"يظن أنه لا بأس في ذلك".
"في ماذا؟".

"فيك. في لعبتك. يظن أن هذا غير مؤذٍ نسبياً، لكنني لا أظن
ذلك".
"لا؟".

"لا". أنزل آمر السجن ذراعه وتقدم بضع خطوات إلى الأمام.
شبك يديه وراء ظهره، بحيث أصبح كتابه لجهة ظهره عند قاعدة
عموده الفقري، ثم استدار وأبعد قلميه عن بعضهما على الطريقة
العسكرية وحدّق إلى تيدي: "يقول إنك خرجت للقيام بنزهة، لكنني
أعرف أفضل. أعرفك، بني".
قال تيدي: "التقينا للتو".

هزّ آمر السجن رأسه. "نحن نعرف بعضنا منذ قرون. أعرفك في
الصميم. وأظن أنك حزين. فعلاً". زمّ شفّتيه ونظر إلى حذائه. "لا بأس
في الحزن. هذا مثير للشفقة عند الرجال، لكن لا مشكلة في ذلك، لأنه
لا يؤثر فيّ. لكنني أظن أيضاً أنك خطير".

قال تيدي: "يملك كل رجل الحق في رأيه".

اسودّ وجه أمر السجن. "لا. الرجال حمقى. يأكلون ويشربون
ويطردون الغازات ويتناسلون، وهذه الميزة الأخيرة مؤسفة على وجه
التحديد، لأن العالم سيكون أفضل كثيراً مع عدد أقل منا فيه.
المتخلفون والمجانين وأصحاب الأخلاق المنحطة، هذا ما ننتجه. هذا
ما نفسد الأرض به. في الجنوب الآن، يحاولون إبقاء زواجهم في
الصف. لكنني سأقول لك شيئاً؛ أمضيت وقتاً في الجنوب، وجميعهم
زنوج هناك، بنيّ. زنوج بيض، زنوج سود، زنوج نساء. هناك
زنوج في كل مكان وليسوا أكثر فائدة من الكلاب التي تمشي على
أربع قوائم. على الأقل، ما زال باستطاعة القلب شمّ الرائحة بين
الحين والآخر. أنت زنجي، بنيّ. أنت من طينة سيئة. أستطيع شمّ
ذلك عندك".

كان صوته خفيفاً بطريقة مفاجئة، وأثنوياً تقريباً.

قال تيدي: "حسناً، لن تضطر إلى القلق بشأنى بعد الصباح، أليس
كذلك يا أمر السجن؟".

ابتسم أمر السجن. "لا، لن أفعل، بنيّ".

"سأكون بعيداً عنك وعن جزيرتك".

تقدم أمر السجن خطوتين نحوه، واختفت ابتسامته. أحنى رأسه
صوب تيدي وحدّق إليه بطريقة طفولية.

"لن تذهب إلى أي مكان، بنيّ".

"أراهن على العكس".

"راهن على كل ما تشاء". انحنى أمر السجن وشمّ الهواء إلى يسار
وجه تيدي، ثم حرك رأسه وشمّ الهواء إلى يمينه.

قال تيدي: "هل تشمّ شيئاً ما؟".

"همم همم". تراجع أمر السجن إلى الخلف. "أشم شيئاً مثل
الخوف، بئى".

قال تيدي: "إذاً، عليك الاستحمام ربما، لغسل تلك القذارة عنك".
لم يتحدث أي منهما للحظات، ثم قال أمر السجن: تذكر تلك
السلاسل أيها الزنجي. إنها صديقتك. واعلم أنني أتطلع كثيراً لرقصتنا
الأخيرة. آه، يا للمجزرة التي سنحققها!".
واستدار ومشى في الطريق المؤدي إلى منزله.

كان مبنى نوم الرجال مهجوراً. ما من روح داخل المكان. ذهب
تيدي إلى غرفته وعلّق معطفه في الخزانة وبحث عن دليل لعودة تشاك
إلى هنا، ولكنه لم يجد أي شيء.

فكّر في الجلوس على السرير، لكنه عرف أنه إذا فعل، سينام ولن
يستيقظ ربما قبل الصباح، ولذلك توجه إلى الحمام وغسل وجهه بالماء
البارد، ومشط قصته القصيرة بمشط رطب. شعر بالألم في عظامه وبدأ
دمه كثيفاً مثل اللبن المملّت، وكانت عيناه غارقتين وحمراوين، فيما
بشّرتة رمادية. غسل وجهه بالمزيد من الماء البارد ثم جففه وتوجه إلى
الخارج نحو المجمّع الرئيس.
لا أحد.

بدأ الهواء يسخن، ويصبح رطباً ودبقاً، وبدأت الصراصير والزيزان
تطلق أصواتها. تحول تيدي في المكان، على أمل أن يكون تشاك وصل
قبله نوعاً ما، ويفعل ربما الشيء نفسه، يتجول في المكان إلى حين
الارتطام بتيدي.

ثمّة حارس على البوابة، واستطاع تيدي رؤية الأنوار في الغرف،
لكن باستثناء ذلك، كان المكان فارغاً. شق طريقه إلى مستشفى وصعد

السلام وفتح الباب، لكنه وجد أنه مقفل. سمع صليل مفاصل ونظر فرأى أن الحارس فتح البوابة وخرج لينضم إلى صديقه في الجهة الأخرى، وحين أغلقت البوابة مجدداً، استطاع تيدي سماع حذائه يكشط على أرض الباطون، فيما تراجع بعيداً عن الباب.

جلس على الدرج لدقيقة. هذا كثير نسبة إلى نظرية نوبس. الآن تيدي، ومن دون أي شك، لوحده تماماً. إنه محبوس، نعم. وإنما غير مراقب، حسبما يعلم.

توجه إلى الجهة الخلفية للمستشفى وصدره ممتلئ، حين رأى ممرضاً يجلس على المنبسط الخلفي يدخن سيجارة.

اقترب تيدي، ونظر إليه الولد، الذي كان ولداً أسود نحيلاً. سحب تيدي سيجارة من جيبه وقال: "لديك قذاحة؟". "طبعاً".

انحنى تيدي إلى الأمام، فيما أشعل له الولد السيجارة، وابتسم له ابتسامة الشكر ثم تراجع إلى الخلف، وتذكر ما قالته له المرأة عن تدخين سجائره، وجعل الدخان ينبعث ببطء من فمه من دون أن يستنشقه. قال: "كيف حالك الليلة؟".

"بخير. وأنت سيدي؟".

"أنا بخير. أين الجميع؟".

مدّ الولد إبهامه خلفه. "هناك. ثمة اجتماع كبير. لا أعرف عماذا".

"كل الأطباء والممرضات؟".

أوماً الولد برأسه. "بعض المرضى أيضاً. معظم الحراس. أنا علقت هنا مع هذا الباب، لأن القفل لا يعمل جيداً. وإلا لكنت هناك أيضاً. نعم الجميع هناك".

مَحّ تيدي سيجارته مرة جديدة، وأمل ألا يلاحظ الولد ذلك. تساءل إذا كان يجدر به شق طريقه عبر السلام، على أمل أن يظنه الولد حارساً آخر، واحداً من الجناح ج ربما. ثم رأى عبر النافذة، التي خلف الولد، أن القاعة تمتلئ، وأن الأشخاص يتوجهون إلى الباب الأمامي. شكر الولد على القُدّاحة وتوجه إلى الأمام، والتقى بمجموعة من الأشخاص يجتمعون هناك، يتحدثون ويشعلون السجائر. رأى الممرضة ماريانو تقول شيئاً لتراي واشنطن، ووضعت يدها على كتفه، وحين فعلت، أرجع تراي رأسه إلى الخلف وضحك. بدأ تيدي المشي نحوهما حين ناداه كاولي من الأعلى: "أيها المارشال!".

استدار تيدي ونزل كاولي عن السلام وجاء صوبه، ولمس مرفق تيدي، وبدأ يمشي نحو الجدار. قال كاولي: "أين كنت؟". "أتحول. أنظر إلى جزيرتكم". "حقاً؟". "حقاً". "هل وجدت شيئاً ممتعاً؟". "جرذاناً!". "حسناً، طبعاً، هناك الكثير منها".

قال تيدي: "كيف حال تصليح السقف؟". تنهد كاولي. "ثمة أوعية في كل أرجاء منزلي لاستيعاب الماء المتساقط. تم الانتهاء من العلّية. وكذلك من الأرضية في غرفة نوم الضيوف. ستفقد زوجتي صوابها. كان فستان زفافها في تلك العلة".

قال تيدي: "أين زوجتك؟".

قال كاولي: "في بوسطن. لدينا شقة هناك. احتاجت هي والأولاد إلى إجازة من هذا المكان فأخذوا إجازة لمدة أسبوع. تفقد أعصابك أحياناً".

"مضى على وجودي هنا ثلاثة أيام حضرة الطبيب وبدأت أفقد أعصابي".

أوما كاولي برأسه مع ابتسامة لطيفة. "لكنك ستذهب؟".
"أذهب؟".

"إلى المنزل أيها المارشال. الآن بعد أن تم العثور على راشايل. يصل المركب إلى هنا عادة قرابة الحادية عشرة ظهراً. يفترض أن تصل إلى بوسطن عند الظهر، حسبما أتوقع".
"لن يكون ذلك جميلاً".

"بلى، أليس كذلك؟". مرر كاولي يداً فوق رأسه. "أريد أن أقول لك أيها المارشال، ولا أقصد الإهانة...".
"أوه، ها قد عدنا مجدداً".

رفع كاولي يده. "لا. لا. لا آراء شخصية في ما يتعلق بحالتك العاطفية. لا، كنت على وشك القول: إن حضورك هنا سبب الاضطراب للعديد من المرضى. تعرف، وجود الشرطي في المكان. جعل ذلك العديد منهم يشعرون بالتوتر".
"آسف بشأن ذلك".

"ليست هذه غلطتك. إنها ما تمثله، وليس أنت شخصياً".

"أوه، حسناً، هذا يجعل كل شيء على ما يرام إذاً".

اتكأ كاولي على الجدار، ووضع قدماً عليه، وبدا متعباً بقدر تيدي في ثوبه الأبيض المجدد وربطة عنقه الرخوة.

"نمسة إشاعة في الجناح ج سرت بعد ظهر اليوم تقول: إن رجلاً غير معروف يرتدي ثياب ممرض كان في الطابق الرئيس".
"حقاً؟"

نظر إليه كاولي. "حقاً".

"كيف حصل ذلك؟"

أمسك كاولي بربطة عنقه وأفلتها بأصابعه. "يقال إن غريباً يملك، على ما يبدو، خبرة في إخضاع الرجال الخطيرين".
"لا تقل لي ذلك".

"أوه، بلى، بلى".

"ماذا فعل ذلك الغريب؟"

"حسناً". مدد كاولي كتفيه إلى الخلف وخلع ثوبه الأبيض، ولفه فوق ذراعه. "أنا مسرور لأنك مهتم".

"هاي، لا شيء أفضل من الإشاعة الصغيرة".

"أوافقك الرأي. يقال إن الغريب - ولا أستطيع تأكيد ذلك - أجرى محادثة طويلة مع شخص مصاب بانفصام الشخصية اسمه جورج نويس".

قال تيدي: "هممم".

"حقاً".

"إذاً، هذا...".

قال كاولي: "نويس".

كرر تيدي: "نويس. نعم، ذلك الرجل، هو مريض وهم، أليس كذلك؟".

قال كاولي: "إلى أقصى الحدود. إنه يدور في مكانه ويخبر قصصاً ويجعل الجميع مضطربين...".

"ها قد استخدمت الكلمة مجدداً".

"أنا آسف. حسناً، نعم، إنه يجعل الأشخاص في مزاج سيئ. في الواقع، قبل أسبوعين جعل الأشخاص مضطربين جداً لدرجة أن مريضاً ضربه".

"تخيل ذلك".

هزّ كاولي كتفه. "يحصل هذا".

سأل تيدي: "إذاً، أي نوع من القصص؟ أي نوع من الأخبار؟".
لوّح كاولي في الهواء. "الأوهام الرهاية العادية. إن العالم كله يسعى وراءه وما شابه". نظر إلى تيدي، فيما أشعل سيجارة، وأشرقت عيناه مع اللهبة. "إذاً، ستغادر".

"أظن ذلك".

"في أول مركب".

وجه إليه تيدي ابتسامة جامدة. "شرط أن يوقظنا أحد".

ردّ له كاولي الابتسامة. "أظن أننا نستطيع تدبير ذلك".

"رائع".

قال كاولي: "رائع. هل تريد سيجارة؟".

رفع تيدي يده أمام العلبة. "لا، شكراً".

"هل تحاول الإقلاع؟".

"أحاول التخفيف".

"هذا شيء جيد ربما. كنت أقرأ في الصحف كيف يرتبط التبغ بمجموعة من الأمور المريعة".

"حقاً؟".

أوماً برأسه قائلاً: "السرطان واحد منها حسبما سمعت".

"هناك الكثير من الطرائق للموت هذه الأيام".

"صحيح. لكن هناك المزيد والمزيد من الطرائق للشفاء."
"هل تظن ذلك؟".

"لما كنت زاولت هذه المهنة". نفخ كاولي الدخان فوق رأسه.
قال تيدي: "هل جاءكم يوماً إلى هنا مريض اسمه آندرو لايديز؟".

أخفض كاولي ذقنه نحو صدره قائلاً: "لا يعني لي الاسم شيئاً".
"لا؟".

هزّ كاولي كتفه. "وهل يفترض ذلك؟".
هزّ تيدي رأسه. "كان رجلاً أعرفه. إنه...".
"كيف؟".

"ماذا كيف؟".

"كيف تعرفه؟".

قال تيدي: "في الحرب".
"أوه".

"على كل حال، سمعت أنه أصيب بالجنون قليلاً، وتم إرساله إلى هنا".

مَجّ كاولي سيجارته ببطء وقال: "سمعت خطأ".
'هذا ما يبدو".

قال كاولي: "يحصل ذلك. ظننت أنني سمعتك تقول: نحن قبل لحظة".

"ماذا؟".

قال كاولي: "نحن. استخدمت صيغة الجمع".
وضع تيدي يده على صدره. "بالإشارة إلى نفسي؟".
أوماً كاولي برأسه. "ظننت أنك قلت شرط أن يوقظنا أحد".

"حسنًا، صحيح. هل رأيته بالمناسبة؟".
رفع له كاولي حاجبه.
قال تيدي: "هيا. هل هو هنا؟".
ضحك كاولي ونظر إليه.
قال تيدي: "ماذا؟".
هزّ كاولي كتفه. "أنا فقط مرتبك".
"مرتبك من ماذا؟".
"منك أيها المارشال. هل هذه نكتة غريبة منك؟".
قال تيدي: "أي نكتة. أريد أن أعرف فقط إذا كان هنا".
"من؟". سأل كاولي وظهر اليأس في صوته.
"تشاك".
"تشاك؟". قال كاولي ببطء.
قال تيدي: "شريك. تشاك".
ابتعد كاولي عن الجدار، والسيجارة بين أصابعه وقال: "ليس
لديك شريك أيها المارشال. جئت إلى هنا لوحدي".

قال تيدي: "انتظر دقيقة..." .
 وجد كاولي، الذي بات أقرب الآن، يحدق إليه.
 أغلق تيدي فمه، وأحسّ بليل الصيف يتغلغل في جفنيه.
 قال كاولي: "أخبرني مجدداً. عن شريكك".
 كانت نظرة كاولي الفضولية أغرب شيء رآه تيدي. نظرة ثاقبة
 وذكية وخالية تماماً من التعابير. إنها نظرة الرجل المستقيم الذي يدعي
 أنه لا يعرف من أين أتت الضربة.
 وكان تيدي بمثابة أولي أمام ستان. وهو مهرّج يرتدي برميلاً
 خشبياً بمثابة سروال مع حمالات رخوة. آخر شخصية في المسرحية.
 "أيها المارشال؟". تقدم كاولي خطوة صغيرة إضافية إلى الأمام،
 مثل الرجل الذي يطارد فراشة.
 إذا عارض تيدي، إذا أصرّ على معرفة أين هو تشاك، إذا ناقش
 حتى فكرة وجود تشاك، يكون أصبح لعبة بين أيديهم.
 التقت عينا تيدي بعيني كاولي ورأى الضحكة فيهما.
 قال تيدي: "الرجال المحانين ينكرون أنهم مجانين".
 خطوة أخرى. "عفواً؟".
 "بوب ينكر أنه مجنون".
 شبك كاولي ذراعيه فوق صدره.
 قال تيدي: "إذاً، بوب مجنون".

تراجع كاولي إلى الخلف وارتسمت الآن الابتسامة على وجهه.
ارتسمت ابتسامة أيضاً على وجه تيدي.

وقفنا هناك على هذا النحو لبعض الوقت، وتحرك نسيم الليل بين
الأشجار فوق الجدار.

"أنت تعرف". قال كاولي وهو يحرك العشب بقدميه، ورأسه إلى
الأسفل: "أسست شيئاً مهماً هنا. لكن الأشياء المهمة يساء فهمها أيضاً
في زمنها. يرغب الجميع في حل سريع. لقد تعبنا من الخوف، تعبنا من
الحزن، تعبنا من الشعور بالإرهاق، تعبنا من الإحساس بالتعب. نريد أن
تعود الأيام القديمة، من دون أن نتذكرها حتى، ونريد في المقابل التقدم
في المستقبل بسرعة فائقة. الصبر يصبح من أول أضرار التقدم. ليس هذا
خبراً جديداً. ليس خبراً على الإطلاق. لطالما كانت الأمور كذلك".
رفع كاولي رأسه. "بقدر ما أملك عدداً كبيراً من الأصدقاء أصحاب
النفوذ، أملك أيضاً عدداً من الأعداء أصحاب النفوذ. إنهم أشخاص
يريدون تحطيم ما أسسته من سيطرتي. لا أسمح بذلك من دون معركة.
هل تفهم؟".

قال تيدي: "أوه أفهم، دكتور".

"جيد". فتح كاولي ذراعيه. "ماذا عن شريكك؟".

قال تيدي: "أي شريك؟".

كان تراي واشنطن في الغرفة حين عاد تيدي، مستلقياً على
السريّر يقرأ عدداً قديماً من مجلة الحياة.

نظر تيدي إلى سريّر تشاك. تم ترتيب السريّر، ووضع الشرشف
مع البطانية بشكل مرتب بحيث لا تعرف أبداً أن شخصاً نام هنا قبل
ليلتين.

أعيدت ستره تيدي وقميصه وربطة عنقه وسرواله من المصبغة
وجرى تعليقها في الخزانة تحت كيس بلاستيكي، فخلع ملابس المريض
وارتدى ملابسه النظيفة، فيما قلب ترائ الصفحات الالمة للمجلة.
"كيف حالك اللة أ بها المارال؟".
"بأأ".

"هذا أأ، هذا أأ".
لاأ أن ترائ لم أنظر إله، وإنما أبأ عأنه على المجلة، وقلب
الصفحات نفسها مراراً وأكراراً.
نقل آآآ آآآآ آآآ، ووضع اسأمارة أأول لاآآز فآ
الأأ الالآل لمعطفه مع أفره الصأر. ألس على سرآر آشاك أباله
تراآ وربط ربطة عنقه، وربط أأاه، ثم ألس هناك بأأوء.
قلب ترائ صفة أخرى من المجلة. "سآكون الطقس أاراً أأاً".
"أأاً؟".
"سآكون أاراً أأاً. لا أأب المرأى الأر".
"لا؟".

أز رأسه، وقلب صفة أخرى. "لا، سآآ. أأأهم أأأاً
أشأرون بالأكاك والمزاجآة. سآأمل البأر للة أأ أيضاً. وهذا أأأ
الأأور أسوأ بأأر. كل ما أأأأ إله".
"لماأأ؟".
"ماأأ أ بها المارال؟".

"البأر المأأل. هل أظن أنه أأأ الناس أأأن؟".
"أأر ذاك". وأأ طآة فآ إأأ الصفحات واسأأأ سبأأه
لأسوأها.
"أأأ؟".

"حسناً، فكّر في الأمر. يؤثر القمر في المدّ، أليس كذلك؟".
"طبعاً".

"يملك نوعاً من التأثير المغنطيسي في الماء".
"أوافقك على ذلك".

قال تراسي: "الدماغ البشري يتألف بنسبة 50 بالمئة من الماء".
"لا تمزح؟".

"لا أمزح. تصور أن السيد القمر يستطيع التحكم في كل المحيط،
فتصور ما يمكن أن يفعله بالرأس".

"كم مضى على وجودك هنا، سيد واشنطن؟".
انتهى من تسوية الطية في الصفحة، ثم قلب الصفحة. "أوه، زمن
طويل. منذ أن تركت الجيش في العام 46".
"كنت في الجيش؟".

"نعم. ذهبت إلى هناك لحمل مسدس فأعطوني شراباً مسكراً.
حاربت الألمان بالطبخ السيئ، سيدي".
قال تبدي: "هذا هراء".

"كان هذا هراء سيدي، نعم. أخذونا إلى الحرب التي كان يفترض
أن تنتهي عام 44".

"لن تحصل على جواب مني".
"لقد ذهبت إلى أماكن شتى، أليس كذلك؟".
"نعم، صحيح. رأيت العالم".
"ما رأيك في ذلك؟".

"لغات مختلفة، لكن الحقارة هي نفسها".
"نعم، هذه هي الحقيقة، صحيح؟".

"هل تعرف ماذا قال لي آمر السجن الليلة، سيد واشنطن؟".

"ماذا أيها المارشال؟".

"زنجي".

رفع ترائ عينية عن المجلة. "ماذا؟".

أوماً تيدي برأسه. "قال إن هناك العديد من الأشخاص الحقيرين في هذا العالم. من طينة الوحل، إهم زنوج، متخلفون. قال إني مجرد زنجي بالنسبة إليه".

"لم يعجبك ذلك، صحيح؟". قهقهه ترائ، واختفى الصوت ما إن غادر فمه. "لكنك لا تعرف ماذا يعني أن تكون زنجياً".

"أنا أعني ذلك، ترائ. لكن هذا الرجل مديرك".

"ليس مديري. أنا أعمل للمستشفى في نهاية المطاف. الشرير الأبيض! إنه في جانب السجن".

"يقي مديرك".

"لا، ليس كذلك". اتكأ تيدي على مرفقه. "هل تسمع؟ أقصد، هل اتضحت المسألة بيننا حول هذه النقطة أيها المارشال؟".

هزّ تيدي كتفه.

أنزل ترائ ساقيه عن السرير وجلس. "هل تحاول أن تجعلني مجنوناً سيدي؟".

هزّ تيدي رأسه.

"إذاً، لماذا لا توافقي الرأي حين أخبرك أنني لا أعمل لدى ذلك الشرير الأبيض؟".

هزّ تيدي بكتفه مرة أخرى. "باختصار، إذا جاء إليك وأصدر الأوامر ستقفز لتنفيذها!".

"ماذا؟".

"تقفز. مثل الأرنب".

مرر ترائ يده بمحاذاة فكه، وتأمل تيدي مع ابتسامة عدم تصديق.

قال تيدي: "لم أقصد الإهانة".

"أوه، لا، لا".

"لاحظت فقط أن الأشخاص في هذه الجزيرة يملكون طريقة لابتكار حقيقتهم الخاصة. يتصورون أنهم إذا قالوها مرات عدة، تصبح عندها صحيحة".

"أنا لا أعمل لهذا الرجل".

أشار تيدي إليه. "نعم، هذه حقيقة الجزيرة التي أعرفها وأحبها".
بدا ترائ مستعداً لضربه.

قال تيدي: "انظر، عقدوا اجتماعاً الليلة. وبعد ذلك، جاء الدكتور كاولي وأخبرني أنه لم يكن لديّ شريك أبداً. وإذا سألتك، ستقول لي الشيء نفسه. ستنكر أنك جلست مع الرجل، ولعبت البوكر مع الرجل، وضحكت مع الرجل. ستنكر أنه قال لك إن الركض أسرع كان الطريقة الواجب اعتمادها مع عمّتك العجوز. ستنكر أنه نام هنا في هذا السرير. أليس كذلك سيد واشنطن؟".

نظر ترائ إلى الأرض. "لا أعرف عما تتكلم أيها المارشال".

"أوه، أعرف أعرف. لم يكن لديّ شريك أبداً. هذه هي الحقيقة الآن. تم تقريرها. لم يكن لديّ شريك أبداً، وهو ليس في مكان ما، في هذه الجزيرة مصاباً بأذى، أو ميتاً، أو محبوساً في الجناح ج أو في المنارة. لم يكن لديّ شريك أبداً. تريد أن تكرر ذلك ورائي كي نكون واضحين؟ لم يكن لديّ أبداً شريك، هيا، جرّب".

نظر ترائ إلى الأعلى. "لم يكن لديك أبداً شريك".

قال تيدي: "وأنت لا تعمل لصالح أمر السجن".

شباك تراي يديه فوق ركبتيه. نظر إلى تيدي ولاحظ تيدي أنه يستشيط غضباً. أصبحت عيناه رطبتين، وارتجف اللحم حول ذقنه.

همس: "عليك الخروج من هنا".

"أدرك ذلك".

"لا". هزّ تراي رأسه مرات عدة. "لا تملك فكرة عما يجري فعلاً هنا. انسَ ما سمعته. انسَ ما تظن أنك تعرفه. سينالون منك. ولا مجال للعودة عما سيفعلونه لك. لا مجال أبداً للعودة".

قال تيدي: "أخبرني". لكن تراي كان يهزّ رأسه مجدداً. "أخبرني ماذا يجري هنا".

"لا أستطيع فعل ذلك. لا أستطيع. انظر إليّ". ارتفع حاجبا تراي واتسعت عيناه. "أنا. لا أستطيع. فعل. ذلك. أنت لوحذك. ولن أكون في الانتظار على أي مركب".

فهقه تيدي. "لا أستطيع حتى الخروج من هذا المجمع، فكيف بالأحرى من هذه الجزيرة. وحتى لو استطعت، فإن شريكي...".

همس تراي: "انسَ أمر شريكك. لقد رحل. هل فهمت؟ لن يعود أبداً أيها الرجل. عليك فهم ذلك. عليك الانتباه إلى نفسك، وإلى نفسك فقط".

قال تيدي: "تراي. أنا محبوس!".

وقف تراي وذهب إلى النافذة، ونظر إلى الخارج، إلى الظلمة، أو إلى انعكاسه الخاص، ولم يعرف تيدي بالضبط.

"لا يمكنك العودة أبداً. لا يمكنك أن تخبر أحداً أنني قلت لك أي شيء".

انتظر تيدي.

نظر تراي إليه فوق كتفه. "هل اتفقنا؟".

قال تيدي: "اتفقنا".

"سيكون المركب هنا غداً في تمام العاشرة. يغادر إلى بوسطن في تمام الحادية عشرة. إذا أراد رجل الاختباء في ذلك المركب، قد يستطيع فعل ذلك عبر المرفأ. وإلا، سيضطر الرجل إلى الانتظار يومين أو ثلاثة أيام إضافية لتأتي سفينة صيد، اسمها بيتسي روس، بحيث تقترب فعلاً من الشاطئ الجنوبي، وتنزل بعض الأغراض". نظر مجدداً إلى تيدي. "أغراض لا يفترض بالرجال امتلاكها على هذه الجزيرة. إلا أن السفينة لا تقترب كثيراً. لا، سيدي. لذا، يتوجب على الرجل السباحة للوصول إليها".

قال تيدي: "لا أستطيع البقاء ثلاثة أيام إضافية لعينة على هذه الجزيرة. أنا لا أعرف الأرض. لكن لا شك في أن أمر السجن ورجاله يعرفونها جيداً. سيعثرون علي".

لم يقل ترائي أي شيء لبعض الوقت.

قال في النهاية: "إذاً، عليك الهروب في المركب".

"المركب. لكن كيف أخرج من المجمع؟".

قال ترائي: "اللعة! قد لا تصدق ذلك، لكنه يوم حظك. لقد أفسدت العاصفة كل شيء، وخصوصاً الأنظمة الكهربائية. لقد أصلحنا الآن معظم الأسلاك في الجدار. معظمها".

قال تيدي: "ما الأقسام التي لم تصلحوها بعد؟".

"الزاوية الجنوبية الغربية، الأسلاك معطلة هناك، تماماً حيث يلتقي الجداران في زاوية من تسعين درجة. أما بقية الأسلاك فتشويك مثل الدجاجة، ولذلك لا تحاول التمدد للإمساك بها. هل سمعتني؟".

"سمعتك".

أوماً تراي برأسه لانعكاسه. "أقترح عليك أن تسرع. الوقت ينفد".

وقف تيدي وقال: "تشاك".

صرخ تراي: "لا يوجد تشاك، حسناً؟ لم يكن موجوداً أبداً. عد إلى العالم، وتحدث عن تشاك مثلما تريد. لكن هنا، لم يوجد الرجل أبداً".

خطر لتيدي، فيما كان أمام الزاوية الجنوبية الغربية للجدار، أن تراي يكذب ربما. إذا وضع تيدي يداً على تلك الأسلاك، وأحكم قبضته، وكانت مزودة بالتيار الكهربائي، سيعثرون على جثته في الصباح أمام الجدار، متفحمة مثل شريحة لحم الشهر الماضي. حلت المشكلة. يصبح تراي الموظف العام، مع ساعة ذهبية جميلة ربما.

فتش حوله إلى أن عثر على قضيب طويل، ثم استدار نحو قسم من السلك إلى يمين الزاوية. قفز أمام الحائط، ووضع قدماً عليه، ووثب إلى الأعلى. مرر القضيب فوق السلك، واشتعل السلك في لهبة قوية واحترق القضيب. عاد تيدي إلى الأرض ونظر إلى القضيب الخشبي في يده. انطفأت اللهب، لكن الخشب احترق.

جرّب مجدداً، هذه المرة في السلك الموجود إلى الجهة اليمنى من الزاوية؛ لا شيء.

جلس على الأرض مجدداً، أخذ نفساً، ثم قفز فوق يسار الجدار، وضرب السلك مجدداً، ومجدداً، لا شيء.

ثمّة عمود معدني فوق، حيث يلتقي بالجدار، واحتاج تيدي إلى الركض ثلاث مرات نحو الجدار قبل أن يحكم قبضته. أحكم قبضته جيداً وتسلق إلى أعلى الجدار، وارتطمت كتفاه بالسلك وارتطمت

ركبتاه بالسلك، وارتطمت ذراعاه بالسلك، وفي كل مرة، كان يظن أنه مات.

لكنه لم يمت. وحين وصل إلى الأعلى، لم يعد عليه فعل الكثير سوى خفض نفسه، والنزول إلى الجهة الأخرى. وقف بين الأوراق ونظر إلى أشكليف.

لقد جاء إلى هنا لكشف الحقيقة، ولم يجدها. جاء إلى هنا من أجل لا يديز، ولم يجده أيضاً. وفي أثناء ذلك، أضاع تشاك.

سيكون لديه الوقت للندم على كل ذلك حين يعود إلى بوسطن. الوقت للشعور بالذنب والعار. الوقت للتفكير في خياراته والتشاور مع السيناتور هورلي، والعودة مع خطة للهجوم. سيعود، بسرعة، لا مجال أبداً للشك في ذلك. وسيكون ربما مدعوماً بمساعدين ومفتشين فدراليين. وسيكون لديهم مركبهم الخاص. سيكون حينها غاضباً. سيكون محقاً في غضبه.

لكنه الآن يشعر بالارتياح، لأنه ما زال حياً، وفي الجهة الأخرى من الجدار.

إنه مرتاح، وخائف.

* * *

احتاج إلى ساعة ونصف الساعة للعودة إلى الكهف، لكن المرأة غادرت. انطفأت نارها وتحولت إلى رماد، وجلس تيدي قربها بالرغم من أن الهواء في الخارج كان دافئاً على غير عادة، ويصبح أكثر رطوبة مع تقدم الساعات.

انتظرها تيدي، على أمل أن تكون خرجت لإحضار بعض الأخشاب، لكنه عرف، في قلبه، أنها لن تعود. تظن ربما أنه تم إلقاء القبض عليه، وهو في هذه الساعة يخبر أمر السجن وكاولي عن مكان

اختبائها. ربما - بالرغم من أن هذا كثير للأمل به، لكن تيدي سمح
لنفسه بهذا الأمل - عثر عليها تشاك وذهباً معاً لموقع، تظن أنه أكثر
أماناً.

حين انطفأت النار كلياً، خلع تيدي سترته ولفها فوق صدره
وكتفيه ووضع رأسه على الجدار. وكما في الليلة السابقة، كان إهاماه
آخر ما رآه قبل أن ينام.
بدأا يرتحفان.

اليوم الرابع

البحار السيئ

كانوا في مطبخ، والمعاطف على علاقات، وأخذ والد تيدي معطفه القدم المنقط وأدخل فيه ذراعيه، ثم ساعد دولوريس على ارتداء معطفها وقال لتيدي: "هل تعرف ماذا أحب لذكرى الميلاد؟".

"لا، أبي".

"مزمار قرية".

وفهم تيدي أن ذلك يعني قضبان غولف وكيس غولف.

قال: "تماماً مثل آيك".

"بالضبط". قال والده وأعطى تشاك معطفه.

ارتدى تشاك معطفه. كان معطفاً جميلاً، من الكاشمير. اختفت

ندبة تشاك، لكنه ما زال يملك تلك اليدين الدقيقتين ومدّهما أمام تيدي، وحرك أصابعه.

قال تيدي: "هل ذهبت مع تلك المرأة الطيبة؟".

هزّ تيدي رأسه. "أنا مثقف أكثر من ذلك. ذهبت إلى حلبة السباق".

"ربحت؟".

"خسرت كثيراً".

"آسف".

قال تشاك: "قبل زواجك قبله الوداع. على الوجنة".

انحنى تيدي أمام أمه وكان توتي فيسيلي يتسم له بفم دموي،

وقبل وجنة دولوريس وقال: "صغيرتي، لماذا أنت مبلة كلك؟".

"أنا جافة مثل العظام". قالت لوالد تيدي.
قال والد تيدي: "لو كنت بنصف عمري، لتزوجتك أيتها الفتاة".
كانوا جميعاً مبللين، حتى أمه، وحتى تشاك. تساقط الماء من
معاطفهم على الأرض.

أعطاه تشاك ثلاثة جذوع وقال له: "للنار".
"شكراً". أخذ تيدي الجذوع ثم نسي أين يجدر به وضعها.
فركت دولوريس معدتها وقالت: "أرانب لعينة. ما فائدتها؟".
دخل لايديز وراشايل سولاندو إلى الغرفة. لا يرتديان معطفين. لا
يرتديان أي شيء على الإطلاق، ومرّر لايديز قنينة من الشراب فوق
رأس والده تيدي ثم أخذ دولوريس بين ذراعيه، وشعر تيدي بالغيرة،
دخل لايديز ودولوريس إلى غرفة النوم، واستطاع تيدي سماعهما هناك
على السرير، يخلعان ملابسهما، يتنفسان بقوة، وبدا كل شيء رائعاً
ومثالياً.

كان آمر السجن ورجاله على قمة الجبل فوقه. لقد أشرقت
الشمس. صرخت طيور النورس.

نظر تيدي إلى ساعته: الثامنة صباحاً.
قال آمر السجن: "لا تجازفوا أبداً. هذا الرجل مدرّب على القتال،
مجرب في القتال، ومتمرس في القتال. يملك القلب الأرجواني ووسام
الشجاعة بامتياز. قتل رجلين في صقلية بيديه العاريتين".

عرف تيدي أن هذه المعلومات موجودة في ملفه الشخصي. لكن
كيف وصل إلى ملفه الشخصي؟

"إنه بارع في استعمال السكين، وبارع جداً في القتال اليدوي. لا
تقتربوا من هذا الرجل. إذا أتيحت لكم الفرصة، ضعه أرضاً مثل
كلب بساقين".

وجد تيدي نفسه يبتسم رغماً عن وضعه. كم مرة واجه رجال
آمر السجن مقارنات الكلب بساقين؟

نزل الحرّاس إلى جانب وجه الجرف الأصغر بواسطة الحبال،
وترك تيدي بعيداً عن الحافة وراقبهم وهم يشقون طريقهم إلى الأسفل
نحو الشاطئ. بعد دقائق قليلة، تسلقوا الجرف مجدداً وسمع تيدي أحدهم
يقول: "ليس في الأسفل، سيدي".

أصغى إليهم لبعض الوقت، فيما فتشوا قرب فتّة الجبل والطريق،
ثم ابتعدوا وانتظر تيدي ساعة كاملة قبل أن يغادر الكهف، منتظراً
للتأكد من أن أحداً لم يعد أدراجه، وأعطى حفلة البحث وقتاً كافياً
بحيث لا يرتطم بهم.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة وعشرين دقيقة حين وصل إلى
الطريق ومشى باتجاه الغرب، محاولاً الحفاظ على وتيرة سريعة، وإنما مع
الإصغاء إلى الرجال المتحركين أمامه أو خلفه.

كان ترائي محقاً في توقعاته للطقس. فالطقس حار مثل الجحيم،
ونزع تيدي سترته وطواها فوق ذراعه. أرخى ربطة عنقه ما يكفي
لسحبها فوق رأسه ووضعها في جيبه. كان فمه جافاً مثل ملح
الصخور، وأحس بالحكاك في عينيه من العرق.

رأى تشاك مجدداً في حلمه، وهو يرتدي معطفه، وآلته الصورة أكثر
من صورة لايديز مع دولوريس. إلى حين ظهور راشايل ولايديز، كان
الجميع في ذلك الحلم أمواتاً. باستثناء تشاك. لكنه أحضر معطفه، من
مجموعة العلاقات نفسها، ولحق بهم خارج الباب. كره تيدي ما يمثله
ذلك. إذا عثروا على تشاك في فتّة الجبل، فإنهم يجرونه بعيداً ربما، فيما يشق
تيدي طريقه خارج الحقل. وأياً كان الشخص الذي عُثر عليه، لا بد أن
يكون بارعاً جداً في مهنته، لأن تشاك لم يطلق حتى صرخة واحدة.

ما مقدار القوة اللازم لجعل مارشالين أميريين يخفيا وليس
لجعل مارشال واحد فقط؟
قوة هائلة.

وإذا كانت الخطة تقضي بجعل تيدي مجنوناً، لا يمكن تطبيق الخطة
نفسها على تشاك. لن يصدق أحد أن مارشالين أميريين فقدوا عقلهما
في الأيام الأربعة نفسها. لا بد إذاً، أن يتعرض تشاك لحادث. في
الإعصار ربما. في الواقع، إذا كانوا أذكاء فعلاً، ويبدو أنهم كذلك،
سيتم تصوير موت تشاك على أنه الحادث الذي دفع تيدي لمرحلة
اللاعودة.

ثمة تناسق لا يمكن إنكاره في الفكرة.
لكن، إذا لم يهرب تيدي من هذه الجزيرة، لن يقبل المكتب
الميداني القصة أبداً، مهما كانت منطقية، من دون إرسال مارشالات
آخرين إلى هناك للتحقق بأنفسهم.
وماذا سيجدون؟

نظر تيدي إلى الارتعاشات في معصميه وإبهاميه. أصبحت أسوأ
حالاً. ولم يكن دماغه صافياً بعد نوم ليلي. شعر بالارتباك والبلادة. إذا
كانت المخدرات قد أعطت مفعولها في الوقت الذي يصل فيه رجال
المكتب الميداني إلى هنا، سيجدون ربما تيدي يتسكع في ثوب
الاستحمام، ويخرج البراز حيث يجلس. وستتم المصادقة على الحقيقة
التي ابتكرها أشكليف.

سمع المركب يطلق صفارته فرفع جسمه في الوقت المناسب، ليرى
أن المركب أنهى برمته في المرفأ وبدأ يتراجع إلى الخلف باتجاه الرصيف.
أسرع في خطاه، وبعد عشر دقائق استطاع رؤية الجهة الخلفية لقصر
كاولي عبر الغابة.

انحرف عن الطريق ودخل في الغابة، وسمع الرجال يفرغون المركب، مع تكديس الصناديق فوق بعضها على الرصيف، وصليل السلاسل المعدنية والخطى السريعة على الألواح الخشبية. وصل إلى الصف الأخير من الأشجار ورأى عدة عمال على الرصيف، فيما اثنان من ملاحه المركب يتكآن على الجزء الخلفي من المركب. رأى حراساً، الكثير من الحراس، وهم يحملون البنادق على أوراكهم، وأجسادهم باتجاه الغابة، فيما عيونهم تتفحص الأشجار والأرض المؤدية إلى أشكليف.

حين انتهى العمال من إفراغ الحمولة، أعادوا معهم العربات الصغيرة إلى الرصيف، لكن الحراس بقوا، وعرف تيدي أن مهمتهم الوحيدة هذا الصباح هي التأكد من عدم وصوله إلى ذلك المركب اللعين.

مشى في الغابة وخرج منها للوصول أمام منزل كاولي. استطاع سماع الرجال في الطابق العلوي من المنزل، ورأى أحدهم على السقف، يدير ظهره لتيدي. وجد تيدي السيارة في المرآب، في الجهة الغربية من المنزل. إنها سيارة بويك رودماستر موديل 47، بنية، مع فرش من الجلد الأبيض. مصقولة ولامعة في اليوم الذي تلا العاصفة. سيارة جميلة.

فتح تيدي باب السائق واستطاع شم رائحة الجلد، كما لو أن عمره يوم واحد فقط. فتح الصندوق الأمامي وعثر على عدة علب من أعواد الثقاب فأخذها كلها.

سحب ربطة عنقه من جيبه، ووجد حجراً صغيراً على الأرض، فربط الطرف الضيق من ربطة العنق حول هذا الحجر. رفع لوحة السيارة وفتح غطاء خزان الوقود، ثم أدخل ربطة العنق مع الحجر في

الخزان إلى أن بقي فقط القسم الأمامي من ربطة العنق المطبوع بالأزهار، كما لو أنها متدلّية من عنق رجل.

تذكر تيدي كيف أعطته دولوريس ربطة العنق هذه، ومررتها أمام عينيه وهي جالسة في حضنه.

همس في نفسه: "أنا آسف حبيبي. أحبها لأنك قدمتها إلي. لكن الحقيقة هي أنها ربطة عنق لعينة بشعة!".

ابتسم إلى السماء، كما لو أنه يعتذر منها واستخدم عود ثقاب واحداً لإشعال العلبة كلها، ثم استخدم العلبة لإشعال ربطة العنق. وركض بعدها مثل المجنون.

كان في منتصف الغابة حين سمع صوت انفجار السيارة. سمع الرجال يصرخون، وحين نظر إلى الخلف، استطاع عبر الأشجار رؤية اللهب يتطاير في الأعلى، على شكل كرات، ثم حصلت سلسلة من الانفجارات الصغيرة، مثل المفرقات النارية، عندما انفجرت النوافذ.

وصل إلى طرف الغابة وخلع معطفه، ووضعه تحت بضع صخور. رأى الحراس ورجال المركب يركضون نحو منزل كاوي، وعرف أنه إذا أراد فعل ذلك، عليه فعله الآن، من دون أي وقت للتفكير في فكرة ثانية، وهذا أمر جيد، لأنه لو فكر في ما سيفعله، لما فعله أبداً.

خرج من الغابة وركض بمحاذاة الشاطئ، وقبل أن يصل إلى الرصيف ويصبح مكشوفاً أمام أي شخص عائد إلى المركب، انعطف إلى اليسار وركض في الماء.

الله، الماء بارد مثل الثلج! أمل تيدي في أن تكون حرارة النهار قد ساعدت على تسخين المياه قليلاً، لكن البرد مزّق جسمه مثل التيار الكهربائي، وأخرج الهواء من صدره. إلا أن تيدي استمر في التقدم إلى الأمام، محاولاً عدم التفكير في ما يوجد في الماء معه؛ سملك إنقليس،

وقناديل بحر، وسلاطين، وأسماك قرش أيضاً. بدا ذلك سخيلاً لكن
تيدي عرف أن أسماك القرش تهاجم الإنسان في عمق ثلاث أقدام في
الماء تقريباً، وهو الآن في هذا العمق، لأن الماء بلغ خصره وبدأ يرتفع
أكثر فأكثر، وسمع تيدي أصوات صراخ آتية من منزل كاولي،
وتجاهل الخفقان القوي لقلبه وغاص تحت الماء.

رأى الفتاة في أحلامه، تطفو مباشرة تحته، وعيناها مفتوحتان
ومستسلمتان.

هزّ رأسه واختفت واستطاع رؤية قعر السفينة أمامه، عبارة عن
لوح أسود سميك يتراقص في الماء الأخضر، فسبح نحوه وأمسك به.
تحرك بمحاذاته وصولاً إلى الأمام، ووصل إلى الجهة الأخرى، وأجبر
نفسه على الخروج من الماء ببطء، رافعاً فقط رأسه. أحسّ بالشمس
على وجهه، فيما زفر الهواء ثم استنشق الأوكسجين وحاول تجاهل
منظر ساقيه المتدلّيتين تحته في الأعماق، مع كائنات تسبح حولهما،
متسائلة عن طبيعتهما، مقتربة منهما لشمّهما...

كان السلم حيث يذكره. مباشرة أمامه، ووضع يده على الحلقة
الثالثة وتشبّث بها. استطاع سماع الرجال يعودون الآن إلى الرصيف،
وسمع أصوات أقدامهم على الألواح الخشبية، ثم سمع أمر السجن يقول:
"فتشوا هذا المركب".

"سيدي، لقد غبنا فقط..."

"لقد تركتم مكانكم، وتريدون الآن المناقشة؟"

"لا، سيدي. عذراً، سيدي".

انهار السلم في يده، فيما وضع عدة رجال وزنهم على المركب،
وسمعهم تيدي يفتشون المركب، وسمع أصوات أبواب تفتح، وأصوات
أثاث يتحرك.

انزلق شيء بين فخذه مثل يد، وصكّ تيدي أسنانه وأحكم قبضة
يده على السلم وأجبر عقله على عدم التفكير في أي شيء، لأنه لا يريد أن
يتخيل المشهد. أياً كان الشيء الذي يتحرك، أطلق تيدي تنهيدة.
"سيارتي. لقد فجرّ سيارتي اللعينة!". قال كاولي وهو يستشيط
غضباً، وبدأ منقطع الأنفاس.

قال آمر السجن: "لقد تخطى كل الحدود، حضرة الطبيب".
"اتفقنا أنني أنا من يتخذ القرار".
"إذا خرج هذا الرجل من الجزيرة...".
"لن يخرج أبداً من الجزيرة".
"أنا واثق من أنك لم تفكر أبداً في أن يحول سيارتك إلى نيران
مشتعلة أيضاً. علينا وقف هذه العملية الآن وتخفيف خسارتنا".
"لقد عملت بكّد كبير لأستسلم الآن".
ارتفع صوت آمر السجن. "إذا خرج هذا الرجل من الجزيرة،
سيقضى علينا".

ارتفع صوت كاولي للنطابق مع صوت آمر السجن. "لن يخرج
أبداً من هذه الجزيرة اللعينة".
لم يتحدث أي منهما للدقيقة كاملة. استطاع تيدي سماعهما
يتحركان على الرصيف.
"جيد، حضرة الطبيب. لكن المركب يبقى هنا. لن يغادر
الرصيف قبل العثور على ذلك الرجل".

بقي تيدي معلقاً هناك، وقد بدأ البرد يتغلغل في قدميه ويحرقهما.
قال كاولي: "يريدون جواباً على ذلك في بوسطن".
أغلق تيدي فمه قبل أن تبدأ أسنانه بالاصطكاك.
"إذاً، أعطهم أجوبة. لكن هذا المركب سيبقى هنا".

دغدغ شيء ما الجهة الخلفية لساق تيدي اليسرى.
"حسناً، يا أمر السجن".

دغدغة أخرى في ساقه، فركل تيدي ساقه إلى الخلف وسمع
صوت الماء المتطاير في الهواء مثل طلقة نارية.
خطوات في الجزء الخلفي من السفينة.
"ليس هنا، سيدي. لقد فتشنا في كل مكان".
قال أمر السجن: "إلى أين ذهب إذاً؟ هل من فكرة؟".
"اللعنة".

"نعم، حضرة الطبيب؟".

"لقد توجه إلى المنارة".

"خطرت لي تلك الفكرة أيضاً".

"سأعالج المسألة".

"خذ معك بعض الرجال".

"قلت إنني سأعالج المسألة. لدينا رجال هناك".

"ليس ما يكفي".

"قلت إنني سأعالج المسألة".

سمع تيدي حذاء كاولي يشق طريق العودة إلى الرصيف، وأصبح
الصوت أكثر نعومة عند الوصول إلى الرمل.
قال أمر السجن لرجاله: "المنارة أو غير المنارة. لن يذهب هذا
المركب إلى أي مكان. خلّوا مفاتيح الخرك من القبطان وأحضروها لي".

سبح معظم المسافة المؤدية إلى هناك.

ابتعد عن المركب وسبح نحو الشاطئ إلى أن أصبح قريباً كفاية
من القعر الرملي لاستخدامه، فزحف عليه، لمسافة طويلة كفاية، بحيث

بات قادراً على رفع رأسه من الماء والنظر إلى الخلف. لقد اجتاز مئات الیاردات واستطاع رؤية الحراس يشکلون حلقة حول الرصيف.

انزلق مجدداً تحت الماء وتابع الزحف، عاجزاً عن التحرك بطريقة حرة بسبب الجلبة التي قد يحدثها ذلك، وبعد لحظة، وصل إلى منعطف في الشاطئ فاجتازه ومشى على الرمل، وجلس تحت الشمس وارتجف من البرد. مشى على طول الشاطئ تقريباً، قبل أن يركض في مجموعة من الشجيرات التي دفعته مجدداً إلى الماء، وربط حذائيه ببعضهما، وعلقهما حول عنقه وقام بجولة سباحة أخرى، وتصور عظام والده في مكان ما من قعر هذا المحيط نفسه، وتصور أسماك القرش وزعانفها وذيلها الكبيرة، وأسماك البركودة الضخمة مع أسنانها البيضاء، وعرف أنه يعيش هذه المغامرة، لأنه مضطر إلى ذلك وقد حذرته الماء ولم يعد لديه أي خيار سوى فعل ذلك، وقد يعيد الكرة مجدداً بعد أيام قليلة حين تصل سفينة بيتسي روس إلى القسم الجنوبي من الجزيرة، وعرف أن الطريقة الوحيدة للتغلب على الخوف هي مواجهته، إذ تعلم ذلك في الحرب، لكن بالرغم من ذلك، حتى لو نجح الآن، لن ينزل أبداً، أبداً إلى المحيط مجدداً. أحس أن المحيط يراقبه ويلامسه، أحس بعمره، بقدمه قدم التاريخ المدون، وبافتخاره بمحتوياته.

رأى المنارة قرابة الساعة الواحدة. لم يكن واثقاً من ذلك لأن ساعته كانت في ستره بذلته، إلا أن الشمس كانت تقريباً في الموقع الصحيح. وصل إلى الشاطئ مباشرة تحت الجرف العالي واتكأ على صخرة وعرض كل جسمه للشمس إلى أن توقف عن الارتجاف وأصبحت بشرته أقل زرقة.

إذا كان تشاك هناك في الأعلى، مهما كانت حالته، سيعيده تيدي. ميتاً أو حياً، لن يتركه لوحده.

ستموت.

إنه صوت دولوريس، وعرف أنها محقة. إذا توجب عليه الانتظار يومين لوصول سفينة بيتسي روس، وليس لديه سوى تشاك سليم ويقظ برفقته، لن ينحجا أبداً. سيتم العثور عليهما...
ابتسم تيدي.

... مثل كلاب بساقين.

قال لدولوريس لا أستطيع تركه. لا أستطيع فعل ذلك. إذا لم أستطع العثور عليه، هذا أمر مختلف، لكنه شريكى.
لقد التقيت به للتو.

يبقى شريكى. إذا كان موجوداً هنا، إذا تعرضوا له بالأذى، إذا حجزوه رغماً عن إرادته، عليّ إخراجهم.
حتى لو مت؟

حتى لو مت.

إذاً، أتمنى ألا يكون موجوداً هنا.

نزل عن الصخرة وتبع مسار الرمل والأصداف المحتشدة حول الطحالب البحرية، وخطر له أن ما اعتبره كاوي لديه نزعة إلى الانتحار، ليست بالضبط كذلك. إنها بالأحرى رغبة في الموت. طوال سنوات عدة، لم يستطع التفكير في سبب جيد للعيش. لكنه لم يستطع التفكير أيضاً في سبب منطقي لقتل نفسه. حتى في لياليه الأكثر صعوبة، بدا هذا الخيار مريضاً، محرّجاً، مقرفاً.

لكن...

أصبح الحارس فجأة يقف هناك، متفاجئاً بظهور تيدي تماماً، مثلما كان تيدي متفاجئاً بظهوره، ولا يزال سحاب الحارس مفتوحاً، وبندقيته معلقة وراء ظهره. بدأ الحارس يغلق سحابه في البداية، ثم بدّل

رأيه، لكن تيدي كان قد وضع حينها قبضة يده على تفاحة آدم الحارس. أمسك بجنجرته، وانحنى تيدي القرفصاء وضرب بساقه ظهر الحارس فانقلب الحارس على ظهره، واستقام تيدي وركله مباشرة في الأذن اليمنى، فبرمت عينا الحارس في رأسه، وانفتح فمه. انحنى تيدي قربه، وأنزل رباط البندقية عن كتفه وسحب البندقية من تحته. استطاع سماع الرجل يتنفس. لم يقتله إذًا. وهو يملك الآن سلاحاً.

استخدم السلاح لمواجهة الحارس التالي، ذلك الذي يقف أمام السور. نزع سلاحه، وكان ولدًا، صغيراً، فعلاً، وقال الحارس: "هل ستقتلني؟".
"الله، طبعاً لا". قال تيدي، وضغط بكعب البندقية على صدغ الولد.

كان هناك مبنى داخل السور، تحقق تيدي منه في البداية، فعثر فيه على بعض الأسرّة والمجالات السخيفة، وإبريق قهوة قديمة، وبذلتين للحراس معلقتين في علاقة على الباب.

تابع طريقه ووصل إلى المنارة، واستخدم البندقية لفتح الباب، ولم يجد أي شيء في الطابق الأول باستثناء غرفة إسمنتية فارغة، خالية من كل شيء باستثناء العفن على الجدران، وفيها سلم حلزوني مصنوع من الحجارة نفسها المستخدمة في الجدران.

صعد السلم ووصل إلى غرفة ثانية، فارغة مثل الغرفة الأولى، وعرف أنه لا بد من وجود طابق سفلي هنا، شيء كبير، متصل ربما بباقي المستشفى عبر تلك الممرات، لأنه لغاية الآن، ليس هذا شيئاً سوى منارة.

سمع صوت كشط فوقه وعاد إلى السلام، وصعد إلى طابق آخر، ووصل إلى باب حديدي ضخيم. ضغط عليه برأس البندقية وفتحه.

سمع صوت الكشط مجدداً، واستطاع شم رائحة السجائر، وسمع صوت المحيط، والإحساس بالهواء خارجاً، وعرف أنه إذا كان أمر السجن ذكياً كفاية لوضع الحراس على الجهة الأخرى، من هذا الباب، سيكون تيدي ميتاً ما إن يفتح الباب.

اهرب، صغيري.

لا أستطيع.

ولم لا؟

لأن كل شيء أوصلي إلى ذلك.

ماذا؟

كل شيء.

لا أفهم كيف...

أنت، أنا، لايديز، تشاك، نويس، ذلك الولد المسكين. كل شيء أوصلي إلى هذا. إما أن يتوقف الآن، أو أتوقف أنا الآن.

إنهما يداه، يدا تشاك، ألم تلاحظ؟

لا. ماذا؟

يداه، تيدي، لا تتطابقان معه.

عرف تيدي ما الذي تقصده. عرف أن هناك شيئاً مهماً بخصوص يدي تشاك، ولكنه ليس مهماً، لدرجة أنه يستطيع تبديد المزيد من الوقت في السلام وهو يفكر في الأمر.

عليّ الدخول الآن عبر هذا الباب، حبيبي.

حسناً، توخّ الحذر.

جثم تيدي إلى يسار الباب. وضع كعب البندقية إلى الجهة اليسرى من قفصه الصدري، ووضع يده اليمنى على الباب للتوازن، ثم ركل الباب بقدمه اليسرى وفتح الباب كله وانخفض على ركبته ووضع البندقية على كتفه ثم سددها.

نحو كاولي.

كان جالساً وراء طاولة، ظهره إلى نافذة مربعة صغيرة، فيما المحيط الأزرق والفضي وراءه، ورائحته ملأت الغرفة، فيما بعثر النسيم شعره على جانبي رأسه.

لم يبدُ كاولي مذهولاً. لم يبدُ خائفاً. نقر بسيجارته على طرف المنفضة الموضوعة أمامه، وقال لتيدي:

"صغيري، لماذا أنت مبلى كلك؟".

كانت الجدران وراء كاولي مغطاة بشراشف وردية، والزوايا مثبتة بأشرطة لاصقة مجمدة. على الطاولة أمامه، كانت هناك عدة ملفات، وجهاز إرسال لاسلكي، ودفتر تيدي، واستمارة دخول لايديز، وسترة تيدي. على كرسي موضوع في الزاوية، كانت هناك مسجلة، تعمل حالياً، مع مذياع صغير فوقه متجه نحو الغرفة. مباشرة أمام كاولي، ثمة دفتر أسود له غلاف جلدي. حربش فيه شيئاً وقال: "اجلس".

"ماذا قلت؟".

"قلت اجلس".

"قبل ذلك؟".

"تعرف بالضبط ماذا قلت".

أنزل تيدي البندقية عن كتفه لكنه، أبقاها مصوبة نحو كاولي ودخل الغرفة.

عاد كاولي إلى الخربشة. "إنها فارغة".

"ماذا؟".

"البندقية. لا يوجد رصاص فيها. بعد كل خبرتك في الأسلحة النارية، كيف لم تلاحظ ذلك؟".

فتح تيدي البندقية وتحقق من محتواها. إنها فارغة. وللتأكد أكثر، صوّبها نحو الجدار إلى يساره وضغط على الزناد، لكن لم يخرج شيء سوى صوت طقطقة الزناد.

قال كاولي: "ضعها في الزاوية".

وضع تيدي البندقية على الأرض وسحب الكرسي بعيداً عن الطاولة لكنه، لم يجلس عليها.

"ماذا يوجد تحت الشراشف؟".

"سنصل إلى ذلك. اجلس. خفف حمولتك. خذ". تمدد كاولي نحو الأرض، وعاد مع منشفة سمكة ومررها إلى تيدي عبر الطاولة. "جفف نفسك قليلاً. ستصاب بالزكام".

جفف تيدي شعره ثم خلع قميصه. رماها في الزاوية وجفف أعلى جسمه. حين انتهى، أخذ سترته عن الطاولة.

"هل تمنع؟".

نظر كاولي إلى الأعلى. "لا، لا. اهتم بنفسك".

ارتدى تيدي السترة وجلس على الكرسي.

كتب كاولي المزيد من الكلمات، وخربش بالقلم على الورقة. "كم تأذى الحراس؟".

قال تيدي: "ليس كثيراً".

أوماً كاولي برأسه ووضع قلمه فوق الدفتر، وأمسك بالجهاز اللاسلكي وحاول تشغيله. رفع سماعة الهاتف عن قاعدتها وتحدث عبر الهاتف. "نعم، إنه هنا. دع الدكتور شيهان يلقي نظرة على رجالك قبل أن ترسله إلى الأعلى".

أقفل سماعة الهاتف.

قال تيدي: "الدكتور شيهان الحير".

حرك كاولي حاجبيه صعوداً ونزولاً.

"دعني أحزر. لقد وصل في المركب هذا الصباح".

هزّ كاولي رأسه. "كان في الجزيرة طوال الوقت".

قال تيدي: "مختبئاً عن الأنظار".
رفع كاولي يديه وهزّ كتفه قليلاً. "إنه طبيب نفسي لامع، شاب،
وواعد. كانت هذه خطتنا، هو وأنا".
أحسّ تيدي بعقدة في عنقه مباشرة تحت أذنه اليسرى. "وكيف
حال الخطة معكما لغاية الآن؟".

رفع كاولي صفحة من دفتره، وألقى نظرة على الصفحة التي
تحتها، ثم أفلتها من أصابعه. "ليس تماماً. كانت آمالي أكبر".
نظر إلى تيدي، واستطاع تيدي أن يرى في وجهه ما رآه في
السلام في صباح اليوم الثاني، وفي لقاء الموظفين مباشرة قبل العاصفة،
ولا يتطابق ذلك مع بقية خصائص الرجل، لا يتطابق مع الجزيرة، مع
هذه المنارة، مع هذه اللعبة الفظيعة التي يلعبونها.
شفقة!

لو لم يكن تيدي يعرف تماماً، لأقسم إنها الشفقة بعينها.
أبعد تيدي نظره عن وجه كاولي، ونظر حوله في الغرفة الصغيرة،
إلى تلك الشراشف على الجدران. "إذاً، هذه هي".
قال كاولي: "هذه هي. هذه هي المنارة. السجن العظيم.
الحقيقة العظيمة التي كنت تسعى وراءها. إنها كل ما أملت به
وأكثر؟".

"لم أشاهد الطابق الأرضي".
"لا يوجد طابق أرضي. إنها منارة".
نظر تيدي إلى دفتره الموضوع على الطاولة بينهما.
قال كاولي: "دفترك، نعم. وجدناه في سترتك في الغابة قرب
منزلي. أنت فجرت سيارتي".
هزّ تيدي كتفه. "عذراً".

"أحببت تلك السيارة".

"أحسست بذلك، نعم".

"وقفت في صالة العرض في ربيع العام 47، وأذكر أنني قلت
لنفسي حين اخترتها: حسناً، جون، هذه السيارة ممتازة. لن تضطر إلى
شراء سيارة أخرى قبل خمسة عشر عاماً على الأقل". تنهد. "لذلك
أحببت تلك السيارة".

رفع تيدي يديه. "أعتذر مجدداً".

هزّ كاولي رأسه. "هل ظننت لثانية واحدة أننا كنا سنسمح لك
بالصعود على ذلك المركب؟ حتى لو فجرت الجزيرة بكاملها، ماذا كان
سيحصل برأيك؟".
هزّ تيدي كتفه.

قال كاولي: "أنت رجل واحد وكانت المهمة الوحيدة للجميع
هذا الصباح إبقاءك بعيداً عن المركب. لا أفهم منطلقك هنا".
قال تيدي: "كانت تلك الطريقة الوحيدة للهروب. توجّب عليّ
التجربة".

حدّق إليه كاولي بارتباك ثم تمتم: "الله! كنت أحب تلك
السيارة". ونظر إلى حضنه.

قال تيدي: "هل لديك ماء؟".

فكّر كاولي في الطلب للحظة، ثم برم كرسيه للكشف عن إبريق
وكوبين على عتبة النافذة ورائه. سكب لكل منهما كوباً وأعطى تيدي
كوبه عبر الطاولة.

شرب تيدي الكوب كله في جرعة واحدة طويلة.

قال كاولي: "فم جاف، أليس كذلك؟ استقر في لسانك مثل
الحكاك الذي لا يمكن حكه مهما شربت". مرّر الإبريق فوق الطاولة

وراقب تيدي وهو يعيد ملء كوبه. "ارتعاشات في يديك. ستصبح سيئة جداً. كيف حال صداعك؟".

فيما قال ذلك، أحسّ تيدي بقضيب حار من الألم وراء عينه اليسرى امتدّ إلى صدغه ثم انتقل شمالاً إلى فروة رأسه، وجنوباً إلى فكه.

قال: "لا بأس".

"سيصبح أسوأ".

شرب تيدي المزيد من الماء. "أنا أكيد. أخبرتني المرأة الطبيبة بذلك".

تراجع كاولي، مع ابتسامة، ونقر بقلمه على دفتره. "ومن هذه الآن؟".

قال تيدي: "لم أعرف اسمها، لكنها كانت تعمل معك".

"أوه. وماذا أخبرتك بالضبط؟".

"أخبرتني أن المخدرات العصبية تحتاج إلى أربعة أيام لتتراكم إلى مستويات فعالة في الدورة الدموية. توقعت الفم الجاف والصداع والارتجاف".

"امرأة ذكية".

"نعم".

"ليس هذا من المخدرات العصبية".

"لا؟".

"لا".

"مماذا إذًا؟".

قال كاولي: "من الانقطاع".

"الانقطاع عماذا؟".

ابتسامة أخرى ثم أصبحت نظرة كاولي بعيدة، وفتح دفتر تيدي على الصفحة الأخيرة التي كتب عليها، ودفع الدفتر نحوه فوق الطاولة.

"هذا خط يدك، صحيح؟".

ألقى تيدي نظرة عليه. "نعم".

"الرمز الأخير؟".

"حسناً، إنه رمز".

"لكنك لم تفككه".

"لم أملك الفرصة. أصبحت الأمور معقدة قليلاً إذا لاحظت ذلك".

"طبعاً، طبعاً". نقر كاولي على الصفحة. "هل تريد تفكيكه الآن؟".

نظر تيدي إلى الأرقام والأحرف التسعة:

13(M)-21(U)-25(Y)-18(R)-1(A)-5(E)-8(H)-15(O)-9(I)

أحسّ بالقضيب الساخن يثقب الجهة الخلفية لعينه.

"لا أشعر فعلاً أنني في أفضل حالاتي الآن".

قال كاولي: "لكنه بسيط، تسعة أحرف".

"فلنمنح رأسي فرصة للتوقف عن الخفقان".

"جيد".

قال تيدي: "انقطاع عماذا؟ ماذا أعطيتني؟".

قطع كاولي أصابعه وتراجع إلى الخلف، على كرسيه مع تناوب

طويل. "كلوربرومازين. يكشف عن تأثيرات جانبية. أخشى أن هناك

العديد منها. لست مولعاً كثيراً به. كنت أودّ إعطائك إيميرامين قبل

التسلسل الأخير للحوادث، لكنني لا أظن أن هذا سيحصل الآن". انحنى

إلى الأمام. "في العادة، لست مولعاً كثيراً بالأدوية، لكن في حالتك، أرى حاجة ماسة إليها".

"إيميرامين؟".

"يطلق عليه بعض الأشخاص اسم توفرانيل".

ابتسم تيدي. "والكلوربرو...".

"... مازين". أوماً كاولي برأسه. "كلوربرومازين. هذا ما

تناوله الآن. ما تنقطع عنه. الدواء نفسه الذي نعطيك إياه منذ عامين".

قال تيدي: "منذ متى؟".

"منذ عامين".

قهقهه تيدي. "انظر. أعرف أنكم أقوياء أيها الرجال. لكنك لست

مضطرباً إلى الإفراط في خيالك".

"لا أتخيل أي شيء".

"أنت تعطيني المخدّر منذ عامين؟".

"أفضل كلمة دواء".

"وماذا، هل لديك رجل يعمل في مكتب المارشالات الأميركيين؟

ومهمة الرجل تقضي بإعطائي الدواء كل صباح. أو ربما، انتظر، عمل

في كشك الصحف، حيث أشتري فنجان القهوة وأنا في طريقي إلى

العمل. يكون ذلك أفضل. هكذا، طوال عامين، كان لديك أحد في

بوسطن يعطيني المخدرات".

قال كاولي بهدوء: "ليس في بوسطن. هنا".

"هنا؟".

أوماً برأسه. "هنا. أنت موجود هنا منذ عامين. أنت مريض في

هذا المستشفى".

استطاع تيدي سماع صوت المدّ يرتفع الآن، بغضب، ليرتطم بقاعدة الجرف. شبك يديه ببعضهما لوقف الارتعاشات وحاول تجاهل الخفقان وراء عينه، الذي أصبح أكثر قوة وكثافة.

قال تيدي: "أنا مارشال أميركي".

قال كاولي: "كنت مارشالاً أميركياً".

قال تيدي: "ما زلت. أنا مارشال فدرالي مع حكومة الولايات المتحدة. تركت بوسطن صباح يوم الاثنين، في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر 1954".

قال كاولي: "حقاً؟! أخبرني كيف وصلت إلى المركب؟ هل قدت السيارة؟ أين ركنتها؟".

"أخذت القطار".

"لا يصل القطار إلى ذلك المكان".

"انتقلت إلى باص".

"لماذا لم تقد السيارة بنفسك؟".

"السيارة في كاراج التصليح".

"أوه. ويوم الأحد، ماذا تذكر من يوم الأحد؟ هل تستطيع إخباري بما فعلته؟ هل يمكنك أن تخبرني صراحة عن أي شيء حصل في اليوم الذي سبق استيقاظك في حمام المركب؟".

يستطيع تيدي فعل ذلك. حسناً، يفترض به أن يستطيع، لكن الألم اللعين في رأسه يحفر في الجهة الخلفية لعينه، وفي مجاري الجيوب الأنفية.

حسناً، تذكر، أخبره ماذا فعلت يوم الأحد. عدت إلى المنزل من العمل. ذهبت إلى شقتك في باتونوود. لا، لا. ليس باتونوود. احترقت باتونوود تماماً حين أضرم لايديز النار فيها. لا، لا. أين تعيش؟

يا الله! أستطيع رؤية المكان. حسناً، حسناً. المكان في... المكان في...
كاسلمونت. هذا هو. جادة كاسلمونت. قرب الماء.

حسناً، حسناً، استرخ. عدت إلى المنزل في كاسلمونت
وتناولت العشاء وشربت بعض الحليب وذهبت إلى السرير. صحيح؟
صحيح.

قال كاولي: "ما رأيك في هذا؟ هل أتيحت لك فرصة النظر إلى
هذا؟".

دفع استمارة دخول لايديز فوق الطاولة.
"لا".

"لا؟". صفر. "جئت إلى هنا من أجلها. إذا أعدت هذه الورقة إلى
السيناتور هورلي - وهي دليل على مريض سابع وستين نزع أنه غير
موجود - يمكنك أن تقضي على هذا المكان".
"صحيح".

"نعم، صحيح. ولم تستطع إيجاد الوقت، في الأربع وعشرين ساعة
الأخيرة، لإلقاء نظرة عليها؟".

"مرة جديدة، كانت الأمور...".

"معقدة. نعم، أفهم. حسناً، أنظر إليها الآن".

ألقى تيدي نظرة عليها، ورأى اسم لايديز، وعمره، وتاريخ
دخوله المستشفى. في قسم التعليقات، قرأ:

"المريض ذكي جداً وواهم جداً. معروف بحبه للعنف. مضطرب
كثيراً. لا يظهر أي ندم على جريمته، لأن إنكاره كبير بحيث، يقول
إنه لم تحصل أي جريمة. ابتكر المريض سلسلة من الروايات
الخيالية والمعقدة جداً التي تحول، في هذا الوقت، دون مواجهته
لحقيقة أفعاله".

التوقيع في الأسفل يظهر اسم الدكتور شيهان.

قال تيدي: "يبدو هذا صحيحاً تقريباً".

"صحيح تقريباً؟".

أوماً تيدي برأسه.

"بخصوص من؟".

"لايديز".

وقف كاولي. توجه إلى الجدار وأنزل أحد الشراشف.

ثمة أربعة أسماء مكتوبة هناك بأحرف كبيرة طولها ستة إنشات:

إدوارد دانيالز - أندرو لايديز.

راشابل سولاندو - دولوريس شانال.

انتظر تيدي، لكن، بدا أن كاولي كان ينتظر هو أيضاً، ولم يتفوه

أي منهما بكلمة لدقيقة كاملة.

في النهاية، قال تيدي: "لديك وجهة نظر حسبما أظن".

"انظر إلى الأسماء".

"انظر إليها".

"اسمك، اسم المريض السابع والستين، اسم المريض المفقود، واسم

زوجتك".

"أوه. لست أعمى".

قال كاولي: "هذه قاعدة الأربعة خاصتك".

"كيف ذلك؟". فرك تيدي صدغه بقوة، محاولاً تدليك الألم

هناك.

"حسناً، أنت عبقرى في الرموز. أنت أخبرني".

"أخبرك ماذا؟".

"ما المشترك بين الاسمين إدوارد دانيالز وأندرو لايديز؟".

نظر تيدي إلى اسمه وإلى اسم لايديز للحظة. "يتألف كلاهما من ثلاثة عشر حرفاً في اللاتينية".

قال كاولي: "نعم، صحيح. نعم، صحيح. هل من شيء آخر؟".
حدّق تيدي وحدّق. "لا".

"أوه، هيا". نزع كاولي ثوبه الأبيض ووضعه على متن الكرسي.

حاول تيدي التركيز، وقد تعب أصلاً من هذه اللعبة.
"خذ وقتك".

حدّق تيدي إلى الأحرف إلى أن أصبحت مشوشة أمام عينيه.
قال كاولي: "أي شيء؟".

"لا. لا أرى أي شيء. فقط ثلاثة عشر حرفاً في اللاتينية".

مرر كاولي إصبعه تحت أحرف الاسمين. "هيا".

هزّ تيدي رأسه وشعر بالغبثان. قفزت الأحرف.
"ركّز".

"أنا أركّز".

قال كاولي: "ما القاسم المشترك أيضاً بين هذه الأحرف؟".

"لا... هناك ثلاثة عشر حرفاً لاتينياً في كل منها. ثلاثة عشر".
"ماذا أيضاً؟".

حدّق تيدي إلى الأحرف إلى أن أصبحت ضبابية أمامه. "لا شيء".

"لا شيء؟".

قال تيدي: "لا شيء. ماذا تريدني أن أقول؟ لا أستطيع أن أقول

لك ما لا أعرفه. لا أستطيع...".

صرخ كاولي: "إنها الأحرف نفسها".

انحنى تيدي إلى الأمام، وحاول منع الأحرف من الرقص أمام عينيّه. "ماذا؟!".

"إنّها الأحرف نفسها".

"لا".

"إنّها الأحرف نفسها بترتيب مختلف في الاسمين".

قال تيدي مجدداً: "لا".

"لا؟". قطّب كاولي جبينه وحرّك يده فوق السطر. "إنّها الأحرف

نفسها بالضبط. انظر إليها. إدوارد دانيالز. آندرو لايديز. الأحرف

نفسها. أنت موهوب في الرموز، واشتهرت بكونك مفككاً للرموز

خلال الحرب، أليس ذلك صحيحاً؟ قل لي إنك لا ترى الأحرف

الثلاثة عشر نفسها حين تنظر إلى هذين الاسمين".

"لا!". فرك تيدي عينيّه بكعب يديه، محاولاً جعلهما أكثر صفاء

أو طرد الضوء منهما.

"لا، أي أن الاسمين لا يتألفان من الأحرف نفسها، أم لا، أي

أنك لا تريدها أن تكون الأحرف نفسها؟".

"لا يمكن أن تكون كذلك".

"بلى. افتح عينيّك. انظر إليها".

فتح تيدي عينيّه لكنه استمر في هزّ رأسه وتراقصت الأحرف من

جانب إلى آخر أمام عينيّه.

نقر كاولي على السطر التالي بكعب يده. "جرب هذه إذاً.

دولوريس شانال وراشايل سولاندو. الاسمان يتألفان من ثلاثة عشر

حرفاً. هلا أخبرتي ما القاسم المشترك بينهما؟".

عرف تيدي ما الذي يراه، لكنه عرف أيضاً أن هذا غير ممكن.

"لا؟ ألا تستوعب هذه أيضاً؟".

"لا يمكن".

قال كاولي: "بلى. الأحرف نفسها مجدداً. الأحرف نفسها في اسمين مختلفين. لقد جئت إلى هنا من أجل الحقيقة؟ هذه هي حقيقتك أندرو".

قال تيدي: "تيدي".

حدّق إليه كاولي، وامتلاً وجهه مجدداً بكاذيب الشفقة.
قال كاولي: "اسمك أندرو لايديز. المريض السابع والستون في مستشفى أشكليف. إنه أنت، أندرو".

"هراء!".

صرخ تيدي عالياً وصدحت الصرخة في رأسه.
 كرر كاولي: "اسمك آندرو لايديز. حكمت عليك المحكمة
 بالقدوم إلى هنا، قبل اثنين وعشرين شهراً".
 رفع تيدي يده احتجاجاً على ذلك. "هذه حقارة كبيرة منكم".
 "انظر إلى الدليل. من فضلك، آندرو. أنت...".
 "لا تنادني هكذا".

"... جئت إلى هنا قبل عامين، لأنك ارتكبت جريمة مروّعة.
 جريمة لا يستطيع المجتمع أن يغفرها، لكنني أستطيع. انظر إليّ آندرو".
 ارتفعت عينا تيدي عن اليد التي مدها كاولي، وصولاً إلى الذراع
 والصدر ومن ثم إلى وجه كاولي، وباتت عينا الرجل تعكسان الآن تلك
 الشفقة الزائفة، تلك اللياقة الكاذبة.
 "اسمي إدوارد دانيالز".

"لا". هزّ كاولي رأسه بهزيمة متعبة. "اسمك آندرو لايديز. ارتكبت
 عملاً فظيماً، ولا يمكنك مسامحة نفسك، مهما فعلت، ولذلك انتحلت
 شخصية أخرى. ابتكرت رواية معقدة أنت بطلها، آندرو. أقنعت
 نفسك أنك لا تزال مارشالاً أميركياً وأنك هنا في قضية. وكشفت عن
 مؤامرة، ما يعني أن أي شيء نقوله لك على العكس يصبح في خيالك
 أننا نتآمر ضدك. ويمكننا ربما التغاضي عن ذلك، والسماح لك بالعيش

في عالمك الخيالي. أودّ ذلك. لو كنت غير مؤذ، لفضلت ذلك حتماً. لكنك عنيف، عنيف جداً. وبسبب تدريبك العسكري، أنت ممتاز في العنف. أنت المريض الأكثر خطورة الموجود لدينا هنا. لا يمكننا احتواؤك. تم تقرير ذلك، انظر إليّ".

نظر تيدي إلى الأعلى، ورأى كاولي يتمدد فوق الطاولة وعيناه تتوسلان.

"تم التقرير أنه إذا لم نعدك إلى رشدك - الآن، والآن، الآن - سيتم اتخاذ إجراءات دائمة بحقك لضمان عدم إيدائك لأي كان مجدداً. هل تفهم ما أقوله لك؟".

للحظة - وليس حتى للحظة كاملة، بل لعُشر اللحظة - كاد تيدي يصدقه.

ثم ابتسم تيدي.

"ليس هذا عملاً لطيفاً من قبلك أيها الطبيب. ومن الشرطي السيئ شيهان؟". نظر إلى الخلف نحو الباب. "أتصور أنه مطلوب للعدالة".

قال كاولي: "انظر إليّ. انظر إلى عينيّ".

فعل تيدي ذلك. كانت العينان حمراوين وتسبحان من قلة النوم. وأكثر، ماذا؟ حذق تيدي إلى عيني كاولي، وتمعّن في تلك العينين. ثم استوعب الأمر، لو كان لا يعرفه بصورة أفضل لأقسم إن كاولي يعاني من قلب محطّم.

قال كاولي: "اسمع. أنا كل ما لديك. أنا كل ما كان لديك. أنا أستمع إلى أوهامك منذ عامين. أعرف كل تفصيل، كل تجمعيد، الرموز، المريض المفقود، العاصفة، المرأة في الكهف، التجارب الشريرة في المنارة. أعرف عن نويس والخيالي السيناتور هورلي. أعرف أنك تحلم

بدولوريس طوال الوقت، وأن بطنها يرشح وهي مبللة بالماء. أعرف عن الجذوع".

قال تيدي: "أنت حقير".

"وكيف أعرف؟".

نظر تيدي إلى الدليل في أصابعه المرتجفة وقال:

"أتناول طعامكم، وأشرب قهوتكم، وأدخن سجائركم. والأكثر من ذلك، تناولت ثلاث حبات أسبيرين منك صباح اليوم الذي وصلت. ثم قمت بتخديري تلك الليلة. كنت جالساً هناك حين استيقظت. لم أعد كما كنت قبلاً. هنا بدأت كل القصة. تلك الليلة، بعد نوبة صداع الشقيقة. ماذا أعطيتني؟".

تراجع كاوي إلى الخلف. كثر كما لو أنه ابتلع حمضاً، ثم نظر خارج النافذة.

همس: "الوقت ينفد مني".

"ماذا؟".

قال بهدوء: "الوقت. تم منحي أربعة أيام. بدأ الوقت ينفد".

"دعني أذهب إذاً. سأعود إلى بوسطن، وأتقدم بشكوى في مكتب المارشالات، ولكن لا تقلق، مع كل أصدفائك الأقوياء، أنا واثق من أن الشكوى لن تصل إلى أي مكان".

قال كاوي: "لا، أندرو. لم يعد لديّ أصدقاء تقريباً. أنا أقاتل في معركة هنا منذ ثمانية أعوام تقريباً، والميزان بات لصالح الطرف الآخر. سأخسر. أخسر منصبتي، أخسر أموالتي. أقسمت أمام لجنة المراقبين أنني سأجري أكبر تجربة عرفها الطب النفسي، وستنقذك. ستعيدك إلى رشدك. لكن ماذا لو كنت مخطئاً؟". اتسعت عيناه ووضع يده على ذقنه، كما لو أنه يحاول إعادة فكّه إلى مكانه. أنزل يده، ونظر عبر

الطاولة إلى تيدي. "ألا تفهم، أندرو؟ إذا أخفقت، أخفق أنا. إذا أخفقت أنا، ينتهي كل شيء".

قال تيدي: "أوه، هذا مؤسف جداً".

في الخارج، صرخت بعض طيور النورس. استطاع تيدي شم رائحة الملح والشمس والرمل الرطب.

قال كاوي: "فلنحرب الأمر بطريقة أخرى. هل تظن أنهما مصادفة أن تملك راشايل سولاندو - وهي بالمناسبة شخصية وهمية من ابتكار خيالك - الأحرف نفسها الموجودة في اسم زوجتك الميتة، والتاريخ نفسه في قتل أولادها؟".

وقف تيدي وأدى الارتعاش إلى تحرك ذراعيه من الكتفين نزولاً. "لم تقتل زوجتي أولادها. لم ننجب الأولاد أبداً".

"لم تنجبا الأولاد أبداً؟". مشى كاوي نحو الجدار.

"لم ننجب الأولاد أبداً أيها الأحمق الحقيр".

"أوه، حسناً". أنزل كاوي شرشفاً آخر عن الحائط.

على الحائط ثمة رسم بياني لمسرح جريمة، وصور فوتوغرافية لبحيرة، وصور لثلاثة أولاد موتى. وبعدها الأسماء مكتوبة بأحرف كبيرة:

إدوارد لايديز.

دانيال لايديز.

راشايل لايديز.

أخفض تيدي عينيه وحدّق إلى يديه؛ قفزت يده كما لو أنهما غير متصلتين به. لو استطاع الدوس عليهما، لفعل.

"أولادك، أندرو. هل ستمكن من الإنكار أنهم عاشوا؟ قل لي؟".

أشار إليه تيدي بيده المرتجفة عبر الغرفة. "إنهم أولاد راشايل سولاندو. إنه الرسم البياني لمسرح الجريمة في منزل راشايل سولاندو قرب البحيرة".

"هذا منزلك. ذهبت إلى هناك، لأن الأطباء اقترحوه عليك لزوجتك. هل تذكر؟ بعد أن أضرمت النار خطأً في شقتكم القديمة؟ قالوا لك أن تخرجها من المدينة وتوفر لها مكاناً ريفياً. علّها تتحسن".
"لم تكن مريضة".
"كانت مجنونة، أندرو".

"توقف بربك عن منادائي هكذا. لم تكن مجنونة".
"كانت زوجتك مكتبة سريراً. تم تشخيصها أنها تعاني من اكتئاب هوسي. كانت...".
قال تيدي: "لم تكن".

"كانت انتحارية. أذت الأولاد. رفضت رؤية ذلك. ظننت أنها ضعيفة. قلت لنفسك إن الرشد هو خيار، وكل ما عليها فعله هو تذكر مسؤولياتها، تجاهك، تجاه الأولاد. شربت الشراب، وأصبح إدمانك على الشرب أسوأ. انعزلت في قوقعتك الخاصة. تجاهلت كل الإشارات. تجاهلت ما قاله لك الأساتذة، وكاهن الرعية، وعائلتها".
"لم تكن زوجتي مجنونة!".
"ولماذا؟ لأنك كنت محرّجاً".
"لم تكن زوجتي...".

"السبب الوحيد الذي دفعها لرؤية طبيب نفسي هو أنها حاولت الانتحار ذات مرة وانتهت في المستشفى. لم تستطع حتى السيطرة على ذلك. وقالوا لك إنها تشكل خطراً على نفسها. قالوا لك...".
"لم نذهب أبداً إلى أي طبيب نفسي!".

"... إنها خطر على الأولاد. تم تحذيرك مراراً وتكراراً".
"لم ننجب أبداً الأولاد. تحدثنا عن الأمر، لكنها لم تستطع الحمل".

يا الله. شعر برأسه وكأن أحداً يضرب الزجاج بشوبك.
قال كاولي: "تعالَ إلى هنا. فعلاً. اقترُب وانظر إلى الأسماء في صور مسرح الجريمة. ستهتم بمعرفة...".

"يمكنك الكذب في ذلك. يمكنك أن تبتكر أسماءك الخاصة".
"أنت تعلم. أنت تعلم طوال الوقت. لا يمكنك التوقف عن الحلم، آندرو. لقد أخبرتني عنها. هل حلمت مؤخراً بالصبيين والفتاة الصغيرة؟ هل أخذتك الفتاة الصغيرة إلى قبرك؟ أنت بحار سيئ، آندرو. هل تعرف ما يعنيه ذلك؟ يعني أنك والد سيئ. لم تسبح لإنقاذهم، آندرو. ولم تنقذهم. تريد التحدث عن الجنوع؟ هو! تعالَ إلى هنا وانظر إليها. قل لي إنهم ليسوا الأولاد في أحلامك".
"هراء".

"انظر إذاً. تعالَ إلى هنا وانظر".
"لقد خدّرتني، وقتلت شريكِي، وتقول إنه لم يوجد أصلاً. ستحبسني هنا لأنني أعرف ماذا تفعل. أعرف عن التجارب. أعرف ماذا تعطي لمرضى انفصام الشخصية، واستخدامك الحر للجراحات الفصية، وانتهاكك الواضح لقانون نورمبرغ. أنا أزعجك حضرة الطبيب".

"حقاً؟". اتكأ كاولي على الجدار وشبك ذراعيه. "أخبرني من فضلك. لقد جلت في كل مكان خلال الأيام الأربعة الماضية. استطعت النفاذ إلى كل زاوية في هذا المرفق. أين الأطباء النازيون؟ أين الأشرار؟".

توجه مجدداً نحو الطاولة ونظر إلى ملاحظاته للحظة:

"هل ما زلت تصدق أننا نغسل أدمغة المرضى، أندرو؟ نجري بعض التجارب طويلة الأمد - ماذا سميتهم ذات مرة؟ أوه، نعم - لابتكار جنود أشباح! مجرمين!". فقهقه عالياً. "أقصد، عليّ القول لك أندرو، إنه حتى في أيام الرهاب القوي، تكون أوهامك الخيالية جميلة". أشار تيدي إليه بإصبعه المرتجفة. "أنت في مستشفى اختباري وتعتمد وسائل جذرية...".

"نعم، صحيح".

"تستقبلون فقط المرضى الأكثر عنفاً".

"صحيح أيضاً. مع توضيح هام؛ الأكثر عنفاً والأكثر جنوناً".

"وأنت...".

"نحن ماذا؟".

"أنت تجرّب".

"نعم!". صفق كاولي بيديه وانحنى بسرعة إلى الأمام. "برافو".

"بطريقة جراحية".

رفع كاولي إصبعاً. "أوه، لا، آسف. نحن لا نجرب بالجراحة. يتم استخدامها بمثابة خيار أخير، وهذا الخيار الأخير يستخدم دوماً بالرغم من احتجاجاتي العالية. إلا أنني رجل واحد، ولا أستطيع بين ليلة وضحاها تغيير ممارسات مقبولة عمرها عقود من الزمن".

"أنت تكذب".

تسند كاولي. "أظهر لي دليلاً واحداً يثبت صحة نظريتك، أظهر دليلاً واحداً فقط".

لم يقل تيدي أي شيء.

"وأمام كل تلك الأدلة التي قدمتها، رفضت أنت الاستجابة".

"هذا لأنه لا يوجد دليل على الإطلاق. إنه مفيرك".
شبك تيدي يديه ببعضهما ورفعهما إلى شفتيه، كما لو أنه يدعو.
قال تيدي: "دعني أخرج من هذه الجزيرة. بصفتي ضابطاً قانون
فدرالياً، أطلب منك أن تتركني أرحل".
أغلق كاولي عينيه للحظة. حين فتحهما، كانا أكثر وضوحاً
وقساوة. "حسناً، حسناً. أيها المارشال. إليك. سأسهل الأمر عليك".
رفع حقيبة من الجلد الناعم عن الأرض وفتحها ووضع مسدس
تيدي على الطاولة.

"هذا مسدسك، صحيح؟".

حدّق تيدي إليه.

"إنها الأحرف الأولى من اسمك محفورة على المقبض. صحيح؟".

حدّق تيدي إليه.

"نعم أو لا، أيها المارشال؟ هل هذا مسدسك؟".

استطاع رؤية الانسباج في ماسورة المسدس يوم ألقى فيليب
ستاكس النار عليه، وأصاب المسدس عوضاً عنه، وانتهى ستاكس
بالموت من رصاصته الخاصة. استطاع رؤية الحرفين أ و د محفورين على
المقبض، وكانت تلك هدية من المكتب الميداني بعدما انتهى من إطلاق
النار عليه مع بريك في ماين. وهناك، على الجهة التحتية للزناد، كان
المعدن مكشوطاً وتالفاً قليلاً حين أوقع المسدس خلال مطاردة بالأقدام
في سان لويس في شتاء العام 49.

"هل هذا مسدسك؟".

"نعم".

"خذها أيها المارشال. تأكد من أنه محشو".

نظر تيدي إلى المسدس، ثم نظر إلى كاولي.

"هيا أيها المارشال. خذه".

رفع تيدي المسدس عن الطاولة وأمسكه بيده.

سأل كاولي: "هل هو محشو؟".

"نعم".

"هل أنت أكيد؟".

"أستطيع الإحساس بالوزن".

أوماً كاولي برأسه. "إذاً، أطلق النار منه. لأنها الطريقة الوحيدة

التي تتيح لك الخروج من هذه الجزيرة".

حاول تيدي تثبيت ذراعه بيده الأخرى، لكن هذه اليد كانت

ترتجف هي أيضاً. استنشق الهواء مرات عدة متتالية، وزفره ببطء، ونظر

عبر ماسورة المسدس، والارتعاشات في جسمه، واستطاع رؤية كاولي في

الطرف الآخر من المسدس، على مسافة قدمين على الأكثر، لكنه كان

يتمايل يميناً ويساراً، كما لو أنهما يقفان على قارب وسط الأمواج.

"لديك خمس ثوانٍ أيها المارشال".

رفع كاولي السماعة عن الجهاز اللاسلكي وأمسك بالمقبض،

وراقبه تيدي وهو يضع الهاتف على فمه.

"ثلاث ثوانٍ الآن. اضغط على الزناد وإلا تنهي أيام حياتك على

هذه الجزيرة".

استطاع تيدي الإحساس بثقل المسدس. بالرغم من الارتجافات،

تبقى لديه فرصة إذا فعلها الآن، إذا قتل كاولي، إذا قتل أيّاً كان ينتظر

في الخارج.

قال كاولي: "حضرة أمر السجن، يمكنك إرساله إلى الأعلى".

اتضححت رؤية تيدي، وتضاءلت الارتعاشات لتصبح ذبذبات

خفيفة، ونظر إلى ماسورة المسدس، فيما أعاد كاولي الهاتف إلى مكانه.

بدأت نظرة فضولية على وجه كاولي، كما لو أنه أدرك الآن فقط امتلاك تيدي القدرة للضغط على الزناد.

ورفع كاولي يده.

قال: "حسناً، حسناً".

وأطلق تيدي النار عليه في وسط صدره.

ثم رفع يديه نصف إنش تقريباً، وأطلق النار على وجه كاولي.
الماء.

قطّب كاولي جبينه. ثم طرف بعينه مرات عدة. أخرج منديلاً من جيبه.

فتح الباب وراء تيدي، واستدار على كرسيه وصوّب المسدس على رجل يدخل الغرفة.

"لا تطلق". قال تشاك. "نسيت أن أرتدي معطفي الوافي من المطر".

مسح كاولي وجهه بالمنديل وجلس على كرسيه مجدداً، واستدار تشاك حول الطاولة، ووقف قرب كاولي، وبرم تيدي المسدس في راحة يده وحدّق إليه.

نظر عبر الطاولة، فيما جلس تشاك على كرسيه، ولاحظ تيدي أنه يرتدي ثوباً أبيض.

قال تيدي: "ظننتُ أنك ميت".

قال تشاك: "لا".

بات من الصعب فجأة لفظ الكلمات. شعر بالميل إلى التأتأة، تماماً مثلما توقعت المرأة الطيبة. "أنا... أنا... كنت... كنت على وشك الموت لإخراجك من هنا. أنا...". وضع المسدس على الطاولة، وشعر بكل القوة تختفي من جسمه. وقع على كرسيه، عاجزاً عن المضي قدماً.

قال تشاك: "أنا آسف فعلاً بشأن ذلك. تناقشنا أنا والدكتور كاولي لأسابيع طويلة قبل أن نطبّق هذه الخطة. لم أشأ أبداً أن أجعلك تشعر بالخيانة، أو أسبب لك خوفاً غير مبرر. عليك تصديقي. لكننا كنا واثقين من عدم وجود خيار بديل".

قال كاولي: "ثمّة ساعة تتكتك في هذه القضية. كان هذا جهدنا الأخير لإعادتك إلى رشك، أندرو. فكرة جذرية، حتى بالنسبة إلى هذا المكان، لكنني أملت في أن تنجح".

مسح تيدي العرق، لكنه جعله يتغلغل أكثر فيهما. نظر عبر الضباب إلى تشاك.

قال: "من أنت؟".

مدّ تشاك يده عبر الطاولة. قال: "الدكتور ليستر شيهان".

ترك تيدي اليد معلقة في الهواء، واضطر شيهان في النهاية إلى سحبها.

"إذاً". قال تيدي وامتص الهواء الرطب عبر منخريه: "تركنتي أفكر في طريقة للعثور على شيهان، فيما... أنت شيهان".

أوما شيهان برأسه.

"ناديتني سيدي. أخبرتني النكات. سلّيتني كثيراً. راقبتني طوال الوقت، هل هذا صحيح، ليستر؟".

نظر إليه عبر الطاولة، وحاول شيهان النظر إلى عينيه، لكنه أخفق وأخفض نظره إلى ربطة عنقه ونقرها على صدره. "توجب عليّ مراقبتك للتأكد من أنك بأمان".

قال تيدي: "بأمان! هذا يجعل كل شيء جيداً. أخلاقياً".

أنزل شيهان ربطة عنقه. "نحن نعرف بعضنا منذ عامين، آندرو".

"ليس هذا اسمي".

"منذ عامين. كنت أنا الطبيب النفسي المسؤول عنك. طوال عامين. انظر إليّ. ألا تعرفني؟".

استخدم تيدي ياقة سترته لمسح العرق عن عينيه، وأصبحنا هذه المرة صافيتين، ونظر عبر الطاولة إلى تشاك. تشاك الطيب مع غرابته في استعمال الأسلحة النارية، وتلك اليدان الناعمتان اللتان لا تتطابقان مع وظيفته لأهما ليستا يدي شرطي. إنهما يدا طبيب.

قال تيدي: "كنت صديقي. وثقت بك. أخبرتك عن زوجتي. أخبرتك عن والدي. تسلفت جرفاً لعيناً للبحث عنك. هل كنت تراقبني حينها؟ هل كنت تبقيني بأمان حينها؟ لقد كنت صديقي، تشاك. أوه، أنا آسف. ليستر".

أشعل ليستر سيجارة وسرّ تيدي لرؤية يديه ترتجفان أيضاً. ليس كثيراً. ليس بقوة يدي تيدي، وتوقفت الارتعاشات ما إن أشعل السيجارة ووضع عود الثقاب في المنفضة. لكن...

قال تيدي لنفسه، أتمنى أن تكون أصبت به أنت أيضاً. أياً يكن. "نعم". قال شيهان (وتوجب على تيدي تذكير نفسه بعدم اعتباره تشاك). "نعم، لقد كان اختفائي جزءاً من خيالك. لكن كان يفترض بك رؤية استمارة دخول لا يديز على الطريق، وليس في الجرف. أوقعتها خطأً عن قنّة الجبل. كنت أسحبها من جيبي الخلفي، وطارت. لحقت بها، لأنني عرفت أنه إذا لم أفعل، ستفعل أنت. وتجمدت. مباشرة تحت القنّة. بعد عشرين دقيقة، ظهرت أمامي. أقصد، كنت على مسافة قدم واحدة. كدت أتمدّد وأمسك بك".
نحس كاولي حنجرته. "كدنا ننهي الخطة حين رأيّناك تنزل الجرف. كان يجدر بنا فعل ذلك ربما".

"إنهاء الخطة". قمع تيدي ضحكة في قبضة يده.
قال كاولي: "نعم. إنهاء الخطة. كان هذا مهرجاناً، أندرو. كانت...".

"اسمي تيدي".
"... مسرحية. لقد كتبتها. ساعدناك على تنقيحها. لكن المسرحية لا تنجح من دون نهاية، والنهاية كانت دوماً وصولك إلى هذه المنارة".

"جيد". قال تيدي ونظر حوله إلى الجدران.

"أنت نخبرنا هذه القصة منذ عامين تقريباً. كيف جئت إلى هنا للعثور على مريض مفقود، وكيف علمت بأمر تجاربنا الجراحية المستوحاة من النازية، وغسل الدماغ المستوحى من السوفيات. كيف قتلت المريضة راشايل سولاندو أولادها تماماً، مثلما قتلت زوجتك أولادكما. كيف أصبحت قريباً من شريكك، ألا تحب الاسم الذي أطلقته عليه؟ تشاك أول. أقصد، يا الله، قله مرتين بسرعة. إنها نكتة أخرى من نكاتك، أندرو. تم أخذ شريكك وبقيت أنت لوحده، لكننا قبضنا عليك، خدّرك، وتم الحكم عليك قبل أن تتمكن من نقل الرواية إلى السيناتور هورلي الخيالي. هل تريد أسماء السيناتورات الحاليين في ولاية هامبشاير، أندرو؟ أملكها هنا".

قال تيدي: "لقد تظاهرت بكل ذلك؟".
"نعم".

ضحك تيدي. ضحك بقوة كما لم يفعل منذ أن ماتت دولوريس. ضحك بقوة وسمع دوي الضحكة، وانتقل صداها بينهم، وانضم إلى الصوت الذي لا يزال يصدر من فمه، والتف حوله وتغلغل عبر اجدران، ووصل إلى المحيط.

"كيف تظاهرت بالإعصار؟". قال وضرب على الطاولة. "أخبرني أيها الطبيب".

قال كاولي: "لا يمكنك التظاهر بإعصار".

قال تيدي: "لا. لا يمكنك". وضرب على الطاولة مجدداً.

نظر كاولي إلى يده، ثم إلى عينيه. "لكنك تستطيع توقعه من وقت إلى آخر، أندرو. خصوصاً وأنت على جزيرة".

هزّ تيدي رأسه، وشعر بابتسامة مسمرة على وجهه، بالرغم من موت حرارتها، بالرغم من مظهرها السخيف والضعيف. "لا تستسلمون أبداً أيها الرجال!".

قال كاولي: "كانت العاصفة ضرورية لخيلك. انتظرنا واحدة".
قال تيدي: "أكاذيب".

"أكاذيب؟ اشرح أحرف الكلمات. اشرح كيف أن الأولاد في هذه الصور - وهم أولاد لم تعرف أبداً إذا كانوا يخصون راشايل سولاندو - هم الأولاد أنفسهم في حلمك. اشرح، آندرو، كيف عرفتُ أن أقول لك حين دخلت عبر هذا الباب: صغيري، لماذا أنت مبلل كلك؟ هل تظن أنني أقرأ الأفكار؟".
قال تيدي: "لا. أظن أنني كنت مبللاً".

للحظة، بدا كاولي وكأن رأسه سيطير عن عنقه. أخذ نفساً طويلاً، وشبك يديه ببعضهما، وانحنى فوق الطاولة. "كان مسدسك مليئاً بالماء. رموزك؟ إنها تتضح، آندرو. أنت تمزح مع نفسك. انظر إلى الرمز المدون على دفترك. آخر رمز، انظر إليه، تسعة أحرف، ثلاثة أسطر، انظر إليه".

نظر تيدي إلى الصفحة:

13(M)-21(U)-25(Y)-18(R)-1(A)-5(E)-8(H)-15(O)-9(I)

قال ليستر شيهان: "الوقت ينفد منا. افهم من فضلك، كل شيء يتغير. الطب النفسي. لقد شهد حربه الخاصة لبعض الوقت، ونحن نخسر".

M-U-Y-R-A-E-H-O-I

قال تيدي وهو شارد الذهن: "حقاً؟ ومن نكون نحن؟".

قال كاولي: "الرجال الذين يعتقدون في أن الطريق إلى العقل ليس عبر إدخال قضبان جليد في الدماغ، أو إعطاء جرعات كبيرة من الأدوية الخطرة، وإنما عبر إدراك صريح للذات".

كرر تيدي: "إدراك صريح للذات. آه، هذا جيد".

"ثلاثة أسطر"، قال كاولي. "ثلاثة أحرف في السطر ربما".

قال شيهان: "أصغ إليّ. إذا أخفقنا هنا، نخسر. ليس فقط معك.

في الوقت الحاضر، ميزان القوة هو في أيدي الجراحين، لكن هذا سيتغير

بسرعة. سيسيطر الصيادلة، ولن تصبح الأمور أقل بربرية. سيبدو الأمر

هكذا فقط. لكن البربرية نفسها التي تجري الآن ستستمر تحت غطاء

مقبول عموماً. هنا، في هذا المكان، يعود الأمر إليك، أنت، أندرو".

"اسمي تيدي. تيدي دانيالز".

ظن تيدي أن السطر الأول هو ربما كلمة you، أي أنت.

"أبقى نابهرينغ على أو في اسمك، أندرو".

رفع تيدي نظره عن الصفحة.

أوما كاولي برأسه. "كان لدينا أربعة أيام لهذه المسألة. إذا أخفقنا،

يتم أخذك للجراحة".

"جراحة لماذا؟".

نظر كاولي إلى شيهان. تأمل شيهان سيجارته.

كرر تيدي: "جراحة لماذا؟".

فتح كاولي فمه للتحدث، لكن شيهان قاطعه وكان صوته

مرهقاً:

"جراحة فصية للدماغ".

طرفت عينا تيدي، ثم نظر إلى صفحته ووجد الكلمة الثانية: Are،

أي هو.

قال: "تماماً مثل نويس. أفترض أنك ستقول لي إنه ليس هنا أيضاً".

قال كاولي: "إنه هنا. ومعظم القصة التي أخبرتها حوله للدكتور شيهان صحيحة، آندرو. لكنه لم يعد أبداً إلى بوسطن. لم تلتق به أبداً في سجن. إنه هنا منذ شهر أغسطس عام 50. وصل إلى مرحلة بحيث تم نقله خارج الجناح ج، وتم وضعه في الجناح أ. لكنك اعتديت عليه حينها".

نظر تيدي إلى الأحرف الثلاثة الأخيرة: "أنا ماذا؟".

"لقد اعتديت عليه. قبل أسبوعين. كدت تقتله".

"ولماذا أفعل ذلك؟".

نظر كاولي إلى شيهان.

قال شيهان: "لأنه أسماك لايديز".

"لا، لم يفعل. رأيته البارحة و...".

"ماذا؟".

"لم يسمّي لايديز. هذا مؤكد".

"لا؟". فتح كاولي دفتره. "لديّ التسجيل الكامل للحديثكما.

أحضرت الأشرطة إلى مكتبي، لكن فلنكتفِ الآن بالتسجيل الكتابي لها. أخبرني إذا كان هذا مألوفاً". عدّل نظاراته، وأحنى رأسه نحو الصفحة. "أقرأ هنا: هذه حقيقتك أنت. لايديز. هذا كل شيء. كنت أنا مصادفة. كنت عابراً".

هزّ تيدي رأسه. "لم يقل لي إنني لايديز. أنت قرأت العبارة بنبرة

خاطلة. كان يقول إن هذه حقيقتك أنت - أي أنا - ولايديز".

قهقه كاولي. "أنت فعلاً خطير".

ابتسم تيدي. "كنت أقول الشيء نفسه عنك".

نظر كاولي إلى الكلمات. "ما رأيك في ذلك؛ هل تذكر كيف سألت نويس عما حصل لوجهه؟".

"طبعاً. سألته من هو المسؤول".

"كلماتك بالضبط كانت من فعل ذلك؟ صحيح؟".

أوماً تيدي برأسه.

"وأجاب نويس - مجدداً أعيد تكرار ما قلته - أنت فعلت ذلك".

قال تيدي: "صحيح، لكن...".

تمعن فيه كاولي كما لو أنه يتمعن في حشرة تحت الزجاج.

"ماذا؟".

"كان يتحدث مثل...".

"أنا أصغي إليك".

واجه تيدي مشكلة في جعل الكلمات مترابطة ببعضها، والتكلم

بصورة منطقية.

"كان يقول" - تحدث ببطء عمداً - "إن إخفاقي في الحؤول دون

نقله مجدداً إلى هنا أفضى، بطريقة غير مباشرة، إلى تعرضه للضرب. لم

يقل إنني ضربته".

"قال أنت فعلت ذلك".

هزّ تيدي كتفه. "صحيح، لكننا نختلف في تفسير معنى ذلك".

برم كاولي الصفحة قائلاً: "ما رأيك في هذا إذا؟ نويس يتحدث

مجدداً؛ لقد عرفوا. ألا تفهم؟ كل ما كنت تخطط له، كل خطتك، إنها

لعبة، مسرحية مكتوبة بعناية، كل هذا لك".

تراجع تيدي إلى الخلف. "كل هؤلاء المرضى، كل هؤلاء الأشخاص

الذين يفترض أنني عرفتهم طوال عامين، لم يتفوه أي منهما بكلمة

أمامي، فيما كنت أؤدي الحفلة التذكيرية خلال الأيام الأربعة الماضية؟".

أغلق كاولي الدفتر. "إنهم معتادون على ذلك. أنت تستخدم تلك البطاقة البلاستيكية منذ عام تقريباً. في البداية، ظننتُ أنه اختبار جيد، فلنجربه عليك لنرى كيف تتفاعل. لكنك مضيت فيه بطريقة لم أحسب لها أي حساب. هيا. افتح محفظتك. أخبرني إذا كانت البطاقة بلاستيكية، أم لا، آندرو".

"دعنا ننتهي من الرمز".

"انتهيت منه تقريباً. بقيت ثلاثة أحرف. هل تريد المساعدة، آندرو؟".

"تيدي".

هزّ كاولي رأسه. "آندرو. آندرو لا يديز".

"تيدي".

راقبه كاولي وهو يرتّب الأحرف في الصفحة.

"ماذا تقول؟".

ضحك تيدي.

"أخبرنا".

هزّ تيدي رأسه.

"لا، من فضلك، تشاركه معنا".

قال تيدي: "أنت فعلت ذلك. أنت تركت تلك الرموز. أنت ابتكرت

اسم راشايل سولاندو باستعمال اسم زوجتي. هذا كله من صنعك أنت".

تحدث كاولي ببطء. "ماذا يقول الرمز الأخير".

برم تيدي الدفتر ليتمكن من رؤية الأحرف.

You أنت.

Are هو.

Me أنا.

قال تيدي: "هل أنت راضٍ؟".

وقف كاولي. بدا مرهقاً. كما لو أنه وصل إلى الحافة الأخيرة.

تحدث بنبرة يأس لم يسمعها تيدي منه قبلاً.

"أملنا. أملنا في أن نتمكن من إنقاذك. وضعنا سمعتنا على المحك.

والآن سينتشر الخبر أننا سمحنا لمريض بانتحال شخصية وهمية، وكل ما

حصلنا عليه هو بعض الحراس المصابين وسيارة محترقة. ليس لديّ

مشكلة في الإذلال المهني". حدّق خارج مربع النافذة الصغير. "لقد

ضقت ذرعاً ربما بهذا المكان. أو ضاق هو ذرعاً بي. لكن، في يوم

ما، أيها المارشال، وليس هذا بعيداً جداً، سنداوي التجربة البشرية

مباشرة بالتجربة البشرية. هل تفهم ذلك؟".

لم يعطه تيدي أي شيء. "ليس تماماً".

"أتوقع ألا تفعل ذلك". أوماً كاولي برأسه، وشبك ذراعيه فوق

صدره، وساد الصمت في الغرفة لبضع لحظات باستثناء صوت النسيم،

وأمواج المحيط. "أنت جندي عظيم مع تدريب ممتاز على القتال

اليدوي. منذ وجودك هنا، ألحقت الأذى بثمانية حراس، من دون ذكر

الحارسين اليوم، وأربعة مرضى، وخمسة ممرضين. دافعنا أنا والدكتور

شيهان عنك بأكبر قوة ممكنة ولأطول فترة ممكنة. لكن معظم الموظفين

وكل الجسم القضائي يطلبون منا أن نظهر لهم النتائج، وإلا سيتم

إعلانك غير مؤهل عقلياً".

ابتعد عن حافة النافذة وانحنى فوق الطاولة ونظر إلى تيدي

بعينين حزيتين. "هذه فرصتنا الأخيرة، أندرو. إذا لم تقبل من تكون

وماذا فعلت، إذا لم تبذل أي جهد للعودة إلى الرشد، لا يمكننا

إنقاذك".

مدّ يده إلى تيدي.

"هيا". قال لتيدي وكان صوته خشناً. "من فضلك. آندرو.
ساعدني على إنقاذك".
صافح تيدي اليد الممدودة إليه. صافحها بقوة. صافح كاولي
بقبضة محكمة، وابتسم.
قال: "توقف عن مناداتي آندرو".

أخذوه إلى الجناح ج مقيداً في أغلال.
حين أصبحوا في الداخل، أنزلوه إلى الطابق الأرضي حيث
صرخ به الرجال من زنازانهم. وعدوا بإيذائه، وعدوا باغتصابه.
أقسم أحدهم أن يمزقه إرباً ويأكل لحمه فتناً.
فيما بقي مقيداً بالأغلال، وقف حارسان على جانبيه، فيما
دخلت ممرضة إلى الزنزانة وحقت شيئاً ما في ذراعه.
تملك شعراً وردياً، وفاحت منها رائحة الصابون وشمّ تيدي
رائحة نفسها، فيما انحنت فوقه لإعطائه الحقنة، وعرفها.
قال لها: "زعمت أنك راشايل".
قالت: "أمسكاً به".
أمسك الحارسان بكتفيه، وجعلا ذراعيه مستقيمتين.
"كنت أنت، مع صبغة في شعرك، أنت راشايل".
قالت: "لا تتحرك". وغرزت الإبرة في ذراعه.
نظر إلى عينيها. "أنت ممثلة ممتازة. أقصد، لقد ضحكت عليّ
فعلاً، كل تلك الكلمات عن عزيزك، المرحوم جيم. مقنعة جداً،
راشايل".
أبعدت عينيها عن عينيه.
"أنا إميلي". قالت وأخرجت الإبرة من ذراعه: "حاول النوم الآن".
قال تيدي: "من فضلك".

توقفت أمام باب الزنزانة ونظرت إليه.
قال: "كنت أنت".

لم تأت الإيماءة من ذقتها. جاءت من عينيها، بخفض خفيف
لجفنيها، ثم وجهت إليه ابتسامة ناعمة جداً بحيث أراد تقبيل شعرها.
قالت له: "ليلة سعيدة".

لم يشعر أبداً بالحارسين وهما ينزعان الأغلال عنه، ولم يسمعهما
أبداً وهما يغادران. اختفت الأصوات الصادرة من الزنزانات
الأخرى، وأصبح الهواء القريب من وجهه أصفر اللون، وأحس كأنه
مستلق على ظهره وسط غيمة رطبة، وتحولت يدها وقدماه إلى إسفنجة.
وحلم.

رأى في أحلامه أنه يعيش ودولوريس في منزل قرب البحيرة.
لأنهما اضطررا إلى مغادرة المدينة.

لأن المدينة حقيرة وعنيفة.

لأنها أحرقت شقتيها في باتونوود.

حاولت التخلص من الأشباح.

حلم أن جبهما فولاذ، صامد أمام النار أو المطر أو المطارق.

حلم أن دولوريس مجنونة.

وقالت له راشايل ذات ليلة حين كان ثملاً، ولكن، ليس ثملاً كثيراً

لدرجة أنه لم يستطع أن يقرأ لها قصة قبل النوم: "بابا؟".

قال: "ماذا حبيبي؟".

"تبدو لي أُمي مضحكة أحياناً".

"كيف مضحكة؟".

"مضحكة فقط".

"هل يجعلك ذلك تضحكين؟".

هزّت رأسها.

"لا؟".

قالت: "لا".

"حسناً، كيف تبدو لك إذاً؟".

"كما لو أنني أجعلها فعلاً حزينة".

غمرها عندئذ وقبّلها قبلّة النوم وداعب عنقها بأنفه وقال لها: "إنها لا تجعل أحداً حزيناً. أبداً. لا يمكن".

في ليلة أخرى، جاء إلى السرير وكانت دولوريس تفرك الندوب في معصميهما، وتنظر إليه من السرير قائلة: "حين تذهب إلى المكان الآخر، ثمة جزء منك لا يعود".

"أي مكان آخر، حبيبي؟". وضع ساعته على منضدة النوم.

"وذلك الجزء منك الذي يعود؟". قضمت شفّتها وبدأت كأنها على وشك ضرب وجهها بكلا معصميهما. "لا يفترض به".

ظنّت أن اللحام في الزاوية جاسوس. قالت إنه ابتسم لها، فيما سال الدم من ساطوره، وكانت واثقة من أنه يعرف الروسية. قالت إنها تشعر أحياناً بذلك الساطور في ثديها.

قال له تيدي الصغير ذات مرة، فيما كانا في فنواي بارك، يشاهدان مباراة في الكرة: "يمكننا العيش هنا".

"نحن نعيش هنا!".

"أقصد في الملعب".

"وما المشكلة في المكان الذي نعيش فيه؟".

"هناك الكثير من الماء". شرب تيدي القليل من قنينته. نظر إلى ابنته. كان ولدًا طويلًا وقويًا، لكنه ييكي بسرعة بالنسبة إلى ولد في عمره ويحفل بسهولة. هكذا يكثر الأولاد هذه الأيام، في دلال مفرط ضمن اقتصاد مزدهر. تمنى تيدي لو أن أمه لا تزال حية لتمكن من تعليم أحفادها كيف يصمدون أمام المصاعب بقوة. لا يهتم العالم أبدًا. لا يكثر أبدًا.

يمكن أن تأتي هذه الدروس طبعاً من رجل، لكن المرأة هي التي تستطيع غرزها بصورة دائمة.

إلا أن دولوريس ملأت رؤوسهم بالأحلام، والأوهام، واصطحبتهم كثيراً لمشاهدة الأفلام والسيرك والاحتفالات.

شرب تيدي مرة جديدة من قنينته وقال لابنته: "الكثير من الماء. هل من شيء آخر؟".
"لا، سيدي".

قال لها: "ما المشكلة؟ ما الذي لا أفعله؟ كيف أستطيع جعلك سعيدة؟".

قالت له: "أنا سعيدة".

"لا، لست سعيدة. قولي لي ما أحتاج إلى فعله. سأفعله".
"أنا بخير".

"تغضبين جداً. وإذا لم تكوني غاضبة، تكونين سعيدة جداً، فتقفزين على الجدران".

"ماذا تعني؟".

"هذا يخيف الأولاد، يخيفني. لست على ما يرام".
"بلى".

"أنت حزينة طوال الوقت".
قالت: "لا. هذا أنت".

تحدث إلى الكاهن وقام الكاهن بزيارة لهما. تحدث إلى أخواتها،
وجاءت الأخت الكبيرة، دليلة، من فرجينيا لقضاء أسبوع معها ذات
مرة، وبدا أن ذلك ساعد قليلاً لبعض الوقت.
تجنب كلاهما أي ذكر للأطباء. الأطباء هم للأشخاص المجانين.
دولوريس غير مجنونة. إنها فقط متوترة.
متوترة وحزينة.

حلم تيدي أنها أيقظته ذات ليلة وطلبت منه إحضار مسدسه.
قالت إن اللحم في منزلهم. في المطبخ في الطابق السفلي. يتحدث عبر
الهاتف مع الروسية.

تلك الليلة على الرصيف أمام الكوكونات غروف، منحنيًا صوب
سيارة الأجرة، ووجهه بعيد إنشأت قليلة عن وجهها...
نظر إليها وقال لنفسه:
أعرفك. لقد عرفتك طوال حياتي. كنت في انتظارك. في انتظارك
كي تظهر. في انتظارك طوال هذه السنوات.
عرفتك في الرحم.
الأمر بهذه البساطة.

لم يشعر بتوق كبير إلى الحميمة معها قبل أن يسافر، لأنه عرف،
في تلك اللحظة، أنه سيعود من الحرب. سيعود لأن النجوم لم تجعل
متحاذية، بحيث يستطيع اللقاء بالنصف الآخر من روحه.

انحنى صوب السيارة وقال لها ذلك.
وقال: "لا تقلقي. سأعود إلى المنزل".
لمست وجهه بإصبعها. "ستفعل ذلك، صحيح؟".

حلم أنه عاد إلى المنزل قرب البحيرة.
كان في أو كلاهما. أمضى أسبوعين وهو يطارد رجلاً من أرصفة
جنوب بوسطن إلى تولسا مع عشر محطات توقف تقريباً، وكان يدي
دوماً على مسافة نصف خطوة ورائه إلى أن ارتطم فعلياً بالرجل، فيما
كان خارجاً من حمام الرجال في محطة للوقود.

دخل المنزل في الحادية عشرة ظهراً، وهو يشعر بالامتنان لأنه يوم
من أيام الأسبوع المدرسية، والصبيان في المدرسة، واستطاع الإحساس
بالطريق في عظامه مع رغبة قوية في النوم على وسادته. دخل المنزل
ونادى دولوريس، فيما سكب لنفسه كأساً من الشراب الاسكتلندي
مزدوجة ودخلت هي من الفناء الخلفي وقالت: "لم يكن ذلك كافياً".

استدار مع كأس المشروب في يده وقال: "ما هو حبيبي؟".
ولاحظ أنها مبلة، كما لو أنها خارجة للتو من تحت الدوش، لكنها
كانت ترتدي فستاناً أسود قديماً مع نقوش أزهار باهتة. كانت حافية
القدمين، وتساقط الماء من شعرها ومن فستانها.
قال: "صغيرتي، لماذا أنت مبلة هكذا؟".

قالت: "لم يكن ذلك كافياً". ووضعت القنينة على الرف. "ما
زلت مستيقظة".

وعادت للخروج مجدداً.
رأها يدي تمشي نحو المرج، بخطى طويلة ومتمايلة. وضع كأسه
على الرف وحمل القنينة ولاحظ أنها قنينة الأفيون التي وصفها لها

الطبيب بعد إقامتها في المستشفى. إذا توجب على تيدي الذهاب في رحلة، كان يقسم لها عدد الملاعق التي تحتاج إليها في غيابه، ويضيفها إلى قنينة صغيرة في خزانة أدويةها. ثم يأخذ هذه القنينة ويبحثها في العلبة. ثم جرعات لسته أشهر في هذه القنينة وقد شربتها كلها.

رأها تتعثر على السلام، وتسقط على ركبتيها، ثم تنهض مجدداً. لكن، كيف نجحت في الوصول إلى القنينة؟ لم تكن هذه خزانة عادية في العلبة. لا يستطيع رجل قوي يحمل قطاعات كبيرة أن يخلع ذلك القفل. لا يستطيع فتحها، ويملك تيدي المفتاح الوحيد.

راقبها تجلس في الأرجوحة وسط المرج، ونظر إلى القنينة. تذكرها واقفة هنا ليلة غادر، وهو يضيف الملاعق إلى القنينة الخاصة بخزانة الأدوية، تاركاً القليل من الشراب لنفسه، ناظراً إلى البحيرة واضعاً القنينة الصغيرة في خزانة الأدوية، صاعداً إلى الأعلى لوداع الأولاد، نازلاً إلى الأسفل، فيما رنّ الهاتف، وتلقى الاتصال من المكتب الميداني، فأمسك بمعطفه وكيس نومه وقبّل دولوريس عند الباب وتوجه إلى سيارته...

... وترك القنينة الكبيرة على رف المطبخ.

خرج عبر الباب الشبكي واجتاز المرج وصعد السلام وراقبته، فيما هو آت، وهي مبتللة كثيراً، مع ساق متدلّية من الأرجوحة، فيما حركت هذه الأخيرة جيئة وذهاباً بكسل.

قال: "حبيبي، متى شربت كل ذلك؟".

"هذا الصباح". مدّت له لسانها ثم وجهت له ابتسامة حاملة ونظرت إلى الأعلى، إلى السقف المقوّس. "لكنه ليس كافياً. لم أستطع النوم. أريد فقط النوم. أنا متعبة كثيراً".

رأى الجذوع تطفو على سطح البحيرة ورائها، وعرف أنها ليست جذوعاً، لكنه نظر بعيداً، نظر مجدداً إلى زوجته.

"لماذا أنت متعبة كثيراً؟".

هزّت كتفها، وأسدت يديها قرب جانبيها. "متعبة من كل ذلك. متعبة جداً. أريد فقط العودة إلى المنزل".

"أنت في المنزل".

أشارت إلى السقف. قالت: "المنزل - المنزل".

نظر تيدي إلى تلك الجذوع مجدداً، وهي تيرم برفق في الماء.
"أين راشايل؟".

"في المدرسة".

"إنها صغيرة جداً للمدرسة حبيبي!".

"ليست صغيرة للذهاب إلى مدرستي"، قالت زوجته وأظهرت له أسنانها.

وصرخ تيدي. صرخ بصوت عالٍ جداً بحيث وقعت دولوريس عن الأرجوحة، وقفز فوقها، وقفز فوق السياج في الجهة الخلفية من المرج، وركض وهو يصرخ لا، يصرخ يا الله، يصرخ أرجوك، يصرخ ليس أطفالتي، يصرخ يا الله، يصرخ أوه أوه أوه!

وغاص في الماء. تعثر وسقط إلى الأمام على وجهه وغاص تحت الماء الذي غمره مثل الزيت، وسبح إلى الأمام والأمام وصعد وسطهم. الجذوع الثلاثة. أطفاله.

كان وجه إدوارد ودانيال إلى الأسفل، لكن راشايل كانت على ظهرها، مع عينيْن مفتوحتين تنظران إلى السماء، وقد انطبع يأس أمها في بؤبؤيها، فبحثت نظرهما في الغيوم.

حملهم الواحد تلو الآخر ووضعهم على الشاطئ. كان رقيقاً معهم. أمسكهم بقوة وإنما برفق. أحس بعظامهم، داعب وجناحهم، داعب أكتافهم وأفصاحهم الصدرية وسيقانهم وأقدامهم. قبلهم مرات عدة.

ركع على ركبتيه وتقياً إلى أن احترق صدره وتمزقت معدته.
عاد وشبك أذرعهم فوق صدورهم، ولاحظ وجود حروق
حبال على معاصم دانيال وراشيل، وعرف أن إدوارد كان أول من
مات. لقد انتظر الاثنان الآخران، وسمعا ذلك، وعرفا أنها ستعود
إليهما.

قبّل مجدداً كل واحد من أولاده على الوجنتين والجبين ثم أغلق
عيني راشيل.

هل قاوموا بين ذراعيها حين حملتهم إلى الماء؟ هل صرخوا؟ أو
ماتوا بصمت متألّمين ومستسلمين؟

رأى زوجته في فستانها البنفسجي ليلة التقى بها ورأى النظرة على
وجهها، في اللحظة الأولى التي رآها فيها، تلك النظرة التي أغرم بها.
فكّر في أن السبب هو الفستان فقط، وارتباكها لارتداء مثل هذا
الفستان الراقي في ناد راق. لكن، لم يكن هذا هو السبب؛ كان رعباً،
بالكاد مقموعاً ولطالماً كان موجوداً. إنه الرعب من الخارج؛ من
القطارات، من القنابل، من السيارات والآلات الثاقبة، والجادات
الداكنة، والروسيين، والغواصات، والحانات المليئة بالرجال الغاضبين،
والمحيطات المليئة بالقروش، والآسيويين الذي يحملون كتباً حمراء في يد،
وبنادق في اليد الأخرى.

كانت خائفة من كل ذلك وأكثر، لكنها كانت مرعوبة
خصوصاً، مما هو داخلها، حشرة من الذكاء غير الطبيعي عاشت في
دماغها طوال حياتها، تتلاعب به، تنقر فيه، تفكك الروابط داخله.

ترك تيدي أولاده وجلس على أرض المرج لوقت طويل، يراقبها
وهي تتمايل، والأسوأ من كل ذلك كان مقدار الحب الذي يكتنه لها.
لو يستطيع التضحية بعقله لإعادة عقلها، لفعل ذلك. بيع أطرافه؟ جيد.

لقد كانت كل الحب الذي عرفه منذ زمن طويل. لقد كانت ما جعله يصمد في الحرب، في هذا العالم المريع. لقد أحبها أكثر من كل حياته، أكثر من روحه.

لكنه خسرها، خسر أولاده، خسر الحياة التي أسساها معاً، لأنه رفض رؤية دولوريس، رؤيتها فعلاً، رؤية أن جنوها ليس غلطتها، ليس شيئاً تستطيع التحكم به، ليس دليلاً على ضعف معنوي أو على فقدان للثبات.

رفض رؤية ذلك، لأنها لو كانت فعلاً حبه الحقيقي، ذاته الأخرى السرمدية، ماذا يقول ذلك عن دماغه، عن رشد، عن ضعفه الأخلاقي؟

هكذا، اختبأ من الحقيقة، اختبأ منها. تركها لوحدها، حبه الوحيد، وترك عقلها يستنفد نفسه.

راقبها تتمايل. أوه، الله، كم يحبها!

يحبها - وجعله ذلك يشعر بالكثير من الخجل - أكثر من ابنه.

لكن أكثر من راشايل؟

ربما لا. ربما لا.

رأى راشايل في ذراعي أمها، فيما حملتها أمها إلى الماء. رأى عيني ابنته تتسعان، فيما نزلت في البحيرة.

نظر إلى زوجته، ولا يزال يرى ابنته، وقال لنفسه: أنت ساقطة،

مجنونة وحشية!

جلس تيدي على أرض المرج وبكى. لا يعرف لكم من الوقت. بكى ورأى دولوريس على الشرفة، فيما أحضر لها الأزهار، ودولوريس تنظر إلى الخلف نحوه، فوق كتفها خلال شهر العسل، ودولوريس في فستانها البنفسجي وهي حامل بإدوارد وتنزع أحد أهدائها عن

وجنته، فيما تبتعد عنه بعدما قبلته والتفت بين ذراعيه، وقرصته في يده وضحكت، وابتسمت ابتساماتها الخاصة بصباح الأحد، وحدّقت إليه، فيما تحطم باقي وجهها حول تلك العينين الكبيرتين وبدأت خائفة جداً ووحيدة جداً، دوماً، دوماً، مع جزء منها وحيد جداً... وقف وارتجفت ركبته.

جلس قرب زوجته وقالت: "أنت رجلي الطيب".

قال: "لا، لست كذلك".

"بلى". أمسكت بيده. "أنت تحبني. أعرف ذلك. أعرف أنك لست مثالياً".

ماذا فكّر دانيال وراشايل حين وجدا أمهما تربط الحبل حول معصميهما؟ حين نظرا إلى عينيها؟
"أوه، يا الله!".

"أعرف. لكنك لي. وتحاول".

قال لها: "أوه صغيرتي. أرجوك لا تقولي المزيد".

وإدوارد. لا شك في أن إدوارد ركض. توجب عليها مطاردته في المنزل.

إنها مشرقة الآن، سعيدة. قالت: "فلنضعهم في المطبخ".
"ماذا؟".

استلقت فوقه، وداعبته، وعانقته بجسمها الرطب. "فلنضعهم على الطاولة، آندرو". قبلت جفنيه.

أمسكها بالقرب منه، ثم بكى عند كتفها.

قالت: "سيكونون الدمى الأحياء. سنحفظهم".

"ماذا؟". اختنق صوته في كتفها.

"سنبدل ملابسهم". همست في أذنه.

لم يستطع رؤيتها في صندوق، صندوق من المطاط الأبيض مع نافذة صغيرة في الباب.

"سنجعلهم ينامون في سريرنا الليلة".

"من فضلك توقفي عن الكلام".

"هذه الليلة فقط".

"أرجوك".

"ثم نأخذهم غداً في نزهة في الطبيعة".

"إذا أحببتي يوماً...". استطاع رؤيتهم مستلقين على الشاطئ.

"لطالما أحببتك صغيري".

قال تيدي: "إذا أحببتي يوماً، أرجوك توقفي عن الكلام".

أراد الذهاب إلى أولاده، إعادتهم أحياء، أخذهم بعيداً عن هنا، بعيداً عنها.

وضعت دولوريس يدها على مسدسه.

شبك يده فوق يدها.

قالت: "أريدك أن تحبني. أريدك أن تحرريني".

مدّت يدها إلى مسدسه لكنه أبعد يدها. نظر إلى عينيها. كانتا

ساطعتين جداً لدرجة الألم. ليستا عيني كائن بشري، كلب ربما، ذئب ربما.

بعد الحرب، بعد دانتشاو، أقسم ألا يقتل مجدداً، إلا إذا لم يعد لديه

خيار آخر. إلا إذا كان سلاح الرجل الآخر موجهاً صوبه. فقط حينها.

لا يستطيع تحمل المزيد من الموت. لا يستطيع.

أمسكت بمسدسه وأصبحت عيناها أكثر إشراقاً، وأبعد يدها مجدداً.

نظر إلى الشاطئ ورآهم مصطفىين قرب بعضهم بعضاً، الكتف

قرب الكتف.

أخرج مسدسه من قرايه. أراها إياه.
قضمت شفتها، وبكت، وأومات برأسها. نظرت إلى السقف
وقالت: "سنزعم أنهم معنا. سنحلمهم، أندرو".
وضع المسلس في بطنها وارتجفت يده وارتعشت شفتاه وقال:
"أحبك دولوريس".

وبالرغم من ذلك، مع وجود مسدسه على جسمها، لم يكن واثقاً
من أنه يستطيع فعل ذلك.

نظرت إلى الأسفل، كما لو أنها متفاجئة من أنها لا تزال هناك،
من أنه لا يزال تحتها. "أنا أحبك أيضاً. أحبك كثيراً. أحبك مثل...".
وضغط على الزناد. خرج صوته عبر عينيها وخرج الهواء من
فمها، ووضعت يدها فوق الفجوة ونظرت إليه، فيما أمسكت يدها
الأخرى بشعره.

وفيما خرج الطلق الناري منها، شدّها بالقرب منه وأصبحت لينة
على جسمه، وأمسك بها وأمسك بها وبكى حبه المريع في فستانها القديم.

جلس في الظلمة وشمّ رائحة دخان السجائر قبل أن يرى النار
وتتقد النار، فيما مجّ شيهان سيجارته وراقبه.
جلس على السرير وبكى. لم يستطع التوقف عن البكاء. قال
اسمها. قال:

"راشايل، راشايل، راشايل".

ورأى عينيها تراقبان الغيوم وشعرها يطفو حولها.
حين توقفت النوبات، حين جفت الدموع، قال شيهان:
"راشايل من؟".

قال: "راشايل لايديز".

"ومن أنت؟".

قال: "آندرو. اسمي آندرو لايديز".

أشعل شيهان ضوءاً صغيراً وظهر كاولي وحارس آخر في الجهة الأخرى من القضبان. كان الحارس يدير ظهره لهما، لكن كاولي حدّق إليه ووضع يديه على القضبان.

"لماذا أنت هنا؟".

أخذ المندبل الذي أعطاه إياه شيهان ومسح وجهه.

كرّر كاولي: "لماذا أنت هنا؟".

"لأنني قتلت زوجتي".

"ولماذا فعلت ذلك؟".

"لأنها قتلت أولادنا واحتاجت إلى السلام".

قال شيهان: "هل أنت مارشال أميركي؟".

"لا، كنت قبلاً. لم أعد الآن".

"كم مضى على وجودك هنا؟".

"منذ الثالث من مايو 1952".

"من راشايل لايديز؟".

"ابنتي. كانت في الرابعة".

"من راشايل سولاندو؟".

"غير موجودة. أنا ابتكرتها".

قال كاولي: "لماذا؟".

هزّ تيدي رأسه.

كرّر كاولي: "لماذا؟".

"لا أعرف، لا أعرف...".

"بلى، تعرف آندرو. قل لي لماذا".

"لا أستطيع".

"بلى، تستطيع".

أمسك تيدي برأسه وهزّه في مكانه. "لا تجعلني أقولها. من فضلك. من فضلك دكتور!".

أمسك كاولي بالقضبان. "أحتاج إلى سماع ذلك، آندرو".

نظر إليه عبر القضبان، وأراد التقدم إلى الأمام وقضم أنفه.

"لأن". قال وتوقف. نمنح حنجرته وبصق على الأرض: "لأنني لم أستطع تحمل أن أعرف أنني سمحت لزوجتي أن تقتل أطفالي. تجاهلت كل الإشارات. حاولت التغاضي عن الأمر. قتلتهم لأنني لم أوفر لها المساعدة". "و؟".

"لأنني أعرف أن هذا كثير. لا أستطيع تحمل ذلك".

"لكن عليك ذلك. أنت تدرك هذا".

أوما برأسه. سحب ركبتيه إلى صدره.

نظر شيهان إلى الخلف نحو كاولي. حدّق كاولي إليهما عبر

القضبان، أشعل سيجارة، راقب تيدي بهدوء.

"هذا هو خوفي، آندرو. لقد وصلنا إلى هذه المرحلة قبلاً. وصلنا

إلى الاستراحة نفسها، قبل تسعة أشهر. ثم تراجعت. بسرعة".

"أنا آسف".

قال كاولي: "أقدّر ذلك. لكنني لا أستطيع استخدامه بمثابة عذر

في الوقت الحاضر. أحتاج لأن أعرف أنك قبلت بالحقيقة. لا يستطيع

أي منا تحمل انتكاسة أخرى".

نظر تيدي إلى كاولي، إلى ذلك الرجل النحيل جداً مع حالات

كبيرة تحت عينيه. هذا الرجل الذي جاء لإنقاذه. هذا الرجل الذي قد

يكون الصديق الوحيد الذي حظي به.

تذكر صوت مسدسه عندما نظر إلى عينيها وشعر بالمعاصم
الرطبة لابنيه، فيما وضعهما على صدريهما، ورأى شعر ابنته، فيما
أبعده عن وجهها بسبابته.
قال: "لن أنتكس. اسمي آندرو لايديز. قتلت زوجتي، دولوريس،
في ربيع العام 52...".

كانت الشمس في الغرفة حين استيقظ.
جلس ونظر نحو القضبان، لكن القضبان لم تكن موجودة. فقط نافذة، منخفضة أكثر مما هو مفترض، إلى أن أدرك أنه على السرير العلوي في الغرفة التي تشاركها مع تراي وببسي.

كانت فارغة. قفز عن السرير وفتح الخزانة ورأى ملابسه هناك، آتية حديثاً من المصبغة، وارتداها. توجه إلى النافذة ووضع قدماً على حافتها لربط حذائه، ونظر إلى خارج المجمع، ورأى مرضى وممرضين وحراساً بعدد متساو، بعضهم يمشي أمام المستشفى، فيما يتابع بعضهم الآخر عمليات التنظيف، وبعضهم يشذب ما بقي من شجيرات الورد قرب القاعدة.

تأمل يديه، فيما ربط الحذاء الثاني. إنهما ثابتتان. أصبحت رؤيته واضحة مثلما كانت عندما كان ولداً، وكذلك هي الحال بالنسبة إلى رأسه. غادر الغرفة ونزل السلم وخرج من المجمع ومرّ أمام الممرضة مارينو، التي وجهت إليه ابتسامة وقالت: "صباح...".
قال لها: "جميل جداً".

"رائع. أظن أن العاصفة ودّعت فصل الصيف".
تكأ على الدرايزين ونظر إلى السماء التي كان لونها مثل لون العينين الزرقاوين لطفل بريء، واستطاع شم النضارة في الهواء الذي يفتقده منذ شهر يونيو.

"استمتع بيومك". قالت المريضة مارينو وراقبها وهي تمشي في
الممر، وأحسّ أنّ استمتاعه بتمايل وركيها هو دليل صحة ربما.

دخل المجمع ومّرّ أمام بعض الحراس الذين هم في يوم إجازتهم
يرمون الكرة لبعضهم بعضاً ولوّحوا له وقالوا: "صباح الخير". فلوّح لهم
وقال: "صباح الخير".

سمع صوت المركب يصدح، فيما يقترب من الرصيف ورأى
كاولي وأمر السجن يتحدثان وسط المرج أمام المستشفى وأوماً له
برأسيهما فأوماً لهما برأسه.

جلس عند زاوية درج المستشفى ونظر إلى كل ذلك وشعر
بارتياح لم يشعر به منذ زمن طويل.
"خذ".

أخذ السيجارة ووضعها في فمه، وانحنى نحو اللهب، وشمّ رائحة
الكاز الصادرة من قدّاحة زيبو قبل إغلاقها.
"كيف حالنا هذا الصباح؟".

"جيد. وأنت؟". امتص الدخان عبر رثيته.
"لا أستطيع التذمر".

لاحظ أن كاولي وأمر السجن يراقبانهما.
"هل عرفت يوماً، ما ذلك الكتاب الذي يحمله أمر السجن؟".
"لا. قد أذهب إلى القبر من دون أن أعرف".
"هذا عار حقيقي".

"ربما هناك بعض الأمور التي لا يجدر بنا معرفتها على هذه
الأرض. انظر إلى الأمر بهذه الطريقة".

"منظور مثير".
"حسناً، سأجرب".

مسح السيجارة مرة جديدة، ولاحظ كم أن مذاق التبغ لذيذاً إنه أغنى ويلتصق بكعب حنجرته.

قال: "ما خطوتنا التالية؟".

"أنت قل لي سيدي".

ابتسم لتشاك. كانا يجلسان هما الاثنان تحت ضوء الصباح، مرتاحين، ويتصرفان كما لو أن كل شيء جيد في العالم.

قال تيدي: "علينا العثور على طريقة للابتعاد عن هذه الجزيرة. العودة إلى منازلنا".

أوما تشاك برأسه. "تصورت أنك ستقول شيئاً كهذا".

"هل تملك أي أفكار؟".

قال تشاك: "أعطني دقيقة".

أوما تيدي برأسه واتكأ على السلام. لديه دقيقة. أو ربما دقائق قليلة. راقب تشاك وهو يرفع يده ويهزّ رأسه، في الوقت نفسه، ورأى كاولي يومئ له ثم يقول كاولي شيئاً ما لآمر السجن، ويعبران المرج نحو تيدي مع أربعة حراس وراءهم، فيما أحد الحراس يمسك بحزمة بيضاء، من نوع القماش، وظن تيدي أنه ملح بعض المعدن عليها، فيما فتحتها الحارس ولمع المعدن تحت أشعة الشمس.

قال تيدي: "لا أعرف، تشاك. هل تظن أنهم آتون إلينا؟".

"لا". أرجع تشاك رأسه إلى الخلف، وطرفت عيناه قليلاً تحت

أشعة الشمس وابتسم لتيدي. "نحن أذكى من ذلك".

قال تيدي: "نعم. أليس كذلك؟".

جزيرة منعزلة... مستشفى للأمراض العصبية... مجرمة فارة... شيفرة سرية... إعصار مدمر... إشاعات حول تجارب طبية مشبوهة

ينسج الكاتب خيوطاً عدة ليصنع منها عقدة روائية لا تخطر ببال، عبر تهيئة مسرحية أسرة وشخصيات متطورة التركيب وحوار يتملك القارئ بمرحه وأحزانه وغموضه يوجّه تفكيره وخياله نحو متاهات وسرايب هيتشكوكية تُصعّد تشويقه مع كل صفحة.

مرفق عسكري سابق في «جزيرة شاتر» المغلقة تم تحويله إلى مصح للأمراض العقلية



تهرب منه مجرمة مريضة حسناء. يتم استدعاء رجلي شرطة للتحقيق في ملابسات عملية الهرب ليكتشف سريعاً بأن الموضوع هو أكثر تعقيداً من مجرد العثور على امرأة مفقودة. ورغم أن الشرطيين لا زالا جديدين في العمل معاً كشريكين، ولكنهما يطوراً علاقة تشوبها المראה والسخرية أثناء تبادل تفاصيل مهموم حياتهما الشخصية. ولكن وبعد مراجعتهما سجلات المرضى الطبية يصلان إلى حائط مسدود بفضل مدير

المصح الغير متعاون. وقجأة يختفي أحد رجلي الشرطة في ظروف غامضة خلال هبوب عاصفة بحرية هوجاء، فتتملك شريكه هواجس عدة ليس أقلها الخطر على حياته.

من هنا تنطلق العقد الروائية واحدة إثر أخرى في إطار من التشويق النفسي الأخاذ لتترك القارئ في طوفان من الإثارة المستمرة حتى النهاية يبدو فيها العنف الإجرامي باهتاً أمام رعب مؤامرات العقل البشري.

ISBN 978-9953-87-949-9



9 789953 879499

ص. ب. 13-5574 شوران 2050-1102
بيروت - لبنان

هاتف: 785107/8 (+961-1)

فاكس: 786230 (+961-1)

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb



الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

www.asp.com.lb - www.aspbooks.com